إليه جلالة بن زيري الصنهاجيّ فحمل كلّ واحد منهما على صاحبه، فطعنه الفرنجيّ فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه فأبان عاتقه، فسقط الفرنجيّ على الأرض، وحمل المسلمون على النصارى، فانهزموا إلى بلادهم، وقُتل منهم ما لا يُحصى وملك المدينة.

وغنم ابن أبي عامر غنيمة عظيمة لم يُرَ مثلها، واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً،(٣٤/٩)وأمر بالقتلى فنضّدت بعضها على بعض، وأمر مؤذّناً أذّن فوق القتلى المغرب، وخرب مدينة قامونة، ورجع سالماً هو وعساكره.

ذكر وفاة يوسف بُلكّين وولاية ابنه المنصور

في هذه السنة، لسبع بقين لذي الحجّة، توفّي يوسف بُلكّين بن زيري صاحب إفريقية بوارقلين.

وسبب مضيّه إليها أن خزرون الزناتيّ دخل سجلماسة، وطرد عنها نائب يوسف بُلكّين، ونهب ما فيها من الأموال والعُدد، وتغلّب على فاس زيري بن عطية الزناتيّ، فرحل يوسف إليها، فاعتلّ في الطريق بقُولَنج، وقيل خرج في يده بثرة فمات منها، فأوصى بولاية ابنه المنصور، وكان المنصور بمدينة أشير، فجلس للعزاء بأبيه، وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزّونه بأبيه ويهنونه بالولاية، فأحسن إلى الناس وقال لهم: إنّ أبي يوسف وجدّي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلاّ بالإحسان، ولستُ ممّن يولّى بكتاب ويُعزل بكتاب، يعني أنّ الخليفة بمصر لا يقدر أن يعزله بكتاب.

ثم سار إلى القيروان، وسكن برقّادة، ووليَ الأعمال، واستعمل الأمراء وأرسل هدية عظيمة إلى العزيز باللّه بمصر، قيل: كانت قيمتها ألف ألف دينار، ثم عاد إلى أشير، واستخلف على جباية الأموال بالقيروان، والمهديّة، وجميع إفريقية إنساناً يقال له عبد اللّه بن الكاتب.(٣٥/٩)

ذكر أمر باذ الكرديّ خال بني مروان وملكه الموصل

في هذه السنة قوي أمر باذ الكرديّ، واسمه أبو عبد اللّه الحسين بن دوستك وهو من الأكراد الحميديّة، وكان ابتداء أمره أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيراً، وكان عظيم الخلقة، له بأس وشدّة، فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده، فلمّا رأى عضد الدولة خافه وقال: ما أظنه يُبقي عليّ؛ فهرب حين خرج من عنده، وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبض عليه، وقال: له بأس وشدّة، وفيه شرّ، ولا يجوز الإبقاء على مثله؛ فأُخبر بهربه، فكفّ عن طلبه.

وحصل بثغور ديار بكر، وأقام بها إلى أن استفحل أمره وقوي، وملك ميّافارقين وكثيراً من ديار بكر بعد موت عضد الدولة، ووصل بعض أصحابه إلى نصيبين، فاستولى عليها، فجهّز صمصام الدولة إليه العساكر مع أبي سعد بهرام بن أردشير، فواقعه، فانهزم بهرام وأُسر جماعة من أصحابه، وقوي أمر باذ، فأرسل صمصام الدولة إليه أبا القاسم سعد بن محمّد الحاجب في عسكر كثير، فالتقوا بباجُلايا على خابور الحسينيّة، من بلد كواشى، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم سعد وأصحابه، واستولى باذ على كثير من الديلم، فقتل وأسر، ثم قتل الأسرى صبراً. وفي هذه الوقعة يقول أبو الحسين البشنويُّ:

بباجُلايا جلَوْنا عنه غُثَّتَهُ ونحن في الروع جلاّؤون للكُرب (٣٦/٩)

يعني باذاً، وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، إن شاء اللّه تعالى.

ولما هزم باذ الديلم وسعداً، وفعل فيهم ما تقدّم ذكره، سبقه سعد فدخل الموصل، وسار باذ في أثره، فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم، فنجا منهم بنفسه، ودخل باذ إلى الموصل واستولى عليها، وقويت شوكته، وحدّث نفسه بالتغلّب على بغداد وإزالة الديلم عنها، وخرج من حدّ المتطرّفين، وصار في عداد أصحاب الأطراف. فخافه صمصام الدولة، وأهمّه أمره، وشغله عن غيره، وجمع العساكر ليسيّرها، إليه، فانقضت السنة.

وقد حدّثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميديّة ممّن يعتني بأخبار باذ أن باذاً كنيته أبو شجاع، واسمه باذ، وأنّ أبا عبد اللّه هو الحسين بن دوستك، وهو أخو باذ، وكان ابتداء أمره أنّه كان يرعى الغنم، وكان كريماً جواداً، وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس، فظهر عنه اسم الجود، فاجتمع عليه الناس، وصار يقطع الطريق، وكلّما حصل له شيء أخرجه، فكثر جمعه، وصار يغزو، ثمّ إنّه دخل أرمينية، فملك مدينة أرجيش، وهي أول مدينة ملكها، فقوي بها، وسار منها إلى ديار بكر، فملك مدينة آمد، ثمّ ملك مدينة ميّافارقين وغيرها من ديار بكر، وسار إلى الموصل فملكها كما ذكرناه.(٣٧/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة استعمل العزيز باللّه الخليفة العلويّ على دمشق وأعمالها بكجور التركيّ مولى قرغويه أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان، وكان له حمص، فسار منها إلى دمشق، وظلم أهلها، وعسفهم وأساء السيرة فيهم، وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين [وثلاثمائة] مستقصىً.

وفيها وزر أبو محمد عليّ بن العباس بن فسانُجس لشرف الدولة.

وفيها، في ربيع الأول، انقضّ كوكب عظيم أضاءت له الدنيا، وسُمع له مثل دويّ الرّعد الشديد.

وفيها غلت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد، وعدمت الأقوات، فمات كثير من الناس جوعاً.

وفيها وزر أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام الدولة.

وفيها ورد القرامطة إلى قريب بغداد، وطمعوا بموت عضد الدولة، فصولحوا على مال أخذوه وعادوا.

وفيها،في جمادى الآخرة، توفي سعيد بن سلام أبو عثمان المغربيّ بنيسابور، ومولده بالقيروان، ودخل الشام، فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الأقطع وغيره، وكان من أرباب الأحوال.(٣٨/٩)

سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل وانهزام باذ

لما استولى باذ الكرديّ على الموصل اهتمّ صمصام الدولة ووزيره ابن سعدان بأمره، فوقع الاختيار على إنفاذ زيار بن شهراكويه، وهو أكبر قوّادهم، فأمره بالمسير إلى قتاله وجهّزه، وبالغ في أمره، وأكثر معه الرجال والعُدد والأموال، وسار إلى باذ، فخرج إليهم، ولقيهم في صفر من هذه السنة، فأجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأُسر كثير من عسكره وأهله، وحملوا إلى بغداد فشُهّروا بها، وملك الديلم الموصل.

وأرسل زيار عسكراً مع سعد الحاجب في طلب باذ، فسلكوا على جزيرة ابن عمر، وأرسل عسكراً آخر إلى نصيبين، فاختلفوا على مقدّميهم، فلم يطاوعوهم على المسير إليهم، وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقاً كثيراً، فكتب وزير صمصام الدولة إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، وبذل له تسليم ديار بكر إليه، فسيّر إليها جيشاً، فلم يكن لهم قوّة بأصحاب باذ، فعادوا إلى حلب، وكانوا قد حصروا ميّافارقين، فلما شاهد سعد ذلك من عسكره أعمل الحيلة في قتل باذ، فوضع رجلاً على ذلك، فدخل الرجل خيمة باذ ليلاً، وضربه بالسيف، وهو يظنّ أنّه يضرب رأسه، فوقعت الضربة على ساقه،(٣٩/٩)فصاح، وهرب ذلك الرجل، فمرض باذ من تلك الضربة، فأشفى على الموت، وكان قد جمع معه من الرجال خلقاً كثيراً، فراسل زياراً وسعداً يطلب الصّلح، فاستقرّ الحال بينهم، واصطلحوا على أن تكون ديار بكر لباذ، والنصف من طور عبدين أيضاً، وانحدر زيار إلى بغداد، وأقام سعد بالموصل.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قلّد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجيّ حماية الكوفة، وهي أول إمارة بني ثمال.

وفيها خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالأهواز لفخر الدولة، وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة، ونقشا اسمه على السّكّة.

وفيها خطب لصمصام الدولة بعُمان، وكانت لشرف الدولة، ونائبه بها أستاذ هرمز، فصار مع صمصام الدولة، فلما بلغ الخبر إلى شرف الدولة أرسل إليه جيشاً، فانهزم أستاذ هرمز وأُخذ أسيراً، وعادت عُمان إلى شرف الدولة، وحُبس أستاذ هرمز في بعض القلاع وطولب بمال كثير.

وفيها توفي عليّ بن كامة، ومقدّم عسكر ركن الدولة.

وفيها أفرج شرف الدولة عن أبي منصور بن صالحان واستوزره، وقبض على وزيره أبي محمد بن فسانجس.

وفيها أرسل شرف الدولة رسولاً إلى القرامطة، فلما عاد قال: إن القرامطة سألوني عن الملك فأخبرتهم بحسن سيرته فقالوا: من ذلك أنه استوزر(٤٠/٩) ثلاثة في سنة لغير سبب، فلم يغيّر شرف الدولة بعد هذا على وزيره أبي منصور بن صالحان.

وفي هذه السنة توفي أبو الفتح محمد بن الحسين الأزديّ الموصليّ، الحافظ المشهور، وقيل في سنة تسع وستين[وثلاثمائة]، وكان ضعيفاً في الحديث.(٤١/٩)

سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم، وكان سببها أنّ أسفار بن كردويه، وهو من أكابر القوّاد، استنفر من صمصام الدولة، واستمال كثيراً من العسكر إلى طاعة شرف الدولة، واتّفق رأيهم على أن يولّوا الأمير بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة العراق نيابةً عن أخيه شرف الدولة.

وكان صمصام الدولة مريضاً، فتمكن أسفار من الذي عزم عليه، وأظهر ذلك، وتأخّر عن الدار، وراسله صمصام الدولة يستميله ويُسكّنه، فما زاده إلاّ تمادياً، فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه، وكان صمصام الدولة قد أبلّ من مرضه، فامتنع الطائع من ذلك، فشرع صمصام الدولة، واستمال فولاذ زماندار، وكان موافقاً لأسفار إلاّ أنه كان يأنف من متابعته لكبر شأنه. فلمّا راسله صمصام الدولة أجابه، واستحلفه على ما

أراد، وخرج من عنده، وقاتل أسفار، فهزمه فولاذ، وأُخذ الأمير أبو نصر أسيراً، وأُحضر عند أخيه صمصام الدولة، فرقّ له، وعلم أنّه لا ذنب له،(٤٢/٩)فاعتقله مكرّماً، وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة.

وثبت أمر صمصام الدولة، وسُعي إليه بابن سعدان الذي كان وزيره، فعزله، وقيل إنه كان هواه معهم، فقتل ومضى أسفار إلى الأهواز، واتّصل بالأمير أبي الحسين بن عضد الدولة، وخدمه، وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة.

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة ورد إسحاق وجعفر البحريّان، وهما من الستة القرامطة الذين يلقّبون بالسادة، فملكا الكوفة، وخطبا لشرف الدولة، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم، وكان لهم من الهيبة ما إنّ عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير.

وكان نائبهم ببغداد يُعرف بأبي بكر بن شاهويه، يتحكّم تحكّم الوزراء، فقبض عليه صمصام الدولة، فلمّا ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطّفهما، ويسألهما عن سبب حركتهما، فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده، وبثّا أصحابهما، وجبيا المال.

ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر إلى الجامعَيْن، وهو من أكابرهم، فأرسل صمصام الدولة العساكر، ومعهم العرب، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه، فانهزم عنهم، وأُسر أبو قيس وجماعة من قوّادهم، فقُتلوا، فعاد القرامطة(٤٣/٩)وسيّروا جيشاً آخر في عدد كثير وعُدّة، فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعَيْن أيضاً، فأجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة، وقُتل مقدّمهم وغيره، وأُسر جماعة، ونُهب سوادهم، فلما بلغ المنهزمون إلى الكوفة رحل القرامطة، وتبعهم العسكر إلى القادسيّة، فلم يدركوهم، وزال من حينئذ ناموسهم.

ذكر الإفراج عن ورد الروميّ وما صار أمره إليه ودخول الروس في النصرانيّة

في هذه السنة أفرج صمصام الدولة عن ورد الروميّ، وقد تقدّم ذكر حبسه. فلمّا كان الآن أفرج عنه وأطلقه، وشرط عليه إطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين، وأن يسلّم إليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها، وأن لا يقصد بلاد الإسلام هو ولا أحد من أصحابه ما عاش، وجهّزه بما يحتاج إليه من مال وغيره، فسار إلى بلاد الروم، واستمال في طريقه خلقاً كثيراً من البوادي وغيرهم، وأطمعهم في العطاء والغنيمة، وسار حتى نزل بمَلَطْيَة، فتسلّمها، وقوي بها وبما فيها من مال وغيره.

وقصد ورديس بن لاون، فتراسلا، واستقرّ الأمر بينهما على أن تكون القُسطنطينيّة، وما جاورها من شماليّ الخليج، لورديس، وهذا الجانب من الخليج لورد، وتحالفا واجتمعا، فقبض ورديس على ورد وحبسه، ثم إنّه ندم فأطلقه عن قريب، وعبر ورديس الخليج، وحصر القسطنطينيّة وبها الملكان ابنا أرمانوس، وهما بَسيل وقسطنطين، وضيّق عليهما، فراسلا ملك الروسية، واستنجداه وزوّجاه بأخت لهما، فامتنعت من تسليم نفسها إلى(٤٤/٩)من يخالفها في الدين، فتنصّر، وكان هذا أول النصرانيّة في الروس، وتزوّجها وسار إلى لقاء ورديس، فاقتتلوا وتحاربوا فقُتل ورديس، واستقرّ الملكان في ملكهما، وراسلا ورداً وأقرّاه على ما بيده، فبقي مُديدةً ومات، قيل إنّه مات مسموماً.

وتقدّم بسيل في الملك، وكان شجاعاً، عادلاً، حسن الرأي، ودام ملكه، وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة، وظفر بهم، وأجلى كثيراً منهم من بلادهم، وأسكنها الروم، وكان الإحسان إلى المسلمين والميل إليهم.

ذكر ملك شرف الدولة الأهواز

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الأهواز، وأرسل إلى أخيه أبي الحسين وهو بها يطيّب نفسه، ويعده الإحسان، وأن يقرّه على ما بيده من الأعمال، وأعلمه أن مقصده العراق، وتخليص أخيه الأمير أبي نصر من محبسه، فلم يُصغ أبو الحسين إلى قوله، وعزم على منعه، وتجهّز لذلك، فأتاه الخبر بوصول شرف الدولة إلى أرّجان، ثم إلى رامَهُرمُز، فتسلّل أجناده إلى شرف الدولة ونادوا بشعاره، فهرب أبو الحسين نحو الرَّيّ إلى عمّه فخر الدولة، فبلغ أصبهان وأقام بها، واستنصر عمّه فأطلق له مالاً ووعده بنصره.

فلمّا طال عليه الأمر قصد التغلّب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة، فثار به جندها وأخذوه أسيراً وسيّروه إلى الريّ، فحبسه عمّه،(٤٥/٩)وبقي محبوساً إلى أن مرض عمّه فخر الدولة مرض الموت، فلمّا اشتدّ مرضه أرسل إليه من قتله، وكان يقول شعراً، فمن قوله:

هب الدهر أرضاني وأعتبَ صرفُهُ ... وأعْقَب بالحسنى، وفكّ مِنَ الأسْرِ

فَمَن لي بأيّام الشباب التي مضَتْ ... ومن لي بما قد فات في الحبسِ من

أوطانهم، وخُطب لشرف الدولة بالعراق، وسُيّرت إليه الخِلَع والألقاب من الطائع لله، فإلى أن عادت الرسل إلى شرف الدولة ليحلّفوه ألقت إليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها، وكاتبه القوّاد بالطاعة، فعاد عن الصلح، وعزم على قصد بغداد والاستيلاء على الملك، ولم يحلف لأخيه.

وكان معه الشريف أبو الحسن محمّد بن عمر يشير عليه بقصد العراق، ويحثّه عليه، ويُطمعه فيه، فوافقه على ذلك. وسنذكر باقي خبره سنة ستّ وسبعين [وثلاثمائة]، إن شاء اللّه تعالى.(٤٦/٩)

ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سِجِلماسة

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيري الزناتيّين على سِجِلماسة وفاس، وموت يوسف بُلكّين لما قصدهما، فلما مات تمكّنا من تلك البلاد؛ فلما استقر المنصور سيّر جيشاً كثيفاً إليهما ليردّهما إلى طاعته، فلما صار الجيش قريب فاس خرج إليهم صاحبها زيري بن عطيّة الزناتيّ، المعروف بالقرطاس، في عساكره، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر المنصور، وقتل منهم خلق كثير، وأُسر جماعة كثيرة، وثبت قدمه في ولايته.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرج بعُمان طائر من البحر كبير، أكبر من الفيل، ووقف على تلّ هناك، وصاح بصوت عال، ولسان فصيح: قد قرب، قد قرب، قد قرب، ثلاثاً ثم غاص في البحر، فعل ذلك ثلاثة أيّام، ثمّ غاب ولم يُر بعد ذلك.

وفيها جدّد صمصام الدولة ببغداد على ثياب الإبريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عُشر الثّمن، واجتمع الناس في جامع المنصور، وعزموا على قطع الصلاة، وكاد البلد يفتتن، فأُعفوا من ذلك.(٤٧/٩)

وفيها توفي ابن مؤيّد الدولة بن بويه، فجلس صمصام الدولة للعزاء، فأتاه الطائع لله معزياً.

وفيها توفي أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعيّ المشهور؛ وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد اللّه الداركيّ وكان رئيس أصحاب الشافعي بالعراق، وتوفي في شوّال وله نيّف وسبعون سنة؛ وأبو بكر محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن صالح الفقيه المالكيّ، ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين، وسُئل أن يليَ قضاء القضاة فامتنع؛ والوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو العباس الزوزنيّ الصوفيّ المحدّث، كان من العلماء في الحقائق، وله تصانيف حسنة.(٤٨/٩)

سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة

ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الأهواز إلى واسط فملكها، فأرسل إليه صمصام الدولة أخاه أبا نصر يستعطفه بإطلاقه، وكان محبوساً عنده، فلم يتعطّف له، واتّسع الخرق على صمصام الدولة، وشغب عليه جنده، فاستشار أصحابه في قصد أخيه والدخول في طاعته، فنهوه عن ذلك، وقال بعضهم: الرأي أننا نصعد إلى عُكبَرا لنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا، فإن رأينا عدّتنا كثيرة قاتلناهم وأخرجنا الأموال، وإن عجزنا سرنا إلى الموصل، فهي وسائر بلاد الجبل لنا، فيقوى أمرنا، ولا بدّ أن الديلم والأتراك تجري بينهم منافسة ومحاسدة ويحدث اختلال فنبلغ الغرض.

وقال بعضهم: الرأي أننا نسير إلى قرميسين تكاتب عمّك فخر الدولة فتستنجده، وتسير على طريق خراسان وأصبهان إلى فارس، فتتغلّب عليها، على خزائن شرف الدولة وذخائره، فما هناك ممانع ولا مدافع، فإذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق، فيعود حينئذ فيقع الصلح.(٤٩/٩)

فأعرض صمصام الدولة عن الجميع وسار في طيّار إلى أخيه شرف الدولة في خوّاصه، فوصل إلى أخيه شرف الدولة، فلقيه وطيّب قلبه. فلما خرج من عنده قبض عليه، وأرسل إلى بغداد من يحتاط على دار المملكة، فسار فوصل إلى بغداد في شهر رمضان، فنزل بالشفيعي، وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال، وكانت إمارته بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

ذكر الفتنة بين الأتراك والديلم

في هذه السنة جرت فتنة بين الديلم والأتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد. وسببها أن الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة في خلق كثير بلغت عدّتهم خمسة عشر ألف رجل، وكان الأتراك في ثلاثة آلاف، فاستطال عليهم الديلم فجرت منازعة بين بعضهم في دار وإصطبل، ثم صارت إلى المحاربة، فاستظهر الديلم لكثرتهم، وأرادوا إخراج صمصام الدولة وإعادته إلى ملكه.

وبلغ شرف الدولة الخبر، فوكّل بصمصام الدولة من يقتله إن همّ الديلم بإخراجه.ثم إن الديلم لما استظهروا على الأتراك تبعوهم، فتشوّشت صفوفهم، فعادت الأتراك عليهم من أمامهم ومن خلفهم، فانهزموا وقتل منهم زيادة على ثلاثة آلاف، ودخل الأتراك البلد فقتلوا من وجدوه منهم، ونهبوا أموالهم، وتفرّق الديلم، فبعضهم اعتصم بشرف الدولة، وبعضهم سار عنه.

فلما كان الغد دخل شرف الدولة ببغداد والديلم المعتصمون به معه، فخرج الطائع لله ولقيه وهنّاه بالسلامة، وقبّل شرف الدولة الأرض، وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة، فقيل لشرف الدولة: اقتله، وإلاّ ملّكوه الأمر.(٥٠/٩)

ثم إن شرف الدولة أصلح بين الطائفتين، وحلف بعضهم لبعض، وحمل صمصام الدولة إلى فارس، فاعتُقل في قلعة هناك، فردّ شرف الدولة على الشريف محمّد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها، وكان خراج أملاكه كلّ سنة ألفيّ ألف وخمسمائة ألف درهم، وردّ على النقيب أبي أحمد الموسويّ أملاكه، وأقرّ الناس على مراتبهم، ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها، فأمنوا وسكنوا. ووزّر له أبو منصور بن صالحان.

ذكر ولاية مهذّب الدولة البطيحة

في هذه السنة توفي المظفّر بن عليّ، وولي بعده ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر بالعهد المذكور، وكتب إلى شرف الدولة يبذل له الطاعة، ويطلب التقليد، فأُجيب إلى ذلك، ولُقّب بمهذّب الدولة، فأحسن السيرة، وبذل الخير والإحسان، فقصده الناس، وأمن عنده الخائفون.

وصارت البطيحة معقلاً لكلّ من قصدها، واتّخذها الأكابر وطناً لهم، وبنوا فيها الدور الحسنة ووسعهم برّه وإحسانه، وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه، وزوّجه بهاء الدولة ابنته، وعظم شأنه إلى أن قصده القادر بالله فحماه، وبقي عنده إلى أن أتته الخلافة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفي أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفيّ، المنجّم لعضد الدولة، وكان مولده بالرّيّ سنة إحدى وتسعين ومائتين.(٥١/٩)

وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدّم بها كثير من المنازل، وهلك كثير من الناس.

وفيها قتل المنصور بن يوسف، صاحب إفريقية، عبدَ الله الكاتب، وقام على ولاية الأعمال بإفريقية عوضه يوسف بن أبي محمد، وكان واليّ قفصة قبل ذلك.

وفيها كان بالعراق غلاء شديد جلا لشدّته أكثر أهله.

وفيها توفي أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخيّ الأزرق، الأنباريّ الكاتب.

وأحمد بن الحسين بن عليّ أبو حامد المروزيّ، ويعرف بابن الطبريّ الفقيه الخنفيّ، تفقّه ببغداد على أبي الحسن الكرخيّ، وولي قضاء القضاة بخراسان، ومات في صفر، وكان عابداً محدّثاً ثقةً.

وإسحاق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر، ومولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وصلّى عليه ابنه القادر وهو حينئذ أمير.

وأبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي النحويّ، صاحب الإيضاح؛ قيل كان معتزلياً وقد جاوز تسعين سنة.

وأبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين بن الغطريف الجرجانيّ، توفي في رجب، وهو عالي الإسناد في الحديث.(٥٢/٩)

سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة

في هذه السنة جهّز شرف الدولة عسكراً كثيفاً مع قراتكين الجهشياريّ، وهو مقدّم عسكره وكبيرهم، وأمرهم بالمسير إلى بدر بن حسنويه وقتاله.

وسبب ذلك أن شرف الدولة كان مَغيظاً حنقاً على بدر لانحرافه عنه، وميله إلى عمّه فخر الدولة، فلمّا استقرّ ملكه ببغداد وأطاعه الناس شرع في أمر بدر، وكان قراتكين قد جاوز الحدّ في التحكّم والإدلال، وحماية الناس على نوّاب شرف الدولة، فرأى أن يخرجه في هذا الوجه، فإن ظفر ببدر شفى غيظه منه، وإن ظفر به بدر استراح منه.

فساروا نحو بدر، وتجهّز بدر وجمع العساكر، وتلاقيا على الوادي بقرميسين، فلما اقتتلوا انهزم بدر حتّى توارى عنه، وظنّ قراتكين وأصحابه أنه مضى على وجهه، فنزلوا عن خيولهم وتفرّقوا في خيامهم، فلم يلبثوا إلاّ ساعة حتى كرّ بدر راجعاً إليه، وأكبّ عليهم، وأعجلهم عن الركوب، وقتل منهم مقتلةً عظيمة، واحتوى على جميع ما في عسكرهم، ونجا قراتكين في نفر من غلمانه، فبلغ جسر النهروان، وأقام به حتى اجتمع إليه المنهزمون، ودخل بغداد.(٥٣/٩)

واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها، وقويت شوكته.

وأما قراتكين فإنه لما عاد من الهزيمة زاد إدلاله وتجنّيه، وأغرى العسكر بالشغب والتوثّب على الوزير أبي منصور بن صالحان، فلقوه بما يكره، فلاطفهم ودفعهم، وأصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين، وشرع في إعمال الحيلة على قراتكين، فلم تمض غير أيّام حتى قبض عليه وعلى جماعة من أصحابه، وكتّابه، وأخذ أموالهم، وشغب الجند لأجله، فقتله شرف الدولة، فسكنوا، وقدّم عليهم طُغان الحاجب، فصلحت طاعته.

ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة

في هذه السنة جمع المنصور، صاحب إفريقية، عساكره وسار إلى كتامة قاصداً حربها.

وسبب ذلك أن العزيز باللّه العلويّ بمصر كان قد أرسل داعياً له إلى كتامة، يقال له أبو الفهم، واسمه حسن بن نصر، يدعوهم إلى طاعته، وغرضه أن تميل كتامة إليه وترسل إليه جنداً يقاتلون المنصور، ويأخذون إفريقية منه، لما رأى من قوته. فدعاهم أبو الفهم، فكثر تبعه، وقاد الجيوش، وعظم شأنه، وعزم المنصور على قصده، فأرسل إلى العزيز بمصر يعرّفه الحال، فأرسل العزيز رسولَيْن إلى المنصور ينهاه عن التعرّض لأبي الفهم وكتامة، وأمرهما أن يسيرا إلى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور.

فلما وصلا إلى المنصور وأبلغاه رسالة العزيز أغلظ القول لهما وللعزيز(٥٤/٩)أيضاً، وأغلظا له، فأمرهما بالمقام عنده بقيّة شعبان ورمضان، ولم يتركهما يمضيان إلى كتامة، وتجهّز لحرب كتامة وأبي الفهم، وسار بعد عيد الأضحى، فقصد مدينة ميلة، وأراد قتل أهلها وسبي نسائهم وذراريهم، فخرجوا إليه يتضرّعون ويبكون فعفا عنهم، وخرّب سورها، وسار منها إلى كتامة والرسولان معه.

فكان لا يمرّ بقصر ولا منزل إلاّ هدمه، حتى بلغ مدينة سطيف، وهي كرسيّ عزّهم، فاقتتلوا عندها قتالاً عظيماً، فانهزمت كتامة، وهرب أبو الفهم إلى جبل وعر فيه ناس من كتامة يقال لهم بنو إبراهيم، فأرسل إليهم المنصور يتهددهم إن لم يسلّموه، فقالوا: هو ضيفُنا ولا نسلّمه، ولكن أرسل أنت إليه فخذه ونحن لا نمنعه. فأرسل فأخذه، وضربه ضرباً شديداً، ثم قتله وسلخه، وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة، وعاد إلى أشير، وردّ الرسولين إلى العزيز فأخبراه بما فعل بأبي الفهم، وقالا: جئنا من عند شياطين يأكلون الناس. فأرسل العزيز إلى المنصور يطيّب قلبه، وأرسل إليه هديّة، ولم يذكر له أبا الفهم.

ذكر معاودة باذ القتال

في هذه السنة تجدّد لباذ الكرديّ طمع في بلاد الموصل وغيرها.

وسبب ذلك أن سعداً الحاجب الذي تقدّم ذكره توفي بالموصل، فسيّر إليه أبا نصر خواشاذه، وجهّز إليه العساكر، وكتب يستمدّ(٥٥/٩)من شرف الدولة العساكر والأموال، فتأخرت الأموال عنه،فأحضر العرب من بني عُقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها، وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين، ولم يقدر على النزول إلى الصحراء، وأرسل أخاه في عسكر، فقاتلوا العرب، فقُتل أخوه وانهزم عسكره، وأقام بعضهم مقابل بعض.

فبينما هم كذلك أتاهم الخبر بموت شرف الدولة، فعاد خواشاذه إلى الموصل وأظهر موته، وأقامت العرب بالصحراء تمنع باذاً من النزول إليها، وباذ بالجبل، وكان خواشاذه يصلح أمره ليعاود حرب باذ، فأتاه إبراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جلس الطائع للّه لشرف الدولة جلوساً عامّاً وحضره أعيان الدولة، وخلع عليه، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه.

وفيها وُلد الأمير أبو عليّ الحسن بن فخر الدولة في رجب.

وفيها سار الصاحب بن عبّاد إلى طَبَرِستان فأصلحها، ونفى المتغلّبين عنها، وفتح عدّة حصون منها: حصن قريم، وعاد في سنته.

وفيها عصى الأمير أبو منصور بن كوريكنج، صاحب قزوين، على فخر(٥٦/٩)الدولة، فلاطفه فخر الدولة، وبذل له الأمان والإحسان، فعاد إلى طاعته.

وفيها، في رمضان، حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامّة بمدينة الموصل، قُتل فيها مقتلة عظيمة، ثم أُصلح الحال بين الطائفتين.

وفيها تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني، وغلت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد، واستسقى الناس مرّتين فلم يُسقوا، حتّى جاء المطر سابع عشر كانون الثاني، وزال القنوط، وتتابعت الأمطار.(٥٧/٩)

سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

ذكر القبض على شُكر الخادم

في هذه السنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم، وكان أخصّ الناس عند والده عضد الدولة وأقربهم إليه، يرجع إلى قوله ويعوّل عليه.

وكان سبب قبضه أنّه كان أيّام والده يقصد شرف الدولة ويؤذيه، وهو الذي تولى إبعاده إلى كَرْمان من بغداد، وقام بأمر صمصام الدولة، فحقد عليه شرف الدولة ذلك، فلمّا ملك شرف الدولة العراق اختفى شُكر، فطلبه أشدّ الطلب فلم يوجد، وكان له جارية حبشيّة قد تزوّجها، فطلبها إليه، فأقامت عنده مدّة تخدمه.

وكان قد علق بقلبها غيره، فصارت تأخذ المأكول وغيره وتحمله إلى حيث شاءت، فأحسّ بها شُكر، فلم يحتملها، فضربها، فخرجت غَضْبى إلى باب شرف الدولة، فأخبرت بحال شُكر، فأُخذ وأُحضر عند شرف الدولة، فأراد قتله، فشفع فيه نحرير الخادم، فوهبه له، واستأذنه في الحجّ، فأذن له، فسار إلى مكّة ثم منها إلى مصر، فنال هناك منزلة كبيرة، وسيرد خبره إن شاء اللّه تعالى.(٥٨/٩)

ذكر عزل بكجور عن دمشق

في هذه السنة عزل بكجور عن دمشق.

وسبب ذلك أنّه أساء السيرة في دمشق، وفعل الأعمال الذميمة، وكان الوزير يعقوب بن كلّس منحرفاً عنه، يسيء الرأي فيه، وانضاف إلى ذلك ما فعله بأصحابه بدمشق على ما ذكرناه. فلمّا بلغه فعله بدمشق تحرّك في عزله، وقبّح ذكره عند العزيز باللّه، فأجابه إلى ذلك، فجُهّزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم، فساروا إلى الشام.

فجمع بكجور العرب وغيرها وخرج، فلقي العسكر المصريّ عند داريا، وقاتلهم، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم بكجور وعسكره، وخاف من وصول نزّال والي طرابلس، وكان قد كوتب من مصر بمعاضدة منير، فلما انهزم بكجور خاف أن يجيء نزّال فيؤخذ، فأرسل يطلب الأمان ليسلم البلد إليهم، فأجابوه إلى ذلك، فجمع ماله جميعه وسار، وأخفى أثره لئلاّ يغدر المصريون به، وتوجّه إلى الرّقّة فاستولى عليها، وتسلّم منير البلد، ففرح به أهله وسرّهم ولايته، وسنذكر سنة إحدى وثمانين [وثلاثمائة]باقي أخباره وقتله، إن شاء اللّه تعالى.

ذكر ظفر الأصفر بالقرامطة

في هذه السنة جمع إنسان يُعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كثيراً، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قُتل فيها مقدّم القرامطة، وانهزم أصحابه(٥٩/٩)وقتل منهم، وأُسر كثير.

وسار الأصفر إلى الأحساء، فتحصّن منه القرامطة، فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها إلى البصرة.

ذكر نكتة حسنة

في هذه السنة أهدى الصاحب بن عبّاد، أول المحرّم، إلى فخر الدولة ديناراً وزنه ألف مثقال، وكان على أحد جانبيه مكتوب:

وأحمر يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً ... فأوصافه مشتقّة من صفاته
فإن قيل دينار فقد صدّقَ اسمُهُ ... وإن قيل ألف كان بعض سماته
بديع، ولم يطبع على الدهر مثله ... ولا ضُربت أضرابُهُ لسُراته
فقد أبرَزَتْهُ دولَةٌ فلكيّةٌ ... أقام بها الإقبال صدر فتاته
وصار إلى شاهانشاه انتسابه ... على أنه مستصغر لعُفاته
يخبّر أن يبقى سنين كوزنه ... لتستبشر الدنيا بطول حياته
تأنّق فيه عبدُهُ، وابن عبده ... وغرسُ أياديه، وكافي كُفاته

وكان على الجانب الآخر سورة الإخلاص، ولقب الخليفة الطائع للّه، ولقب فخر الدولة، واسم جُرجان لأنّه ضُرب بها. قوله: دولة فلكيّة يعني أنّ لقب فخر الدولة كان فلك الأمّة. وقوله: وكافي كفاته، فإن الصاحب كان لقبه كافي الكُفاة.(٦٠/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تتابعت الأمطار، وكثرت البروق والرعود، والبَرَد الكبار، وسالت منه الأودية، وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخربت المساكن، وامتلأت الأقناء طيناً وحجارةً، وانقطعت الطرق.

وفيها عصى نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة، واجتاز به أحمد بن سعيد الشبيبيّ الخراسانيّ مقبلاً من الرَّيّ ومعه عسكر من الديلم لمحاربته، فلمّا رأى الجدّ في أمره راسل فخر الدولة، وعاود طاعته، فأجابه إلى قبول ذلك منه وأقرّه على حاله.

وفيها توفّي الأمير أبو عليّ بن فخر الدولة في رجب.

وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدّة الحرّ، فمات خلق كثير حتّى امتلأت منهم الشوارع.

وفي شعبان كثرت الرياح العواصف، وجاءت وقت العصر، خامس شعبان، ريح عظيمة بفم الصلح، فهدمت قطعة من الجامع، وأهلكت جماعة من الناس، وغرّقت كثيراً من السفن الكبار المملوءة، واحتملت زورقاً منحدراً فيه دوابّ، وعدّة من السفن، وألقت الجميع على مسافة من موضعها.

وفيها توفي أبو بكر محمّد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد، كان محدّثاً مكثراً، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين.

وأبو حامد محمّد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم النيسابوريّ، في ربيع الأوّل، وهو صاحب التصانيف المشهورة.(٦١/٩)

سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

ذكر سمل صمصام الدولة

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل أخيه صمصام الدولة، وشرف الدولة يُعرض عن كلامه، فلمّا اعتلّ شرف الدولة واشتدّت علّته ألحّ عليه نحرير وقال له: الدولة معه على خطر، فإن

لم تقتله فاسلمه. فأرسل في ذلك محمد الشيرازيّ الفرّاش، فمات شرف الدولة قبل أن يصل الفرّاش إلى صمصام الدولة، فلمّا وصل الفرّاش إلى القلعة التي بها صمصام الدولة لم يقدم على سمله، فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هناك، فأشار بذلك، فسمله. وكان صمصام الدولة يقول: ما أعماني إلاّ العلاء لأنّه أمضى فيّ حكم سلطان قد مات.

ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة

في هذه السنة، مستهلّ جمادى الآخرة، توفي الملك شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة مستسقياً، وحُمل إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام، فدُفن به، وكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر،(٦٢/٩)وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة وخمسة أشهر.

ولما اشتدّت علّته سيّر ولده أبا عليّ إلى بلاد فارس، وأصحبه الخزائن والعُدد وجماعة كثيرة من الأتراك، فلمّا أيس أصحابه منه اجتمع إليه أعيانهم وسألوه أن يملّك أحداً، فقال: أنا في شغل عمّا تدعونني إليه. فقالوا له ليأمر أخاه بهاء الدولة أبا نصر أن ينوب عنه إلى أن يعافى ليحفظ الناس لئلاّ تثور فتنة، ففعل ذلك، وتوقّف بهاء الدولة ثم أجاب إليه.

فلمّا مات جلس بهاء الدولة في المملكة، وقعد للعزاء، وركب الطائع لله أمير المؤمنين إلى العزاء في الزبزب، فتلقّاه بهاء الدولة، وقبّل الأرض بين يديْه، وانحدر الطائع لله إلى داره، وخلع على بهاء الدولة خِلع السلطنة، وأقرّ بهاء الدولة أبا منصور بسن صالحان على وزارته.

ذكر مسير الأمير أبي عليّ بن شرف الدولة إلى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة

لما اشتدّ مرض شرف الدولة جهز ولده الأمير أبا عليّ وسيّره إلى فارس ومعه والدته وجواريه، وسيّر معه من الأموال والجواهر والسلاح أكثرها. فلمّا بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة، فسيّر ما معه في البحر إلى أرّجان، وسار هو مجدّاً إلى أن وصل إليها، واجتمع معه من بها من الأتراك، وساروا نحو شيراز، وكاتبهم متولّيها وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول إليها ليسلّمها إليهم، وكان المرتّبون في القلعة التي بها صمصام(٦٣/٩)الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقوهما ومعهما فولاذ وساروا إلى سيراف.

واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم. وسار الأمير أبو عليّ إلى شيراز، ووقعت الفتنة بها بين الأتراك والديلم، وخرج الأمير أبو عليّ من داره إلى معسكر الأتراك، فنزل معهم، واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلّموه إلى صمصام الدولة، فرأوه قد انتقل إلى الأتراك، فكشفوا القناع، ونابذوا الأتراك، وجرى بينهم قتال عدّة أيّام.

ثم سار أبو عليّ والأتراك إلى فَسا، فاستولوا عليها وأخذوا ما بها من مال، وقتلوا من بها من الديلم، وأخذوا أموالهم وسلاحهم فقووا بذلك.

وسار أبو عليّ إلى أرّجان، وعاد الأتراك إلى شيراز، فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم، ونهبوا البلد، وعادوا إلى أبي عليّ بأرّجان، وأقاموا معه مُدَيْدة.

ثم وصل رسول من بهاء الدولة إلى أبي عليّ وأدّى الرسالة، وطيّب قلبه ووعده، ثم إنه راسل الأتراك سرّاً، واستمالهم إلى نفسه، وأطمعهم، فحسّنوا لأبي عليّ المسير إلى بهاء الدولة، فسار إليه، فلقيه بواسط منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانين وثلاثمائة، فأنزله وأكرمه، وتركه عدّة أيّام، وقبض عليه، ثم قتله بعد ذلك بيسير، وتجهّز بهاء الدولة للمسير إلى الأهواز لقصد بلاد فارس.

ذكر الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم

وفي هذه السنة أيضاً وقعت الفتنة في بغداد بين الأتراك والديلم،واشتدّ الأمر، ودام القتال بينهم خمسة أيّام، وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصُّلح، فلم(٦٤/٩)يسمعوا قوله، وقُتل بعض رُسُله.

ثم إنّه خرج إلى الأتراك، وحضر القتال معهم، فاشتدّ حينئذ الأمر، وعظم الشرّ، ثم إنّه شرع في الصلح، ورفق بالأتراك، وراسل الديلم، فاستقرّ الحال بينهم، وحلف بعضهم لبعض، وكانت مدّة الحرب اثني عشر يوماً.

ثم إنّ الديلم تفرّقوا، فمضى فريق بعد فريق، وأُخرج بعضهم، وقُبض على البعض، فضعف أمرهم، وقويت شوكة الأتراك، واشتدّت حالهم.

ذكر مسير فخر الدولة إلى العراق وما كان منه

وفي هذه السنة سار فخر الدولة من الرّيّ إلى همذان، عازماً على قصد العراق والاستيلاء عليها.

وكان سبب حركته أنّ الصّاحب بن عبّاد كان يحبّ العراق لا سيّما بغداد، ويؤثر التقدّم بها، ويرصد أوقات الفرصة،فلمّا توفي شرف الدولة علم أنّ الفرصة قد أمكنت، فوضع على فخر الدولة من يعظّم عنده ملك العراق، ويسهّل أمره عليه، ولم يباشر هو ذلك خوفاً من خطر العاقبة، إلى أن قال له فخر الدولة: ما عندك في هذا الأمر؟ فأحال على أن سعادته تسهّل كل صعب، وعظّم البلاد؛ فتجهز وسار إلى همذان، وأتاه بدر بن حسنويه، وقصده دبيس بن

عفيف الأسديّ، فاستقرّ الأمر على أن يسير الصاحب بن عبّاد وبدر إلى العراق على الجادّة، ويسير فخر الدولة إلى خوزستان. فلما سار الصّاحب حذر فخر الدولة من ناحيته، وقيل له ربّما استماله أولاد عضد الدولة، فاستعاده إليه، وأخذه معه إلى الأهواز فملكها، وأساء السيرة مع جندها، وضيّق عليهم، ولم يبذل المال، فخابت ظنون الناس فيه، واستشعر منه أيضاً عسكره، وقالوا(٦٥/٩) هكذا يفعل بنا إذا تمكّن من إرادته، فتخاذلوا.

وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثّراً بما قيل عنه من اتّهامه، فالأمور بسكوته غير مستقيمة. فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم إلى الأهواز سيّر إليهم العساكر، والتقوا هم وعساكر فخر الدولة.

فاتّفق أنّ دجلة الأهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة، وانفتحت البثوق منها، فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة، فانهزموا، فقلق فخر الدولة من ذلك، وكان قد استبدّ برأيه، فعاد حينئذ إلى رأي الصاحب، فأشار ببذل المال، واستصلاح الجند، وقال له: إن الرأي في مثل هذه الأوقات إخراج المال وترك مضايقة الجند، فإن أطلقت المال ضمنتُ لك حصول أضعافه بعد سنة، فلم يفعل ذلك، وتفرّق عنه كثير من عسكر الأهواز، واتّسع الخرق فيه، وضاقت الأمور به، فعاد إلى الرّيّ، وقبض في طريقه على جماعة من القوّاد الرازيّين، وملك أصحاب بهاء الدولة الأهواز.

ذكر هرب القادر باللّه إلى البطيحة

في هذه السنة هرب القادر باللّه من الطائع لله إلى البطيحة فاحتمى فيها.

وكان سبب ذلك أنّ إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخت له منازعة في ضيعة وطال الأمر بينهما. ثم إن الطائع لله مرض مرضاً أشفى منه، ثم أبلّ، فسعت إليه بأخيه القادر وقالت له: إنّه شرع في طلب الخلافة عند مرضك؛ فتغيّر رأيه فيه، فأنفذ أبا الحسن بن النعمان وغيره(٦٦/٩)للقبض عليه، وكان بالحريم الطاهريّ، فأصعدوا في الماء إليه.

وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلاً يقرأ عليه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣] فهو يحكي هذا المنام لأهله ويقول: أنا خائف من طالب يطلبني؛ ووصل أصحاب الطائع لله إليه واستدعوه، فأراد لبس ثيابه، فلم يمكّنوه من مفارقتهم، فأخذه النساء منهم قهراً، وخرج عن داره واستتر، ثم سار إلى البطيحة، فنزل على مهذب الدولة، فأكرم نزله، ووسّع عليه، وحفظه، وبالغ في خدمته، ولم يزل عنده إلى أن أتته الخلافة، فلما وليها جعل علامته﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

ذكر عود بني حمدان إلى الموصل

في هذه السنة ملك أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد اللّه الحسين ابنا ناصر الدولة ابن حمدان الموصل.

وسبب ذلك أنّهما كانا في خدمة شرف الدولة ببغداد، فلمّا توفّي وملك بهاء الدولة استأذنا في الإصعاد إلى الموصل، فأذن لهما، فأصعدا، ثم علم القوّاد الغلط في ذلك، فكتب بهاء الدولة إلى خواشاذه، وهو يتولّى الموصل، يأمره بدفعهما عنها، فأرسل إليهما خواشاذه يأمرهما بالعود عنه، فأعادا جواباً جميلاً، وجدّا في السير حتّى نزلا بالدير الأعلى بظاهر الموصل.(٦٧/٩)

وثار أهل الموصل بالديلم والأتراك، فنهبوهم، وخرجوا إلى بني حمدان، وخرج الديلم إلى قتالهم، فهزمهم المواصلة وبنو حمدان، وقُتل منهم خلق كثير، واعتصم الباقون بدار الإمارة، وعزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم، فمنعهم بنو حمدان عن ذلك، وسيّروا خواشاذه ومن معه إلى بغداد، وأقاموا بالموصل، وكثر العرب عندهم.

ذكر خلاف كتامة على المنصور

وفي هذه السنة خرج إنسان آخر من كتامة يقال له أبو الفرج، لا يُعرف من أي موضع هو، وزعم أنّ أباه ولد القائم العلويّ، جدّ المعزّ لدين اللّه، فعمل أكثر ممّا عمله أبو الفهم، واجتمعت إليه كتامة، واتّخذ البنود والطبول، وضرب السكّة، وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره بمدينة ميلة وسَطيف حروب كثيرة ووقعات متعدّدة، فسار المنصور إليه في عساكره، وزحف هو إلى المنصور في عساكر كتامة، فكان بينهما حرب شديدة، فانهزم أبو الفرج وكتامة، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، واختفى أبو الفرج في غار في جبل، فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه وأتيا به المنصور، فسرّه ذلك وقتله شرّ قتلة.

وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر، وبثّ عمّاله فيها، ولم يدخلها عامل قبل ذلك، فجبوا أموالها، وضيّقوا على أهلها.

ورجع المنصور إلى مدينة أشير، فأتاه سعيد بن خزرون الزناتيّ، وكان أبوه قد تغلّب على سجلماسة سنة خمس وستين و ثلاثمائة، وصار في طاعة المنصور، واختصّ به، وعلت منزلته عنده، فقال له المنصور يوماً: يا سعيد هل تعرف أحداً أكرم منّي؟وكان قد وصله بمال كثير، فقال: نعم!أنا(٦٨/٩) أكرم منك. فقال المنصور: وكيف ذلك؟ قال: لأنّك جدْتَ عليّ بالمال، وأنا جدْت عليك بنفسي.فاستعمله المنصور على طبنة، وزوّج ابنه ببعض بنات سعيد. فلامه على ذلك بعض أهله، فقال: كان أبي وجدّي يستتبعانهم بالسيف،و[أما]أنا فمن رماني رميته بكيس، حتى

تكون مودّتهم طبعاً واختياراً.

ورجع سعيد إلى أهله وبقي إلى سنة إحدى وثمانين[وثلاثمائة]، ثم عاد إلى المنصور زائراً، فاعتلّ سعيد أيّاماً، وتوفي أول رجب. ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور، فأحسن إليه، وحمل إليه مالاً كثيراً، فردّه إلى طبنة ولاية أبيه.

ذكر خلاف عم المنصور عليه

وفي هذه السنة أيضاً خالف أبو البهار عمّ المنصور بن يوسف بُلكّين، صاحب إفريقية، عليه لشيء جرى عليه من المنصور لم يحمله له لعزّة نفسه، فسار المنصور إليه بتاهرت، ففارقها عمّه إلى الغرب بمن معه من أهله وأصحابه، ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها، ثم طلب أهلها الأمان فأمّنهم، ثم سار في طلب عمّه حتى جاوز تاهرت سبع عشرة مرحلة، ولقي العسكر شدّة.

وقصد عمّه زيري بن عطيّة، صاحب فاس، فأكرمه، وأعلى محلّه، وبقي جنده يغيرون على نواحي المنصور.

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قصدوا النواحي المجاورة لفاس، فأوقعوا(٦٩/٩)بأصحاب المنصور بها واستولوا عليها. ثم ندم أبو البهار، فسار إلى المنصور معتذراً مما جرى منه، فقبله المنصور، وأحسن إليه وأكرمه، وحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مال وغيره.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن محمد بن عمر العلويّ الكوفيّ، وكان قد عظم شأنه مع شرف الدولة، واتّسع جاهه، وكثرت أمواله، فلمّا ولّي بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلّم إليه، وأطمعه في أموال وملكه، وعظم ذلك عنده وقبض عليه.

وفيها أسقط بهاء الدولة ما كان يأخذ من المراعي من سائر السواد.

وفيها ولد الأمير أبو طالب رستم بن فخر الدولة.

وفيها خرج ابن الجرّاح الطّائيّ على الحجّاج بن سميراء وفيد ونازلهم، فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم، وشيء من الثياب، فأخذها وانصرف.

وفيها بُني جامع القطيعة ببغداد.

وفيها توفّي محمّد بن أحمد بن العبّاس بن أحمد بن جلاّد أبو العبّاس السلميّ النّقّاش، كان من متكلّمي الأشعريّة، وعنه أخذ أبو عليّ بن شاذان الكلام، وكان ثقةً في الحديث.(٧٠/٩)

سنة ثمانين وثلاثمائة

ذكر قتل باذ

في هذه السنة قتل باذ الكرديّ، صاحب ديار بكر.

وكان سبب قتله أن أبا طاهر والحسين ابنيْ حمدان لما ملكا الموصل طمع فيها باذ، وجمع الأكراد فأكثر، وممّن أطاعه الأكراد البشنويّة أصحاب قلعة فنك، وكانوا كثيراً، ففي ذلك يقول الحسين البشنويّ الشّاعر لبني مروان يعتدّ عليهم بنجدتهم حالهم باذاً من قصيدة:

البشنويّة أنصار لدولتكم ... وليس في ذا خفاً في العُجم والعرب

أنصار باذٍ بأرجيش وشيعته ... بظاهر الموصل الحدباء في العطب

بياجُلايا جلونا عنه غمّته ... ونحن في الرّوع جلاّدون للكرب

وكاتب أهل الموصل فاستمالهم، فأجابه بعضهم فسار إليهم، ونزل بالجانب الشرقيّ فضعف عنه، وراسلا أبا الذوّاد محمد بن المسيّب، أمير بني(٧١/٩)عقيل،واستنصراه، فطلب منهما جزيرة ابن عمر، ونصيبين، وبلدا، وغير ذلك، فأجاباه إلى ما طلب، واتفقوا، وسار إليه أبو عبد اللّه بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذاً .

فلما اجتمع أبو عبد اللّه وأبو الذوّاد سارا إلى بلد، وعبرا دجلة وصارا مع باذ على أرض واحدة وهو لا يعلم، فأتاه الخبر بعبورهما وقد قارباه، فأراد الانتقال إلى الجبل لئلاّ يأتيه هؤلاء من خلفه وأبو طاهر من أمامه، فاختلط أصحابه، وأدركه الحمدانية، فناوشهم القتال، وأراد باذ الانتقال من فرس إلى آخر، فسقط واندقّت ترقُوته، فأتاه ابن أخته أبو علي بن مروان، وأراده على الركوب فلم يقدر، فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل .

ووقع باذ بين القتلى فعرفه بعض العرب فقتله وحمل راسه إلى بني حمدان وأخذ جائزة سنيّة، وصلبت جثته على دار الإمارة، فثار العامة وقالوا: رجل غاز، ولا يحل فعل هذا به؛ وظهر منهم محبة كثيرة له، وأنزلوه وكفّنوه وصلوا عليه ودفنوه .

ذكر ابتداء دولة بني مروان

لما قتل باذ سار ابن أخته أبو علي بن مروان في طائفة من الجيش إلى حصن كيفا، وهو على دجلة، وهو من أحصن المعاقل، وكان به امرأة باذ وأهله،فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله : قد أنفذني خالي إليك في مهم ؛ فظنّته حقا، فلما صعد إليها أعلمها بهلاكه، وأطمعها في التزوج بها، فوافقته على ملك الحصن وغيره، ونزل وقصد حصنا حصنا، حتى ملك ما كان لخاله، وسار إلى ميافارقين ؛ وسار إليه أبو طاهر وأبو عبد اللّه ابنا حمدان طمعا فيه،

ومعهما رأس باذ، فوجدا أبا علي قد أحكم أمره، فتصافّوا واقتتلوا، وظفر أبو (٧٢/٩) عليّ وأسر أبا عبد اللّه بن حمدان، فأكرمه وأحسن إليه، ثم أطلقه فسار إلى أخيه أبي طاهر،وهو بآمد يحصرها، فأشار عليه ابن مروان فواقعاه، فعزمهما وأسر أبا عبد اللّه أيضاً فأساء إليه وضيّق عليه، إلى أن كاتبه صاحب مصر وشفع فيه فأطلقه ومضى إلى مصر وتقلّد منها ولاية حلب، وأقام بتلك الديار إلى أن توفّي .

وأما أبو طاهر فإنه لما وصل إلى نصيبين قصده أبو الذوّاد فأسر وعليّاً ابنه، والمُزعفَر أمير بني نمير، وقتلهم صبراً .

وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها، وأحسن إلى أهلها، وألانَ جانبه لهم، فطمع فيه أهل ميّافارقين، فاستطالوا على أصحابه، فأمسك عنهم إلى يوم العيد، وقد خرجوا إلى المصلّى، فلما تكاملوا في الصحراء وافى إلى البلد، وأخذ أبا الصقر شيخ البلد فألقاه من على السور، وقبض على من كان معه، وأخذ الأكراد ثياب الناس خارج البلد، وأغلق أبواب البلد، وأمر أهله أن ينصرفوا حيث شاؤوا، ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب .

وكان قد تزوّج ستّ الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، فأتته من حلب، فعزم على زفافها بآمد، فخاف شيخ البلد، واسمه عبد البرّ، أن يفعل بهم مثل فعله بأهل ميّافارقين، فأحضر ثقاته وحلّفهم على كتمان سرّه، وقال لهم : قد صحّ عزم الأمير على أن يفعل بكم مثل فعله بأهل ميّافارقين، وهو يدخل من باب الماء ويخرج من باب الجهاد، فقِفوا له في الدركاه، وانثروا عليه هذه الدراهم، ثم اعتمدوا بها وجهه، فإنه سيغطّيه بكمّه، فاضربوه بالسكاكين في مقتله ؛ ففعلوا .(٧٣/٩)

وجرت الحال كما وصف، وتولّى قتله إنسان يقال [له] ابن دمنه كان فيه إقدام وجُرأة، فاختبط الناس وماجوا، فرمى برأسه إليهم، فأسرعوا السير إلى ميّافارقين .

وحدّث جماعة من الأكراد نفوسهم بملك البلد، فاستراب بهم مستحفظ ميّافارقين لإسراعهم، وقال : إن كان الأمير حيّاً فادخلوا معه، وإن كان قتل فأخوه مستحقّ لموضعه . فما كان بأسرع من أن وصل ممهّد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي عليّ إلى ميّافارقين، ففتح له باب البلد فدخله وملكه، ولم يكن له فيه إلاّ السكّة والخطبة لما نذكره.

وأمّا عبد البرّ فاستولى على آمد، وزوّج ابن دمنة، الذي قتل أبا عليّ، ابنته فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله، وملك آمداً، وعمر البلد، وبنى لنفسه قصراً عند السور وأصلح أمره مع ممهّد الدولة، وهادى ملك الروم، وصاحب مصر، وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره.

وأمّا ممهّد الدولة فإنه كان معه إنسان من أصحابه يسمّى شروة، حاكماً في مملكته، وكان لشروة غلام قد ولاّه الشُرطة، وكان ممهّد الدولة يبغضه، ويريد قتله، ويتركه احتراماً لصاحبه، ففطن الغلام لذلك، فأفسد ما بينهما، فعمل شروة طعاماً بقلعة الهتّاخ، وهي إقطاعه، ودعا إليها ممهّد الدولة، فلمّا حضر عنده قتله، وذلك سنة اثنتين وأربعمائة، وخرج من الدار إلى بني عمّ ممهّد الدولة، فقبض عليهم وقيّدهم، وأظهر أنّ ممهّد الدولة أمره بذلك، ومضى إلى ميّافارقين وبين يديه المشاغل، ففتحوا له ظنّاً منهم أنّه ممهّد الدولة، فملكها، وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعيهم، وأنفذ إنساناً(٧٤/٩) إلى أرزن ليحضر متولّيها، ويُعرف بخواجه أبي القاسم، فسار خواجه نحو ميّافارقين، ولم يسلّم القلعة إلى القاصد إليه .

فلمّا توسّط الطريق سمع بقتل ممهّد الدولة، فعاد إلى أرزن، وأرسل إلى أسعرد، فأحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهّد الدولة، وكان أخوه قد أبعده عنه، وكان يبغضه لمنام رآه وهو أنه رأى كأن الشمس سقطت في حجره، فنازعه أبو نصر عليها وأخذها، فأبعده لهذا، وتركه بأسعرد مضيّقاً عليه، فلما استدعاه خواجه قال له دُبَير : تفلح؟ قال : نعم .

وكان شروة قد أنفذ إلى أبي نصر، فوجده قد سار إلى أرزن، فعلم حينئذ، انتقاض أمره . وكان مروان والد ممهّد الدولة قد أضرّ، وهو بأرزن، عند قبر ابنه أبي عليّ، هو وزوجته، فأحضر خواجه أبا نصر عندهما، وحلّفه على القبول منه، والعدل، وأحضر القاضي والشهود على اليمين وملّكه أرزن، ثم ملك سائر بلاد ديار بكر، فدامت أيّامه، وأحسن السيرة، وكان مقصداً للعلماء من سائر الآفاق، وكثروا ببلاده .

وممّن قصده أبو عبد اللّه الكازرونيّ، وعنه انتشر مذهب الشافعيّ بديار بكر، وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم، وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة إلى سنة ثلاث وخمسين، فتوفّي فيها، وكان عمره نيّفا وثمانين سنة، وكانت الثغور معه آمنة، وسيرته في رعيّته أحسن سيرة، فلما مات ملك بلاده ولده. (٧٥/٩)

ذكر ملك آل المسيّب الموصل

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي عليّ بن مروان، كما ذكرناه، سار إلى نصيبين في قلّة من أصحابه، وكانوا قد تفرّقوا، فطمع فيه أبو الذوّاد محمد بن المسيّب، أمير بني عُقيل، وكان صاحب نَصيبين حينئذ، كما ذكرناه، فثار بأبي طاهر، فأسره وأسر ولده وعدّة من قوّادهم، وقتلهم، وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها، وكاتب بهاء الدولة يسأله أن ينفذ إليه من يقيم عنده من

أصحابه يتولّى الأمور، فسيّر إليه قائداً من قوّاده .

وكان بهاء الدولة قد سار من العراق إلى الأهواز، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى . وأقام نائب بهاء الدولة، وليس له من الأمر شيء ولا يحكم إلاّ فيما يريده أبو الذوّاد، وسيرد من ذكره وذكر عقبه ما تقف عليه إن شاء اللّه تعالى .

ذكر مسير بهاء الدولة إلى الأهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة

في هذه السنة سار بهاء الدولة عن بغداد إلى خوزستان عازما على قصد فارس، واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه، ووصل إلى البصرة ودخلها، وسار عنها إلى خوزستان، فأتاه نعي أخيه أبي طاهر، فجلس للعزاء به، ودخل أرّجان فاستولى عليها وأخذ ما فيها من الأموال، فكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم، ومن الثياب والجواهر ما لا يحصى، فلمّا علم الجند(٧٦/٩)بذلك شغبوا شغباً متتابعا فأطلقت تلك الأموال كلّها لهم ولم يبق منها إلاّ القليل. ثم سارت مقدّمته وعليها أبو العلاء بن الفضل إلى النوبندجان، وبها عساكر صمصام الدولة، فهزمهم، وبثّ أصحابه في نواحي فارس، فسيّر إليهم صمصام الدولة عسكراً وعليهم فولاذ زماندار، فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوماً.

وكان سبب الهزيمة أنّه كان بين العسكرَيْن وادٍ وعليه قنطرة، وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على أثقال الديلم، عسكر صمصام الدولة، فوضع فولاذ كميناً عند القنطرة، فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم فقتلوهم جميعهم، وراسل فولاذ أبا العلاء وخدعه، ثم سار إليه وكسبه، فانهزم من بين يديه وعاد إلى أرّجان مهزوماً، وغلت الأسعار بها.

ولما بلغ الخبر إلى صمصام الدولة سار عن شيراز إلى فولاذ، وتردّدت الرسل في الصلح، فتمّ على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرّجان، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق، وأن يكون لكلّ واحد منهما إقطاع في بلد صاحبه، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز.

ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيّارون بجانبيْ بغداد، ووقعت الفتن بين السّنة والشيعة، وكثر القتل بينهم، وزالت الطاعة، وأُحرق عدّة محالّ، ونُهبت الأموال، وأُخربت المساكن، ودام ذلك عدّة شهور إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد.(٧٧/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير قبل مسيره إلى خوزستان، وكان المدبّر لدولة بهاء الدولة أبا الحسين المعلّم، وإليه الحكم.

وفيها توفّي أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس، وزير العزيز، صاحب مصر، وكان كامل الأوصاف، متمكّناً من صاحبه، فلمّا مرض عاده العزيز صاحب مصر، وقال: وددْتُ أنّك تباع فأبتاعك بملكي، فهل من حاجة ترضى بها؟ فبكى، وقبّل يده، ووضعها على عينه، وقال: أمّا فيما يخصّني فإنّك أرعى لحقّي من أن أوصّيك بمخلّفي، ولكن فيما يتعلّق بدولتك سالم الحمدانيّة، ما سالموك، واقنع منهم بالدّعة، وإن ظفرت بالمفرّج فلا تُبق عليه.

فلما مات حزن العزيز عليه، وحضر جنازته، وصلّى عليه، وألحده بيده في قصره، وأغلق الدواوين عدّة أيّام، واستوزر بعده أبا عبد اللّه الموصليّ، ثم صرفه، وقلّد عيسى بن نسطورس النصرانيّ، فمال مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى، وجرى على المسلمين تحامل عظيم.

وفيها، في ربيع الأول، قلّد الشريف أبو أحمد والد الرضي نقابة العلويّين(٧٨/٩)والمظالم، وإمارة الحجّ، وحجّ بالناس أبو عبد اللّه أحمد بن محمّد بن عبد اللّه العلويّ نيابةً عن النقيب أبي أحمد الموسويّ.

وفيها توفّي أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفيّ، ومولده سنة عشرين وثلاثمائة.

وفيها توفّي عبد اللّه بن محمّد بن عبد البرّ النمريّ بالأندلس، والد الإمام أبي عمر بن عبد البرّ.(٧٩/٩)

سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الطائع لله

في هذه السنة قُبض الطائع لله، قبضه بهاء الدولة، وهو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر باللّه بن المعتضد باللّه بن أبي أحمد الموفّق بن المتوكّل .

وكان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدولة قلّت عنده الأموال، فكثر شغب الجند، فقبض على وزيره سابور، فلم يغن عنه ذلك شيئاً .

وكان أبو الحسن بن المعلّم قد غلب على بهاء الدولة، وحكم في مملكته، فحسّن له القبض على الطائع، وأطمعه في ماله، وهوّن عليه ذلك وسهّله، فأقدم عليه بهاء الدولة، وأرسل إلى الطائع وسأله الإذن في الحضور في خدمته ليجدّد العهد به، فأذن له في ذلك، وجلس له كما جرت العادة، فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير، فلما دخل قبّل الأرض، وأُجلس على كُرسي، فدخل بعض

الديلم كأنه يريد [أن] يقبّل يد الخليفة فجذبه، فأنزله عن سريره، والخليفة يقول : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! وهو يستغيث ولا يُلتفت إليه، وأُخذ ما في دار الخليفة من الذخائر فمشوا به [في] الحال، ونهب الناس بعضهم بعضاً، وكان(٨٠/٩) من جملتهم الشريف الرضي فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتاً من جُملتها :

من بعد ما كان ربّ المُلْك مبتسماً ... إليّ أدنُوه في النجوى ويُدْنيني
أمسيتُ أرحَمُ مَن قد كنتُ أغبِطُه، ... لقد تقارب بين العِزّ والهُونِ
ومنظرٌ كان بالشّرّاء يُضحكُني ... يا قُربَ ما عادَ بالضرّاء يُكيني
هيهاتَ أغترُّ بالسُّلطانِ ثانيةً ... قد ضلّ وُلاّجُ أبوابِ السلاطينِ

ولما حُمل الطائع إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخَلْع، وكانت مدّة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام، وحُمل إلى القادر بالله لما وليَ الخلافة، فبقي عنده إلى أن توفّي سنة ثلاث وتسعين [وثلاثمائة]، ليلة الفطر، وصلّى عليه القادر بالله، وكبّر عليه خمساً .

وكان مولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان أبيض، مربوعاً، حسن الجسم، وكان أنفه كبيراً جداً، وكان شديد القوّة، كثير الإقدام، اسم أمّه عتب، وعاشت إلى أن أدركت أيامه، ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يُعرف به حال يُستدلّ به على سيرته.

ذكر خلافة القادر بالله

لما قُبض على الطائع لله ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة، فاتفقوا على القادر بالله وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد، وأمّه أمّ ولد اسمها دمنة، وقيل تمنى، وكان بالبطيحة، كما ذكرناه، فأرسل إليه بهاء(٨١/٩) الدولة خواصّ أصحابه ليحضروه إلى بغداد ليتولّى الخلافة، فانحدروا إليه، وشغب الديلم ببغداد، ومنعوا من الخطبة، فقيل على المنبر : اللهمّ أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله، ولم يذكروا اسمه، وأرضاهم بهاء الدولة .

ولما وصل الرسل إلى القادر بالله كان تلك الساعة يحكي مناماً رآه تلك الليلة، وهو ما حكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذّب الدولة قال : كنتُ أحضر عند القادر بالله كل أسبوع مرّتين، فكان يكرمني، فدخلتُ عليه يوماً فوجدتُه قد تأهّب تأهُّباً لم تجر به عادته،ولم أر منه ما ألفته من إكرامه،واختلفت بي الظنون، فسألته عن سبب ذلك، فإن كان لزلّةٍ منّي اعتذرت عن نفسي . فقال : بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا، نهر الصليق، قد اتّسع، فصار مثل دجلة، دفعات، فسِرْتُ على حافّته متعجّباً منه، ورأيتُ قنطرة عظيمة، فقلتُ : من قد حدّث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم؟ثم صعدتها، وهي محكمة، فبينما أنا عليها أتعجب منها إذ رأيت شخصاً قد تأمّلني من ذلك الجانب، فقال: أتريد أن تعبر؟ قلت:نعم؛ فمدّ يده حتّى وصلتْ إليّ، فأخذني وعبّرني، فهالني وتعاظمني فعله، قلتُ: منْ أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب، وهذا الأمر صائر إليك، ويطول عمرك فيه، فأحسِنْ إلى ولدي وشيعتي.

فما انتهى القادر إلى هذا القول حتّى سمعنا صياح الملاّحين وغيرهم، وسألنا عن ذلك، وإذا هم الواردون إليه لإصعاده ليتولّى الخلافة، فخاطبتُهُ بإمرة المؤمنين وبايعته، وقام مهذّب الدولة بخدمته أحسن قيام، وحمل إليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخلفاء وشيّعه. فسار القادر بالله إلى بغداد، فلما دخل جُبُل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله، وساروا في خدمته، فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان، وبايعه بهاء الدولة والنّاس، وخُطب له ثالث عشر رمضان، وجدّد أمر الخلافة، وعظّم ناموسها، وسيرد من (٨٢/٩)أخباره، إن شاء الله تعالى، ما يُعلم به ذلك، وحُمل إليه بعض ما نُهب من دار الخلافة، وكانت مدّة مقامه في البطيحة سنتيْن وأحد عشر شهراً ولم يخطب له في جميع خراسان، كانت الخطبة فيها للطائع لله.

ذكر ملك خلف بن أحمد كرمان

في هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد، صاحب سجستان، وهو ابن بانوا بنت عمرو بن الليث الصّفّار، ابنه عَمْراً إلى كَرْمان فملكها.

وكان سبب ذلك أنّه كان لما قوي أمره، وجمع الأموال الكثيرة، حدّث نفسه بملك كرمان، ولم يتهيّأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة. فلما مات عضد الدولة، وملك شرف الدولة، واستقرّ أمره وانتظم، وأمن ملكه، لم يتحرّك بشيء من ذلك. فلمّا توفي شرف الدولة، واضطرب ملوك بني بويه، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة، قوي طمعه، وانتهز الفرصة، وجهّز ولده عَمْراً، وسيّره في عسكر كثير إلى كرْمان، وبها قائد يقال له تَمُرتاش كان قد استعمله شرف الدولة، فلم يشعر تمرتاش إلاّ وعمرو قد قاربه، فلم يكن له ولمن معه حيلة إلاّ الدخول إلى بردْسير، وحملوا ما أمكنهم حمله، وغنم عمرو الباقي، وملك كرمان ما عدا بردسير، وصادر الناس وجبى الأموال. (٨٣/٩)فلمّا وصل الخبر إلى صمصام الدولة، وهو صاحب فارس، جهّز العساكر وسيّرها إلى تمرتاش، وقدّم عليهم قائداً يقال له أبو جعفر، وأمره بالقبض على تمرتاش عند الاجتماع به، لأنّه اتّهمه بالميل إلى أخيه بهاء الدولة. فسار أبو جعفر، فلمّا اجتمع بتمرتاش أنزله عنده بعلّة الاجتماع على ما يفعلانه، وقبض عليه وحمله إلى شيراز، فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو بن خلف ليحاربه، فالتقوا بدارزين واقتتلوا، فانهزم أبو جعفر والديلم، وعادوا

على طريق جيرَفت.

وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة وأصحابه، فانزعجوا لذلك، ثم أجمعوا أمرهم على إنفاذ العبّاس بن أحمد في عسكر أكثر من الأوّل، فسيّروه في عدد كثير وعُدّة ظاهرة، فسار حتّى بلغ عَمْراً، فالتقوا بقرب السِّيرجان، واقتتلوا فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف وأُسر جماعة من قوّاده وأصحابه، وكان هذا في المحرّم سنة اثنتين وثمانين[وثلاثمائة]، وعاد عمرو إلى أبيه بسجستان مهزوماً، فلمّا دخل عليه لامه ووبّخه، ثم حبسه أياماً، ثم قتله[بين يديه]وتولّى غسله والصلاة عليه، ودفنه في القلعة. فسبحان اللّه ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته!

ثمّ إنّ صمصام الدولة عزل العبّاس عن كرمان واستعمل عليها أستاذ هُرْمُز، فلما وصل إلى كرمان خافه خلف بن أحمد، فكاتبه في تجديد الصلح، واعتذر عن فعله، فاستقرّ الصلح، وأنفذ خلف قاضياً كان بسجستان يُعرف بأبي يوسف كان له قبول عند العامّة والخاصّة، ووضع عليه إنساناً يكون معه(٨٤/٩)وأمره أن يسقيه سمّاً إذا صار عند أستاذ هرمز ويعود مُسرعاً ويشيّع بأن أستاذ هرمز قتله.

فسار أبو يوسف إلى كرمان، فصنع له أستاذ هرمز طعاماً، فحضره وأكل منه، فلمّا عاد إلى منزله سقاه ذلك الرجل سمّاً فمات منه، وركب جمّازة وسار مجدّاً إلى خلف، فجمع له خلف وجوه الناس ليسمعوا له، فذكر أنّ أستاذ هرمز قتل القاضي أبا يوسف، وبكى خلف وأظهر الجزع عليه، ونادى في الناس بغزو كَرمان والأخذ بثأر أبي يوسف، فاجتمع الناس واحتشدوا، فسيّرهم مع ولده طاهر، فوصلوا إلى نرماسير، وبها عسكر الديلم، فهزموهم وأخذوا البلد منهم.

ولحق الديلم بجيرَفت، فاجتمعوا بها، وجعلوا ببردسير من يحميها، وهي أصل بلاد كرمان ومصرها، فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر، فضاق بأهلها، وكتبوا إلى أستاذ هرمز يعلمونه حالهم، وأنّه إن لم يدركهم سلّموا البلد. فركب الخطر وسار مجدّاً في مضايق وجبال وعرة، حتّى أتى بَردسير، فلمّا وصل إليها رحل طاهر ومن معه عنها، وعادوا إلى سجستان، واستقرّت كرمان للديلم، وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.(٨٥/٩)

ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله

لما وصل بكجور إلى الرَّقّة منهزماً من عساكر مصر بدمشق وأقام، على ما ذكرناه، واستولى على الرحبة وما يجاور الرَّقّة، راسل الملك بهاء الدولة ابن بويه بالانضمام إليه، وكاتب أيضاً باذاً الكرديّ المتغلّب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه، وراسل سعدَ الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، صاحب حلب، بأن يعود إلى طاعته على قاعدته الأولى، ويقطعه منه بمدينة حمص كما كانت له، فليس فيهم من أجابه إلى شيء ممّا طلب، فبقي في الرَّقّة يراسل جماعة رفقاء من مماليك سعد الدولة، ويستميلهم، فأجابوه إلى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة، وأخبروه أنّه مشغول بلذّاته وشهواته عن تدبير الملك؛ فأرسل حينئذ بكجور إلى العزيز باللّه، صاحب مصر يُطمعه في حلب، ويقول له إنّها دهليز العراق، ومتى أُخذت كان ما بعدها أسهل منها، ويطلب الإنجاد بالعساكر. فأجابه العزيز إلى ذلك وأرسل إلى نزّال، والي طرابلس، وإلى وُلاة غيرها من البلاد الشاميّة يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزّال إلى بكجور، والتصرّف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده.

وكتب عيسى بن نسطورس النصرانيُّ، وزير العزيز، إلى نزّال يأمره بمدافعة بكجور، وإطماعه في المسير إليه، فإذا تورّط في قصد سعد الدولة تخلّى عنه.(٨٦/٩)

وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور أنه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة، ووليَ الوزارة بعد وفاة ابن كلّس، فكتب إلى نزّال ما ذكرناه.فلما وصل أمر العزيز إلى نزّال بإنجاد بكجور كتب إليه يعرّفه ما أُمر به من نجدته بنفسه وبالعساكر معه، وقال له بكجور: مسيرك عن الرَّقّة يوم كذا؛ وتابع رسله إليه بذلك، فسار مغتراً بقوله إلى بالس، فامتنعت عليه، فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها فسار عنها.

وبلغ الخبر بمسير بكجور إلى سعد الدولة، فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير، مولى أبيه سيف الدولة، وكتب إلى بكجور يستميله ويدعوه إلى الموادعة، ورعاية حقّ الرقّ والعبودية، ويبذل له أن يقطعه من الرَّقّة إلى حمص، فلم يقبل منه ذلك.

وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بأنطاكية لملك الروم يستنجده، فسيّر إليه جيشاً كثيراً من الروم، وكاتب أيضاً من مع بكجور من العرب يرغّبهم في الإقطاع، والعطاء الكثير، والعفو عن مساعدتهم بكجور، فمالوا إليه، ووعدوه الهزيمة بين يديه، فلمّا التقى العسكران اقتتلوا، واشتدّ القتال، فلمّا اختلط الناس في الحرب وشُغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه، واستأمنوا إلى سعد الدولة، فلمّا رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل، وعزم على أن يقصد موقف سعد الدولة ويُلقي نفسه عليه، فإمّا له وإمّا عليه، فهرب واحد ممّن حضر الحال إلى لؤلؤ الكبير وعرّفه ذلك، فطلب لؤلؤ من سعد الدولة أن يتحرّك من موقفه ويقف مكانه، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع. فحمل بكجور ومن معه، فوصلوا(٨٧/٩)إلى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلّهم، فلما رأى لؤلؤ ألقى نفسه عليه وهو يظنّه سعد الدولة، فضربه على رأسه، فسقط

إلى الأرض، فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد إلى موقفه، ففرح به أصحابه وقويت نفوسهم، وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال، فمضى منهزماً هو وعامّة أصحابه، وتفرّقوا، وبقي منهم معه سبعة أنفس، وكثر القتل والأسر في الباقين.

ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه وسار، فوقف فرسه، فنزل عنه وسار راجلاً، فلحقه نفر من العرب، فأخذوا ما عليه، وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرّفه نفسه، وضمن له حِمل بعير ذهباً ليوصله إلى الرَّقّة، فلم يصدّقه لبُخْله المشهور عنه، فتركه في بيته وتوجّه إلى سعد الدولة فعرّفه أنّ بكجور عنده، فحكّمه سعد في مطالبه، فطلب مائتيْ فدّان ملكاً، ومائة ألف درهم، ومائة جمل تحمل له حنطة، وخمسين قطعة ثياباً، فأعطاه ذلك أجمع وزيادة وسيّر معه سريّة، فتسلّموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة، فلمّا رآه أمر بقتله، فقُتل، ولقي عاقبة بَغيه وكفره إحسان مولاه.

فلمّا قتله سعد الدولة سار إلى الرّقّة فنازلها، وبها سلامة الرشيقيُّ، ومعه أولاد بكجور وأبو الحسن عليّ بن الحسين المغربيّ وزير بكجور، فسلّموا البلد إليه بأمان وعهود أكّدوها وأخذوها عليه لأولاد بكجور وأموالهم، وللوزير المغربيّ، ولسلامة الرشيقيّ، ولأموالهم، فلمّا خرج أولاد بكجور(٨٨/٩)بأموالهم رأى سعد الدولة ما معهم، فاستعظمه واستكثره.

وكان عنده القاضي ابن أبي الحصين، فقال سعد الدولة: ما كنت أظنّ أنّ بكجور يملك هذا جميعه؛ فقال له القاضي: لِمَ لا تأخذه؟ فهو لك لأنّه مملوك لا يملك شيئاً، ولا حرج عليك ولا حنث. فلمّا سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم، وهرب الوزير المغربيّ إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السّلام، وكتب أولاد بكجور إلى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم، فأرسل إليه يشفع فيهم، ويأمره أن يسيّرهم إلى مصر ويتهدّده إن لم يفعل. فأهان الرسول وقال له: قل لصاحبك أنا سائر إليك، وسيّر مقدّمته إلى حمص ليلحقهم.

ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان

فلمّا برز سعد الدولة ليسير إلى دمشق لحقه قُولَنج، فعاد إلى حلب ليتداوى، فزال ما به وعُوفي، وعزم على العود إلى معسكره، وحضر عند إحدى سراريه فواقعها فسقط عنها وقد فُلج وبطل نصفه، فاستدعى الطبيب، فقال له: أعطني يدك لآخذ مجسّك؛ فأعطاه اليُسرى، فقال: أعطني اليمين؛ فقال: لا تركت لي اليمين يميناً، يعني نكثه بأولاد بكجور هو الذي أهلكه، وقد ذُكر ذلك، وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة، وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد إلى ولده أبي الفضائل، ووصّى إلى لؤلؤ به وبسائر أهله.(٨٩/٩)

فلمّا توفي قام أبو الفضائل، وأخذ له لؤلؤ العهد على الأجناد، وتراجعت العساكر إلى حلب.

وكان الوزير أبو الحسن المغربيّ قد سار من مشهد عليّ، عليه السلام، إلى العزيز بمصر، وأطمعه في حلب، فسيّر جيشاً وعليهم منجوتكين أحد أمرائه إلى حلب، فسار إليها في جيش كثيف فحصرها، وبها أبو الفضائل ولؤلؤ، فكتبا إلى بَسيل ملك الروم يستنجدانه، وهو يقاتل البلغار، فأرسل بَسيل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل، فسار في خمسين ألفاً، حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي، فلمّا سمع منجوتكين الخبر سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل، وعبر إليهم العاصي، وأوقعوا بالروم فهزموهم وولّوا الأدبار إلى أنطاكية، وكثر القتل فيهم.

وسار منجوتكين إلى أنطاكية، فنهب بلدها وقُراها وأحرقها، وأنفذ أبو الفضائل إلى بلد حلب، فنقل ما فيه من الغلال، وأحرق الباقي إضراراً بعساكر مصر، وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها، فأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربيّ وغيرهم وبذل لهم مالاً ليردّوا منجوتكين عنهم، هذه السنة، بعلّة تعذّر الأقوات، ففعلوا ذلك، وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب، فأجابهم إليه وسار إلى دمشق.

ولما بلغ الخبر إلى العزيز غضب وكتب بعود العسكر إلى حلب، وإبعاد المغربيّ، وأنفذ الأقوات من مصر في البحر إلى طرابلس، ومنها إلى العسكر، فنازل العسكر حلب، وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً، فقلّت الأقوات بحلب.(٩٠/٩)

وعاد[إلى]مراسلة ملك الروم والاعتضاد به، وقال له: متى أُخذتْ حلب أُخذت أنطاكية وعظم عليك الخطب. وكان قد توسّط بلاد البلغار، فعاد وجدّ في السير، وكان الزمان ربيعاً، وعسكر مصر قد أرسل إلى منجوتكين يعرّفه الحال، وأنّه جواسيسه بمثل ذلك، فأخرب ما كان بناه من سوق وحمّام وغير ذلك، وسار كالمنهزم عن حلب، ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب، وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ، وعاد إلى حلب، ورحل بَسيل إلى الشام، ففتح حمص وشيزر ونهيبهما، وسار إلى طرابلس فنازلها، فامتنعت عليه، وأقام عليها نيّفاً وأربعين يوماً، فلمّا أيس منها عاد إلى بلاد الروم.

ولما بلغ الخبر إلى العزيز عظم عليه، ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم، وبرز من القاهرة، وحدث به أمراض منعته، وأدركه الموت، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل المنصور، صاحب أفريقية، نائبه في البلاد

يوسف، واستعمل بعده على البلاد أبا عبد اللّه محمّد بن أبي العرب.

وفيها توفّي القائد جوهر، بعد عزله، وجوهر هذا هو الذي فتح مصر للمعزّ العلويّ.

وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي نصر سابور بالأهواز، واستوزر أبا(٩١/٩) القاسم عبد العزيز بن يوسف.

وفيها أيضاً قبض بهاء الدولة على أبي نصر خواشاذه وأبي عبد اللّه بن طاهر، بعد عوده من خوزستان، وكان سبب قبضهما أنّ أبا نصر كان شحيحاً، فلم يواصل ابن المعلّم بخدمه وهداياه، فشرع في القبض عليه.

وفيها هرب فولاذ زماندار من عند صمصام الدولة إلى الريّ، وكان سبب هربه أنّه تحكّم على صمصام الدولة تحكّماً عظيماً أنف منه، فأراد القبض عليه، فعلم به فهرب منه.

وفيها كتب أهل الرحبة إلى بهاء الدولة يطلبون إنفاذ من يسلّمون إليه الرحبة، فأنفذ خمارتكين الحفصيّ إلى الرحبة فتسلّمها، وسار منها إلى الرّقّة، وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان، فجرت بينهما وقعات، فلم يظفر بها، وبلغه اختلاف ببغداد، فعاد، فخرج عليه بعض العرب، فأخذوه أسيراً، ثم افتدى منهم بمال كثير.

وفيها حلف بهاء الدولة للقادر باللّه على الطاعة، والقيام بشروط البيعة، وحلف له القادر بالوفاء والخلوص، وأشهد عليه أنّه قلّده ما وراء بابه.

وفيها كثرت الفتن بين العامّة ببغداد، وزالت هيبة السلطنة، وتكرّر الحريق في المحالّ، واستمرّ الفساد.

وفيها توفّي قاضي القضاة عبيد اللّه بن أحمد بن معروف أبو محمد، ومولده سنة ستّ وثلاثمائة، وكان فاضلاً، عفيفاً، نزيهاً، وكان معتزليّاً؛ ومحمّد بن إبراهيم بن عليّ بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المُقرئ الأصبهانيّ، وله ستّ وتسعون سنة، وهو راوي مُسند أبي يعلى الموصليّ عنه.(٩٢/٩)

سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحجّاج بن هُرمُز في عسكر كثير إلى الموصل، فملكها آخر سنة إحدى وثمانين[وثلاثمائة]، فاجتمعتْ عُقَيْل، وأميرهم أبو الذوّاد محمّد بن المسيّب، على حربه، فجرى بينهم عدّة وقائع ظهر من أبي جعفر فيها بأس شديد، حتّى إنّه كان يضع له كُرْسيّاً بين الصّفّين ويجلس عليه، فهابه العرب، واستمدّ من بهاء الدولة عسكراً، فأمدّه بالوزير أبي القاسم عليّ بن أحمد، وكان مسيره أول هذه السنة، فلمّا وصل إلى العسكر كتب بهاء الدولة إلى أبي جعفر بالقبض عليه، فعلم أبو جعفر أنّه إن قبض عليه اختلف العسكر، وظفر به العرب، فتراجع في أمره.

وكان سبب ذلك أنّ ابن المعلّم كان عدوّاً له، فسعى به عند بهاء الدولة، فأمر بقبضه، وكان بهاء الدولة أُذناً يسمع ما يقال له ويفعل به، وعلم الوزير الخبر، فشرع في صُلح أبي الذوّاد وأخذ رهائنه والعود إلى بغداد، فأشار عليه أصحابه باللحاق بأبي الذوّاد، فلم يفعل أنفةً، وحُسن عهدٍ، فلمّا وصل إلى بغداد رأى ابن المعلّم قد قُبض وقُتل وكُفي شرّه.

ولما أتاه خبر قبض ابن المعلّم وقتله ظهر عليه الانكسار، فقال له خواصّه: (٩٣/٩)ما هذا الهمّ وقد كُفيت شرّ عدوّك؟فقال: إنّ ملكاً قرّب رجلاً كما قرّب بهاء الدولة ابن المعلّم، ثم فعل به هذا، لحقيق بأن تخاف ملابسته.

وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسويّ رسولاً إلى أبي الذوّاد، فأسره العرب، ثم أطلقوه، فورد إلى الموصل وانحدر إلى بغداد.

ذكر تسليم الطائع إلى القادر وما فعله به

في هذه السنة، في رجب، سلّم بهاء الدولة الطائع لله إلى القادر باللّه، فأنزله حجرةً من خاصّ حُجره، ووكّل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته، وأحسن ضيافته، وكان يطلب الزيادة في الخدمة كما كان أيّام الخلافة، فيؤمر له بذلك.

حُكي عنه أنّ القادر باللّه أرسل إليه طبيباً فقال: من هذا يتطيّب أبو العباس؟يعني القادر، فقالوا: نعم! فقال: قولوا له عنّي: في الموضع الفلانيّ كندوج فيه مما كنتُ أستعمله، فليرسل إليّ بعضه ويأخذ الباقي لنفسه. ففعل ذلك. وأرسل إليه يوماً القادر باللّه عدسيّة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: عدس وسلق، فقال: أوَقد أكل أبو العبّاس من هذا؟قالوا: نعم؛ قال: قولوا له عنّي: لما أردت أن تأكل عدسيّة لِمَ اختفيت، فما كانت العدسيّة تعوزك، ولِمَ تقلّدت هذا الأمر؟فأمر حينئذ القادر أن يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كلّ يوم؛ فأقام على هذا إلى أن توفّي.(٩٤/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن بن المعلّم،وكان قد استولى على الأمور كلّها، وخدمه الناس كلّهم، حتّى الوزراء، فأساء السيرة مع الناس، فشغب الجند في هذا

الوقت، وشكوا منه، وطلبوا منه تسليمه إليهم، فراجعهم بهاء الدولة، ووعدهم كفّ يده عنهم، فلم يقبلوا منه، فقبض عليه وعلى جميع أصحابه، فظنّ أنّ الجند يرجعون، فلم يرجعوا، فسلّمه إليهم، فسقوه السمّ مرّتين، فلم يعمل فيه شيئاً، فخنقوه ودفنوه.

وفيها، في شوّال، تجدّدت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم، واشتدّ الحال، فركب أبو الفتح محمّد بن الحسن الحاجب، فقتل وصلب، فسكن البلد.

وفيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع رطل الخبز بأربعين درهماً.

وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي القاسم عليّ بن أحمدالمذكور، وكان سبب قبضه أنّ بهاء الدولة اتّهمه بمكاتبة الجند في أمر ابن المعلّم، واستوزر أبا نصر بن سابور، وأبا منصور بن صالحان، جمع بينهما في الوزارة.

وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز، وكان غالباً على أمره، وبقي محبوساً إلى سنة ثلاث وثمانين[وثلاثمائة]، فاخرجه صمصام الدولة واستوزره، وكان يدبّر الأمر مدّة حبسه أبو القاسم المدلجيُّ.

وفيها نزل ملك الروم بأرمينية، وحصر خِلاط، وملازكرد، وأرجيش، فضعفت نفوس الناس عنه، ثم هادنه أبو عليّ الحسن بن مروان مدّة عشر سنين، وعاد ملك الروم.(٩٥/٩)

وفيها، في شوّال، وُلد الأمير أبو الفضل بن القادر باللّه.

وفيها سار بغراخان ايلك، ملك الترك، بعساكره إلى بخارى، فسيّر إليه الأمير نوح بن منصور جيشاً كثيراً، ولقيهم ايلك وهزمهم، فعادوا إلى بخارى مفلولين، وهو في أثرهم، فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره، ولقيه فاقتتلوا قتالاً شديداً وأجلت المعركة عن هزيمة ايلك، فعاد منهزماً إلى بلاساغون، وهي كرسي مملكته.

وفيها توفّي أبو عمرو محمّد بن العبّاس بن حسنويه الحزّاز، ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين.(٩٦/٩)

سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

ذكر خروج أولاد بختيار

في هذه السنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم، واستولوا على القلعة التي كانوا معتقلين بها.

وكان سبب حبسهم أنّ شرف الدولة أحسن إليهم، بعد والده، وأطلقهم، وأنزلهم بشيراز، وأقطعهم، فلمّا مات شرف الدولة حُبسوا في قلعة ببلاد فارس، فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم، فافرجوا عنهم، وأنفذوا إلى أهل تلك النواحي، وأكثرهم رجّالة، فجمعوهم تحت القلعة.

وعرف صمصام الدولة الحال، فسيّر أبا عليّ بن أستاذ هُرمُز في عسكر، فلما قاربهم تفرّق من معهم من الرجّالة، وتحصّن بنو بختيار، وكانوا ستّة، ومن معهم من الديلم بالقلعة، وحصرهم أبو عليّ، وراسل أحد وجوه الديلم وأطمعه في الإحسان، فأصعدهم إلى القلعة سرّاً، فملكوها، وأخذوا أولاد بختيار أسراء، فأمر صمصام الدولة بقتل اثنَين منهم وحَبْس الباقين، ففعل ذلك بهم.(٩٧/٩)

ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان

في هذه السنة ملك صمصام الدولة خوزستان.

وكان سبب نقض الصلح أنّ بهاء الدولة سيّر أبا العلاء عبد اللّه بن الفضل إلى الأهواز، وتقدّم إليه بأن يكون مستعدّا لقصد بلاد فارس، وأعلمه أنّه يسيّر إليه العساكر متفرّقين، فإذا اجتمعوا عنده سار بهم إلى بلاد فارس بغتةً، فلا يشعر صمصام الدولة إلاّ وهم معه في بلاده.

فسار أبو العلاء، ولم يتهيّأ لبهاء الدولة إمداده بالعساكر، وظهر الخبر، فجهّز صمصام الدولة عسكره وسيّرهم إلى خوزستان، وكتب أبو العلاء إلى بهاء الدولة بالخبر وبطلب إمداده بالعساكر، فسيّر إليه عسكراً كثيراً، ووصلت عساكر فارس، فلقيهم أبو العلاء، فانهزم هو وأصحابه وأُخذ أسيراً وحُمل إلى صمصام الدولة، فألبس ثياباً مُصبّغة وطيف به، وسألت فيه والدة صمصام الدولة، فلم يقتله، واعتقله.

ولما سمع بهاء الدولة بذلك أزعجه وأقلقه، وكانت خزانته قد خلتْ من الأموال، فأرسل وزيره أبا نصر بن سابور إلى واسط ليحصّل ما أمكنه، وأعطاه رهوناً من الجواهر والأعلاق النفيسة ليقترض عليها من مهذّب الدولة، صاحب البطيحة، فلمّا وصل إلى واسط تقرّب منها إلى مهذّب الدولة، وترك ما معه من الرهون بحاله، وأرسل بهاء الدولة ورهنها واقترض عليها.(٩٨/٩)

ذكر ملك الترك بخارى

في هذه السنة ملك مدينة بخارى شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان التركيّ، وكان له كاشغر وبلاساغون إلى حدّ الصين.

وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن سيمجور لما مات وولي ابنه أبو علي خراسان بعده، كاتب الأمير الرضي نوح بن منصور يطلب أن يقره على ما كان أبوه يتولاه، فأجيب الى ذلك، وحملت إليه الخلع، وهو لا يشك أنها له، فلما بلغ الرسول هراة عدل إليها، وبها فائق، فأوصل الخلع والعهد بخراسان إليه، فعلم أبو علي أنهم مكروا به، وأن هذا دليل سوء يريدونه به، فلبس فائق الخلع وسار

عن هراة نحو أبي علي فبلغه الخبر، فسار جريدة في نخبة أصحابه، وطوى المنازل حتى سبق خبره، فأوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة، فهزم فائقاً وأصحابه، وقصدوا مرو الروذ .

وكتب أبو علي إلى الأمير نوح يجدد طلب ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك، وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد أن كانت هراة لفائق، فعاد أبو علي إلى نيسابور ظافراً، وجبى أموال خراسان، فكتب إليه نوح يستنزله عن بعضها ليصرفه في أرزاق جنده، فاعتذر إليه ولم يفعل، وخاف عاقبة المنع، فكتب إلى بغراخان المذكور يدعوه إلى أن يقصد بخارى ويملكها على السامانيّة، وأطمعه فيهم، واستقر الحال بينهما على أن يملك بغراخان ما وراء النهر كله، ويملك أبو علي خراسان، فطمع بغراخان في البلاد، وتجدد له إليها حركة. (٩٩/٩)

وأما فائق فإنه أقام بمرو الرُّوذ حتى انجبر كسره واجتمع إليه أصحابه وسار نحو بخارى من غير إذن، فارتاب الأمير نوح به، فسيّر إليه الجيوش وأمرهم بمنعه، فلما لقوه قاتلوه، فانهزم فائق وأصحابه، وعاد على عقبَيْه، وقصد تِرمِذ . فكتب الأمير نوح إلى صاحب الجوزجان من قِبَله، وهو أبو الحارث أحمد بن محمد الفريغونيّ، وأمره بقصد فائق، فجمع جمعاً كثيراً وسار نحوه، فأوقع بهم فائق فهزمهم وغنم أموالهم .

وكاتب أيضاً بغراخان يطمعه في البلاد، فسار نحو بخارى، وقصد بلاد السامانية، فاستولى عليها شيئاً بعد شيء، فلقيهم بغراخان، فهزمهم، وأسر انج وجماعة القواد، فلما ظفر بهم قوي طمعه في البلاد، وضعف نوح وأصحابه، وكاتب الأمير نوح أبا علي بن سيمجور يستنصره، ويأمره بالقدوم إليه بالعساكر، فلم يجبه إلى ذلك، ولا لبّى دعوته، وقوي طمعه في الاستيلاء على خراسان .

وسار بغراخان نحو بخارى، فلقيه فائق، واختصّ به، وصار في جملته، ونازلوا بخارى، فاختفى الأمير نوح، وملكها بغراخان ونزلها، وخرج نوح منها مستخفياً فعبر النهر إلى آمل الشطّ، وأقام بها، ولحق به أصحابه، فاجتمع عنده منهم جمع كثير، وأقاموا هناك.

وتابع نوح كتبه إلى أبي علي ورسله يستنجد ويخضع له، فلم يصغ إلى ذلك، وأما فائق فإنه استأذن بغراخان في قصد بلخ والاستيلاء عليها، فأمره بذلك، فسار نحوها ونزلها.(١٠٠/٩)

ذكر عود نوح إلى بخارى وموت بغراخان

لما نزل بغراخان بخارى وأقام بها استوخمها، فلحقه مرض ثقيل، فانتقل عنها نحو بلاد الترك، فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره ففتكوا بهم وغنموا أموالهم، ووافقهم الأتراك الغُزّيّة على النهب والقتل لعسكر بغراخان .

فلما سار بغراخان عن بخارى أدركه أجله فمات، ولما سمع الأمير نوح بمسيره عن بخارى بادر إليها فيمن معه من أصحابه، فدخلها، وعاد إلى دار ملكه وملك آبائه، وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه .

وأما بغراخان فإنه لما مات عاد أصحابه إلى بلادهم، وكان ديّناً، خيّراً، عادلاً، حسن السيرة، محبّاً للعلماء وأهل الدين، مكرماً لهم، وكان يحبّ أن يُكتب عنه : مولى رسول اللّه ﷺ ؛ ووليّ أمر الترك بعده ايلك خان .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كثر شغب الديلم على بهاء الدولة، ونهبوا دار الوزير أبي نصر بن سابور، واختفى منهم، واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فأُعفي، واستوزر أبا القاسم عليّ بن أحمد، ثم هرب، وعاد سابور إلى الوزارة بعد أن أصلح الديلم .

وفيها جلس القادر باللّه لأهل خراسان، بعد عودهم من الحجّ، وقال لهم(١٠١/٩)في معنى الخطبة له، وحملوا رسالة وكتباً إلى صاحب خراسان في المعنى.

وفيها عُقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة بصداق مبلغه مائة ألف دينار، وكان العقد بحضرته، والوليّ النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى، والد الرضيّ، وماتت قبل النقلة .

وفيها كان بالعراق غلاء شديد فبيعت كارة الدقيق بمائتين وستين درهما، وكرّ الحنطة بستّة آلاف وستّمائة درهم غيائيّة .

وفيها بنى أبو نصر سابور بن أردشير ببغداد داراً للعلم، ووقف فيها كتباً كثيرة على المسلمين المنتفعين بها .

وفيها توفّي أبو الحسن عليّ بن محمد بن سهل الماسرجسيّ، الفقيه الشافعيّ، شيخ أبي الطيّب الطبريّ بنَيسابور ؛ وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزميّ الشاعر ؛ وأبو طالب عبد السلام بن الحسن المأمونيّ، وهو من أولاد المأمون، وكان فاضلا حسن الشعر. (١٠٢/٩)

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان وإجلاء أبي عليّ عنها

في هذه السنة ولّى الأمير نوح محمود بن سبكتكين خراسان .

وكان سبب ذلك أن نوحاً لما عاد إلى بخارى، على ما تقدم

ذكره، سقط في يد أبي علي، وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عند حاجته إليه .

وأما فائق فإنه لما استقر نوح ببخارى حدّث نفسه بالمسير إليه، والاستيلاء عليه، والحكم في دولته، فسار عن بلخ إلى بخارى . فلما علم نوح بذلك سيّر إليه الجيوش لترده عن ذلك، فلقوه واقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم فائق وأصحابه، ولحقوا بأبي علي، ففرح بهم، وقوي جنانه بقربهم، واتّفقوا على مكاشفة الأمير نوح بالعصيان، فلما فعلوا ذلك كتب الأمير نوح إلى سبكتكين، وهو حينئذ بغزنة، يعرّفه الحال، ويأمره بالمسير إليه لينجده، وولاّه خراسان .

وكان سبكتكين في هذه الفتن مشغولا بالغزو، غير ملتفت إلى ما هم فيه، فلما أتاه كتاب نوح ورسوله أجابه إلى ما أراد، وسار نحوه جريدة، واجتمع به، وقرّرا بينهما ما يفعلانه، وعاد سبكتكين فجمع العساكر وحشد. فلما (١٠٣/٩) بلغ أبا علي وفائقاً الخبر جمعا، وراسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه، ويطلبان منه عسكراً، فأجابهما إلى ذلك وسيّر إليهما عسكراً كثيراً، وكان وزيره الصاحب بن عبّاد هو الذي قرر القاعدة في ذلك.

وسار سبكتكين من غزنة، ومعه ولده محمود، نحو خراسان، وسار نوح فاجتمع هو و سبكتكين، فقصدوا أبا علي وفائقاً، فالتقوا بنواحي هراة، واقتتلوا، فانحاز دارا بن قابوس بن شمكير من عسكر أبي علي إلى نوح ومعه أصحابه، فانهزم أصحاب أبي علي، وركبهم أصحاب سبكتكين يأسرون، ويقتلون، ويغنمون، وعاد أبو علي وفائق نحو نَيسابور، وأقام سبكتكين ونوح بظاهر هَراة حتى استراحوا وساروا نحو نَيسابور، فلما علم بهم أبو علي سار هو وفائق نحو جرجان، وكتبا إلى فخر الدولة بخبرهما، فأرسل إليهما الهدايا والتحف والأموال، وأنزلهما بجرجان.

واستولى نوح على نَيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، فأحسنا السيرة، وعاد نوح إلى بخارى و سبكتكين إلى هَراة وأقام محمود بنيسابور .

ذكر عود الأهواز إلى بهاء الدولة

في هذه السنة ملك بهاء الدولة الأهواز .

وكان سببه أنه أنفذ عسكراً إليها، عدّتهم سبع مائة رجل، وقدّم عليهم (١٠٤/٩) طغان التركيّ، فلما بلغوا السوس رحل عنها أصحاب صمصام الدولة، فدخلها عسكر بهاء الدولة، وانتشروا في أعمال خوزستان، وكان أكثرهم من الترك، فَعَلَتْ كلمتهم على الديلم، وتوجّه صمصام الدولة إلى الأهواز ومعه عساكر الديلم وتميم وأسد . فلما بلغ تُستر رحل ليلاً ليكبس الأتراك من عسكر بهاء الدولة، فضلّ الأدلاّء في الطريق، فأصبح على بعد منهم، ورأتهم طلائع الأتراك، فعادوا بالخبر، فحذروا، واجتمعوا، واصطفّوا، وجعل مقدّمهم، واسمه طغان، كميناً، فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم، فكانت الهزيمة، وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم، وكانوا ألوفاً كثيرة، واستأمن منهم أكثر من ألفَيْ رجل، وغنم الأتراك من أثقالهم شيئاً كثيراً .

وضرب طغان للمستأمنة خيماً يسكنونها، فلما نزلوا اجتمع الأتراك وتشاوروا وقالوا: هؤلاء أكثر من عدّتنا، ونحن نخاف أن يثوروا بنا ؛ واستقرّ رأيهم على قتلهم، فلم يشعر الديلم إلاّ وقد أُلقيت الخيام عليهم، ووقع الأتراك فيهم بالعَمَد حتى أتوا عليهم فقُتلوا كلّهم .

وورد الخبر على بهاء الدولة وهو بواسط، قد اقترض مالاً من مهذّب الدولة، فلما سمع ذلك سار إلى الأهواز، وكان طغان والأتراك قد ملكوها قبل وصوله إليها .

وأما صمصام الدولة فإنه لبس السواد وسار إلى شيراز فدخلها،فغيّرت والدته ما عليه من السواد وأقام يتجهّز للعود إلى أخيه بهاء الدولة بخوزستان . (١٠٥/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُقد النكاح لمهذّب الدولة على ابنة بهاء الدولة، وللأمير أبي منصور بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذّب الدولة، وكان الصَّداق من كل جانب مائة ألف دينار .

وفيها قبض بهاء الدولة على أبي نصر خواشاذه .

وفيها عاد الحجّاج من الثعلبيّة، ولم يحجّ من العراق والشام أحد، وسبب عودتهم أنّ الأُصَيفر، أمير العرب، اعترضهم وقال : إنّ الدراهم التي أرسلها السلطان عام أوّل كانت نقرة مطلية، وأريد العوض ؛ فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجّاج فرجعوا .

وفيها توفّي أبو القاسم النقيب الزينبيّ، ووليَ النقابة بعده ابنه أبو الحسن.

وفيها وليَ نقابة الطالبيّين أبو الحسن النهرسابسيّ، وعُزل عنها أبو أحمد الموسويّ، وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى والرضي .

وفيها توفّي عبد اللّه بن محمد بن نافع بن مُكرم أبوالعباس البُستيّ الزاهد، وكان من الصالحين، حجّ من نَيسابور ماشياً، وبقي سبعين سنة لا يستند إلى حائط ولا إلى مخدّة، وعليّ بن الحسين بن حمويه بن زيد أبو الحسين الصوفيّ، سمع الحديث، وحدّث الحديث، وحدّث وصحب أبا الخير الأقطع وغيره، وعليّ

(١٠٦/٩) ابن عيسى بن علي بن عبد اللّه أبو الحسن النحويّ المعروف بالرمانيّ، ومولده سنة ستّ وتسعين ومائتين، روى عن ابن دُريد وغيره، وله تفسير كبير ؛ ومحمد بن العباس بن أحمد بن القزّاز أبو الحسن، سمع الكثير، وكتب الكثير، وخطُّه حجّة في صحّة النقل وجودة الضبط ؛ وأبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزبانيّ الكاتب ؛ والمحسّن بن علي بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو علي التنوخيّ القاضي، ومولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وكان فاضلاً .

وفيها توفّي أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، الكاتب المشهور، وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وكان قد زمِن، وضاقت به الأمور، وقلّت عليه الأموال .

وفيها اشتد أمر العيّارين ببغداد، ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة، واحترق كثير من المحالّ، ثم اصطلحوا.(١٠٧/٩)

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي علي إلى خُراسان

لما عاد الأمير نوح إلى بخارى، وسبكتكين إلى هَراة، وبقي محمود بنيسابور، طمع أبو عليّ وفائق في خراسان، فسارا عن جُرجان إلى نيسابور في ربيع الأوّل، فلما بلغ محمود خبرهما كتب إلى أبيه بذلك، وبرز هو فنزل بظاهر نيسابور وأقام ينتظر المدد، فأعجلاه، فصبر لهما، فقاتلاه، وكان في قلّة من الرجال، فانهزم عنهما نحو أبيه، وغنم أصحابهما منه شيئاً كثيراً، وأشار أصحاب أبي عليّ عليه باتّباعه، وإعجاله ووالده عن الجمع والاحتشاد، فلم يفعل، وأقام بنيسابور، وكاتب الأمير نوحاً يستميله، ويستقيل من عثرته وزلّته، وكذلك كاتب سبكتكين بمثل ذلك، وأحال بما جرى على فائق، فلم يجيباه إلى ما أراد.

وجمع سبكتكين العساكر، فأتوه على كلّ صعبٍ وذلول، وسار نحو أبي عليّ، فالتقوا بطوس في جُمادى الآخرة، فاقتتلوا عامة يومهم، وأتاهم محمود بن سبكتكين في عسكر ضخم من ورائهم، فانهزموا وقُتل من أصحابهم خلق كثير، ونجا أبو عليّ وفائق، فقصدا أبيوَرْد، فتبعهم سبكتكين، واستخلف ابنه محموداً بنيسابور، فقصدا مَرو ثم آمل الشطّ، وراسلا الأمير نوحاً يستعطفانه، فأجاب أبا عليّ إلى ما طلب من قبول عذره إن فارق فائقاً ونزل بالجُرجانيّة،(١٠٨/٩)ففعل ذلك، فحذّره فائق، وخوّفه من مكيدتهم به ومكرهم، فلم يلتفت لأمر يريده اللّه، عزّ وجلّ، ففارق فائقاً وسار نحو الجُرجانيّة فنزل بقرية بقرب خوارزم تسمّى هِزار أسْب، فأرسل إليه أبو عبد اللّه خُوارزمشاه من أقام له ضيافة، ووعده أنّه يقصده ليجتمع به، فسكن إلى ذلك.

فلمّا كان الليل أرسل إليه خوارزمشاه جمْعاً من عسكره فأحاطوا به وأخذوه أسيراً في رمضان من هذه السنة، فاعتقله في بعض دوره، وطلب أصحابه، فأسر أعيانهم وتفرّق الباقون.

وأمّا فائق فإنّه سار إلى ايلك خان بما وراء النهر، فأكرمه وعظّمه، ووعده أن يعيده إلى قاعدته، وكتب إلى نوح يشفع في فائق وأن يولّى سمَرْقَند، فأجابه إلى ذلك، وأقام بها.

ذكر خلاص أبي عليّ وقتل خُوارزمشاه

لما أُسر أبو عليّ بلغ خبره إلى مأمون بن محمّد، والي الجرجانية، فقلق لذلك وعظم عليه، وجمع عساكره وسار نحو خُوارزمشاه، وعبر إلى كاث، وهي مدينة خوارزمشاه، فحصروها وقاتلوها، وفتحوها عنوةً، وأسروا أبا عبد اللّه خوارزمشاه، وأحضروا أبا عليّ ففكّوا عنه قيده وأخذوه وعادوا إلى الجرجانية، واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه، وصارت[في] جُملة ما بيده، وأحضر خوارزمشاه وقتله بين يدَيْ أبي عليّ بن سيمجور.(١٠٩/٩)

ذكر قبض أبي علي بن سيمجور وموته

لما حصل أبو علي عند مأمون بن محمد بالجُرجانيّة كتب إلى الأمير نوح يشفع فيه، ويسأل الصفح عنه، فأُجيب إلى ذلك، وأمر أبا علي بالمسير إلى بخارى، فسار إليها فيمن بقي معه من أهله وأصحابه، فلما بلغوا بخارى لقيهم الأمراء والعساكر، فلما دخلوا على الأمير نوح أمر بالقبض عليهم .

وبلغ سبكتكين أن ابن عُزَير، وزير الأمير نوح، يسعى في خلاص أبي علي، فأرسل إليه يطلب أبا علي إليه، فمات في حبسه سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان ذلك خاتمة أمره، وآخر حال بيت سيمجور جزاءً لكفران إحسان مولاهم، فتبارك الحيّ الدائم الباقي الذي لايزول ملكه .

وكان ابنه أبو الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه، فأحسن إليه وأكرمه، فسار عنه سرّاً إلى خراسان لهوىً كان له بها، وظن أن أمره يخفى، فظهر حاله، فأخذ أسيراً وسُجن عند والده .

وأما أبو القاسم أخو أبي علي فإنه أقام في خدمة سبكتكين مدّة يسيرة، ثم ظهر منه خلاف الطاعة، وقصد نَيسابور، فلم يتمّ له ما أراد، وعاد محمود بن سبكتكين إليه، فهرب منه وقصد فخر الدولة وبقي عنده، وسيرد باقي أخباره، إن شاء اللّه تعالى. (١١٠/٩)

ذكر وفاة الصاحب بن عبّاد

في هذه السنة مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، وزير فخر الدولة بالرَّيّ، وكان واحد زمانه علماً، وفضلاً، وتدبيراً،

وجودة رأي، وكرماً، عالما بأنواع العلوم، عارفاً بالكتابة وموادّها، ورسائله مشهورة مدوّنة، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، حتّى إنّه كان يحتاج في نقلها إلى أربع مائة جمل .

ولما مات وزر بعده لفخر الدولة أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضّبّيُّ الملقب بالكافي .

ولما حضره الموت قال لفخر الدولة : قد خدمتُك خدمةً استفرغت فيها وُسْعي، وسِرْتُ سيرةً جلبت لك حسن الذكر، فإن أجريتَ الأمور على ما كانت عليه نُسب ذلك الجميل إليك وتُركتُ أنا، وإن عدلتَ عنه كنتُ أنا المشكور ونُسبت الطريقة الثانية إليك، وقدح ذلك في دولتك . فكان هذا نصحه له إلى أن مات .

فلما توفّي أنفذ فخر الدولة مَن احتاط على ماله وداره، ونقل جميع ما فيها إليه، فقبح اللّه خدمة الملوك، هذا فعلهم مع مَن نصح لهم، فكيف مع غيره !

ونُقل الصاحب بعد ذلك إلى أصبهان، وكثير ما بين فعل فخر الدولة مع ابن عبّاد وبين العزيز باللّه العلويّ مع وزيره يعقوب بن كلّس وقد تقدّم.(١١١/٩)

وكان الصاحب بن عبّاد قد أحسن إلى القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزليّ، وقدّمه، وولاّه قضاء الريّ وأعمالها، فلما توفّي قال عبد الجبار : لا أرى الترحّم عليه، لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه، فنُسب عبد الجبّار إلى قلّة الوفاء .

ثم إن فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره، فباع في جملة ما باع ألف طيلسان، وألف ثوب صوف رفيع، فَلِمَ لا نظر لنفسه، وتاب عن أخذ مثل هذا وادّخاره من غير حلّه ؟

ثمّ إن فخر الدولة قبض على أصحاب ابن عبّاد وأبطل كلّ مسامحة كانت منه، وقرّر هو ووزراؤه المصادرات في البلاد، فاجتمع له منها شيء كثير، ثم تمزّق بعد وفاته في أقرب مدّة، وحصل بالوزر وسوء الذكر .

ذكر إيقاع صمصام الدولة بالأتراك

في هذه السنة أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك، فقُتل منهم جماعة، وهرب الباقون فعاثوا في البلاد، وانصرفوا إلى كَرْمان، ثم منها إلى بلاد السند، واستأذنوا ملكها في دخول بلاده، فأذن لهم وخرج إلى تلقّيهم ووافق أصحابه على الإيقاع بهم، فلمّا رآهم جعل أصحابه صفّين، فلما حصل الأتراك في وسطهم أطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم إلاّ نفر جرحى وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل.(١١٢/٩)

ذكر وفاة خواشاذه

في هذه السنة توفّي أبو نصر خواشاذه بالبطائح، وكان قد هرب إليها بعد أن قُبض، وكاتبه بهاء الدولة، وفخر الدولة، وصمصام الدولة، وبدر بن حسنويه، كلّ منهم يستدعيه، ويبذل له ما يريده، وقال له فخر الدولة: لعلّك تُسيء الظّنّ بما قدّمته في خدمة عضد الدولة، وما كنّا لنؤاخذك بطاعة من قدّمك ومناصحته، وقد علمت ما عملتُه مع الصّاحب بن عبّاد، وتركنا ما فعله معنا، فعزم على قصده، فأدركه أجله قبل ذلك، وتوفّي، وكان من أعيان قوّاد عضد الدولة.

ذكر عود عسكر صمصام الدولة إلى الأهواز

في هذه السنة صمصام الدولة عسكره من الديلم وردّهم إلى الأهواز مع العلاء بن الحسن، واتّفق أن طغان، نائب بهاء الدولة بالأهواز، توفّي، وعزم من معه من الأتراك على العود إلى بغداد، وكتب مَن هناك إلى بهاء الدولة بالخبر، فأقلقه ذلك وأزعجه، فسيّر أبا كاليجار المرزبان بن شهفيروز إلى الأهواز نائباً عنه، وأنفذ أبا محمد الحسن بن مُكرَم إلى الفتكين، وهو برامَهُرمُز، قد عاد من بين يدي عسكر صمصام الدولة إليها، يأمره بالمقام بموضعه، فلم يفعل، وعاد إلى الأهواز، فكتب إلى أبي محمّد بن مكرَم بالنظر في الأعمال، وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان، فكاتبه العلاء، وسلك طريق اللين والخداع.

ثم سار على نهر المسرُقان إلى أن حصل بخان طوق، ووقعت الحرب بينه(١١٣/٩)وبين أبي محمّد بن مكرم والفتكين، وزحف الديلم بين البساتين، حتّى دخلوا البلد، وانزاح عنه ابن مكرم والفتكين، وكتبا إلى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور إليها، فتوقّف عن ذلك ووعدهما به، وسيّر إليهما ثمانين غلاماً من الأتراك، فعبروا وحملوا على الديلم من خلفهم، فأفرج لهم الديلم، فلمّا توسّطوا بينهم أطبقوا عليهم فقتلوهم.

فلمّا عرف بهاء الدولة ذلك ضعفت نفسه، وعزم على العود، ولم يُظهر ذلك، فأمر بإسراج الخيل وحَمْل السلاح، ففعل ذلك، وسار نحو الأهواز يسيراً، ثم عاد إلى البصرة فنزل بظاهرها. فلمّا عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد إلى عسكر مُكرم، وتبعهم العلاء والديلم فأجلوهم عنها، فنزلوا برامهرمز بين عسكر مُكرم وتُستَر، وتكرّرت الوقائع بين الفريقَيْن مدّة.

وكان بيد الأتراك، أصحاب بهاء الدولة، من تُستَر إلى رامهُرْمُز، ومع الديلم منها إلى أرّجان، وأقاموا ستّة أشهر، ثم رجعوا إلى الأهواز، ثم عبر بهم النهر إلى الديلم، واقتتلوا نحو شهرَيْن، ثم رحل الأتراك وتبعهم العلاء، فوجدهم قد سلكوا طريق واسط، فكفّ عنهم، وأقام بعسكر مُكرَم.

ذكر حادثة غريبة بالأندلس

في هذه السنة سيّر المنصور محمّد بن أبي عامر، أمير الأندلس لهشام المؤيّد، عسكراً إلى بلاد الفرنج للغزاة، فنالوا منهم وغنموا، وأوغلوا في ديارهم، وأسروا غرسية، وهو ملك للفرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة، وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم، وكان من القدَر أنّ شاعراً للمنصور، يقال له(١١٤/٩)أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعيّ، قد قصده من بلاد الموصل، وأقام عنده، وامتدحه قبل هذا التاريخ، فلمّا كان الآن أهدى أبو العلاء إلى المنصور أيّلاً، وكتب معه أبياتاً منها:

يا حِرْزَ كلّ مُخَوِّفٍ، وأمانَ كلّ مُشَرِّدٍ، ومُعِيزَ كلّ مُذَلَّلِ
جَدواكَ إن تُخصصْ بهِ فلأهلِهِ وتعمّ بالإحسانِ كلّ مُؤمّلِ

يقول فيها:

مولايَ مؤنسَ غُربتي، مُتخطِّفي من ظُفْرِ أيّامي، ممنّعَ مَعْقلي
عبدٌ رفعتَ بضَبْعِه، وغرستَهُ في نعمةٍ أهدى إليك بأيّلِ
سمّيتُه غَرسيّةً، وبعثتُه في حبلِهِ ليتاحَ فيه تفاؤلي
فلئن قبلتَ، فتلك أسنى نعمةٍ أسدَى بها ذو نعمةٍ وتطوُّلِ

فسمّى هذا الشاعر الأيّل غرسيّة تفاؤلاً بأسر ذلك غرسيّة، فكان أسره في اليوم الذي أهدى فيه الأيّل، فانظر إلى هذا الاتّفاق ما أعجبه.(١١٥/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد الوزير أبو القاسم عليّ بن أحمد الأبرقوهيّ من البطيحة إلى بهاء الدولة، بعد عوده من خوزستان، وكان قد التجأ إلى مهذّب الدولة، فأرسل بهاء الدولة يطلبه ليستوزره، فحضر عنده، فلم يتمّ له ذلك فعاد إلى البطيحة، وكان الفاضل، وزير بهاء الدولة، معه بواسط، فلما علم الحال استأذن في الإصعاد إلى بغداد، فأذن له فأصعد، فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع إليه، فغالطه ولم يعُدْ .

وفي هذه السنة، في ذي الحجّة، توفّي أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن أيّوب المعروف بابن شاهين الواعظ، مولده في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين، وكان مكثراً من الحديث ثقةً .

وفيها، في ذي القعدة، توفّي الإمام أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد بن مهدي المعروف بالدارقطنيّ الإمام المشهور.

وفيها، في ربيع الأول، توفّي محمّد بن عبد اللّه بن سُكرة الهاشمي من ولد عليّ بن المهدي باللّه، وكان منحرفاً عن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، وكان خبيث اللسان يُتّقَى سفهُهُ، ومن جيّد شعره:

في وجهِ إنسانةٍ كلِفتُ بها أربعةٌ ما اجتَمَعْنَ في أحَدِ
الوجهُ بدرٌ، والصُدغُ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ، والثَّغرُ من بَرَدِ

وفيها توفّي يوسف بن عمر بن مسْرُوق، أبو الفتح القوّاس، الزاهد، في ربيع الأول، وله خمس وخمسون سنة.(١١٦/٩)

سنة سِتٍّ وثمانين وثلاثمائة

ذكر وفاة العزيز باللّه وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب إلى أن استقرّ أمره

في هذه السنة توفّي العزيز أبو منصور نِزار بن المعزّ أبي تميم معدّ العلويّ، صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان، وعمره اثنان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف، بمدينة بَلْبيس، وكان برز إليها لغزو الروم، فلحقه عدّة أمراض منها النِّقْرِس والحَصَا والقُولَنْج، فاتّصلت به إلى أن مات.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، ومولده بالمهديّة من إفريقية.

وكان أسمر طويلاً، أصهب الشعر، عريض المنكبَيْن، عارفاً بالخيل والجوهر، قيل إنّه ولّى عيسى بن نسطورس النصرانيّ كتابتَه، واستناب بالشّام يهوديّاً اسمه منشا، فاعتزّ بهما النصارى واليهود، وآذوا المسلمين، فعمد أهل مصر وكتبوا قصّة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس، فيها: بالذي أعزّ اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك الاّ كشفت ظُلامتي؛ وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز، والرقعة بيدها، فلمّا رآها أمر بأخذها، فلما قرأ ما فيها، ورأى الصورة من قراطيس،(١١٧/٩)علم ما أُريد بذلك، فقبض عليهما، وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليهوديّ شيئاً كثيراً.

وكان يحبّ العفْو ويستعمله، فمن حلمه أنّه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقيُّ، وكان كثير الهجاء، فهجا يعقوب بن كلّس، وزير العزيز، وكاتب الإنشاء من جهته أبا نصر عبد اللّه بن الحسين القيروانيّ، فقال:

قُل لأبي نَصرٍ صاحبِ القَصْرِ والمُتأتّي لنَقْضِ ذا الأمْرِ
انقضِ عُرى المُلكِ للوزيرِ تَفُزْ منه بحُسْنِ الثناء والذِّكْرِ
وأعطِ، وامنع، ولاتخَفْ أحداً فصاحبُ القصرِ ليسَ في القصرِ
وليسَ يدري ماذا يُرادُ به وهو إذا ما درى، فما يدري

فشكاه ابن كلّس إلى العزيز، وأنشده الشعر، فقال له: هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه، ثم قال هذا الشاعر أيضاً وعرّض بالفضل القائد:

تنصّرْ، فالتنصّرُ دينُ حقّ عليه زماننا هذا يدلُّ
وقُل بثلاثة عزّوا وجلّوا وعطّلْ ما سواهم فَهْوَ عطّلُ

فيعقـــوب الوزيـــر أبٌ، وهـــذا العزيـز ابـنٌ، وروح القُـدس فضـل

فشكاه أيضاً إلى العزيز، فامتعض منه إلاّ أنّه قـال: اعـف عنـه؛ فعفا عنه. ثم دخل الوزير على العزيز، فقال: لم يبق للعفو عن هـذا معنىً، وفيه غضٌ(١١٨/٩)من السياسة، ونقضٌ لهيبـة الملـك، فإنّـه قد ذكرك وذكر ابن زبارج نديمك، وسبّك بقوله:

زبـارجيٌ نديـمٌ وكلّـبـيٌ وزيـرُ نعم على قدر الكلب يصلـح السـاجورُ

فغضب العزيز، وأمر بالقبض عليه، فقُبض عليه لوقته، ثـم بـدا للعزيز إطلاقه، فأرسل إليه يستدعيه، وكان للوزير عين فـي القصـر، فأخبره بذلك، فأمر بقتله فقُتل.

فلمّا وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعاً، فعاد إليـه فأخبره، فاغتمّ له.

ولما مات العزيز وليَ بعـده ابنـه أبـو عليّ المنصـور، ولُقّـب الحاكم بأمر اللّه، بعهد من أبيه، فوليَ وعمـره إحـدى عشـرة سـنة وستّة أشهر، وأوصى العزيز إلى أرجوان الخادم، وكـان يتولّـى أمـر داره، وجعله مدبّر دولة ابنه الحاكم، فقام بأمره، وبايع له، وأخذ لـه البيعة على الناس، وتقدّم الحسن بن عمّـار، شـيخ كتامـة وسيّدها، وحكم في دولته، واستولى عليها، وتلقّب بأمين الدولـة، وهـو أوّل من تلقّب في دولـة العلويّيـن المصريّيـن، فأشـار عليـه ثقاتـه بقتـل الحاكم، وقالوا: لا حاجة[بنا] إلى من يتعبّدنا؛ فلم يفعل احتقاراً له، واستصغاراً لسنّه.

وانبسطت كتامة في البلاد، وحكموا فيها، ومـدّوا أيديهـم إلـى أموال الرعيّة وحريمهم، وأرجـوان مقيـم مـع الحـاكم فـي القصـر يحرسه، واتّفق معه شكر خادم عضد الدولة، وقد ذكرنا قبض شرف الدولـة عليـه ومسـيره إلـى مصـر، فلمّـا(١١٩/٩)اتّفقـا، وصـارت كلمتهما واحدة، كتب أرجوان إلى منجوتكين يشكو ما يتمّ عليه من ابن عمّار، فتجهّز وسار من دمشق نحو مصر، فوصل الخبر إلى ابن عمّار، فأظهر أن منجوتكين قد عصى على الحاكم، وندب العسـاكر إلى قتاله، وسيّر إليه جيشاً كثيراً، وجعل عليهم أبا تميم سليمان بـن جعفر بن فـلاح الكتـاميّ، فسـاروا إليـه، فلقـوه بعَسـقلان، فـانهزم منجوتكين وأصحابـه، وقُتـل منهـم ألفـا رجـل، وأُسـر منجوتكيـن وحُمل إلى مصر، فأبقى عليه ابن عمّار، وأطلقه اسـتمالةً للمشـارقة بذلك .

واستعمل ابن عمّـار علـى الشـام أبـا تميـم الكتـاميّ، واسـمه سليمان بن جعفر، فسار إلـى طبريّـة، فاسـتعمل علـى دمشـق أخـاه عليّاً، فامتنع أهلها عليه، فكاتبهم أبو تميم يتهدّدهم فخافوا وأذعنـوا بالطاعة، واعتذروا من فعل سفهائهم، وخرجوا إلى علـي فلـم يعبـأ بهم وركب ودخل البلد فأحرق وقتل وعاد إلى معسكره .

وقـدم عليهـم أبـو تميـم فأحسـن إليهـم وأمّنهـم، وأطلـق المحبّسين، ونظر في أمـر السـاحل، واسـتعمل أخـاه عليّـاً علـى طرابلس، وعزل عنها جيش بن الصمصامـة الكتـاميّ، فمضـى إلـى مصر، واجتمع أرجـوان علـى الحسـن بـن عمّـار، فـانتهز أرجـوان الفرصة ببعد كتامة عن مصر مع أبي تميم، فوضـع المشـارقة علـى الفتك بمن بقي بمصر منهم، وبابن عمار معهم .

فبلغ ذلك ابـن عمّـار، فعمـل علـى الإيقـاع بـأرجوان وشـكر العضديّ، فأخبرهما عيون لهمـا علـى ابـن عمـار بذلـك، فاحتاطـا ودخلا قصر الحاكم بـاكين، وثـارت الفتنـة،واجتمعـت المشـارقة، ففرّق فيهم المال، وواقعوا ابن عمّار (١٢٠/٩) ومَـن معـه، فـانهزم واختفى .

فلما ظفر أرجوان أظهر الحـاكم، وأجلسـه، وجـدّد لـه البيعـة، وكتب إلى وجوه القواد والناس بدمشق بالإيقـاع بـأبي تميـم، فلـم يشعر إلاّ وقد هجموا عليه ونهبوا خزائنه، فخرج هارباً، وقتلـوا مـن كان عنده من كتامة، وعادت الفتنة بدمشق، واستولى الأحداث .

ثم إن أرجوان أذن للحسن بن عمار في الخروج مـن اسـتتاره، وأجراه على إقطاعه، وأمره بإغلاق بابه .

وعصى أهل صُور، وأمّروا عليهم رجلاً ملاّحاً يُعـرف بعَلاقـة، وعصى أيضاً المفرّج بن دغفل بن الجرّاح، ونزل على الرملة وعاث في البلاد .

واتّفق أن الدوقس، صاحب الروم، نـزل علـى حصـن أفاميـة، فأخرج أرجوان جيش بن الصمصامة في عسكر ضخم، فسار حتـى نزل بالرملة، فأطاعه واليها، وظفر فيها بأبي تميم فقبض عليه، وسيّر عسكراً إلى صور، وعليهم أبو عبد اللّه الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان، فغزاها برّاً وبحراً . فأرسل علاقة إلى ملك الروم يستنجده، فسيّر إليه عدّة مراكب مشحونة بالرجال، فالتقوا بمراكب المسـلمين على صور، فاقتتلوا، وظفر المسلمون، وانهزم الـروم، وقُتـل منهـم جمع، فلمّا انهزموا انخذل أهل صور، وضعفـت نفوسـهم، فملـك البلد أبو عبد اللّه بن حمدان، ونهبه، وأُخذت الأموال، وقُتـل كثـير من جنده، وكان أوّل فتح علـى يـد أرجـوان، وأخـذ علاقـة أسـيراً فسيّره إلى مصر،(١٢١/٩)فسُلخ وصُلب بها؛ وأقـام بصـور، وسـار جيش بن الصمصامة لقصد المفرّج ابن دغفل، فهرب من بين يديه، وأرسل يطلب العفو فأمّنه.

وسار جيش أيضاً إلى عسكر الـروم، فلمّـا وصـل إلـى دمشـق تلقّاه أهلها مذعنين، فأحسن إلى رؤساء الأحداث، وأطلـق المـؤن، وأباح دم كل مغربيّ يتعرّض لأهلها، فاطمأنّوا إليه.

وسار إلى أفامية، فصافّ الروم عندها، فانهزم هو وأصحابه، ما

عدا بشارة الإخشيديّ، فإنّه ثبت في خمسمائة فارس. ونزل الروم إلى سواد المسلمين يغنمون ما فيه، والدوقس واقف على رايته، وبين يديه ولده وعدّة غلمان، فقصده كرديّ يُعرف بأحمد بن الضحّاك، من أصحاب بشارة، ومعه خشت، فظنّه الدوقس مستأمناً، فلم يحترز منه، فلمّا دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت فقتله، فصاح المسلمون: قُتل عدوّ اللّه! وعادوا ونزل النصر عليهم، فانهزمت الروم وقُتل منهم مقتلة عظيمة.

وسار جيش إلى باب أنطاكية يغنم ويسبي ويُحرق، وعاد إلى دمشق فنزل بظاهرها، وكان الزمان شتاء، فسأله أهل دمشق ليدخل البلد، فلم يفعل، ونزل ببيت لهْيا، وأحسن السيرة في أهل دمشق، واستخصّ رؤساء الأحداث، واستحجب جماعة منهم، وجعل يبسط الطعام كلّ يوم لهم ولمن يجيء معهم من أصحابهم، فكان يحضر كلّ إنسان منهم في جمع من أصحابه وأشياعه، وأمرهم إذا فرغوا من الطعام أن يحضروا إلى حجرة له يغسلون أيديهم فيها، فعبر ذلك على برهة من الزمان، فأمر رؤساءه أن الأحداث، إذا دخلوا لغسل أيديهم، أن يغلقوا باب الحجرة عليهم، ويضعوا السيف في أصحابهم، فلمّا كان الغد حضروا الطعام، وقام الرؤساء إلى الحجرة،(١٢٢/٩)فأُغلقت الأبواب عليهم، وقتل من أصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل، ودخل دمشق فطافها، فاستغاث الناس وسألوه العفو، وأحضر أشراف أهلها، وقتل رؤساء الأحداث بين أيديهم، وسيّر الأشراف إلى مصر، وأخذ أموالهم ونعمهم، ثم مرض بالبواسير وشدّة الضربان فمات.

ووليَ بعده ابنه محمّد، وكانت ولايته هذه تسعة أشهر. ثم إنّ أرجوان بعد هذه الحادثة راسل بَسيل ملك الروم، وهادنه عشر سنين، واستقامت الأمور على يد أرجوان. وسيّر أيضاً جيشاً إلى بَرقة، وطرابلس الغرب، ففتحها، واستعمل عليها أنساً الصقلبيّ ونصح الحاكم، وبالغ في ذلك، ولازم خدمته، فثقل مكانه على الحاكم، فقتله سنة تسع ثمانين[وثلاثمائة].

وكان خصيّاً أبيض، وكان لأرجوان وزير نصرانيّ اسمه فهد بن إبراهيم، فاستوزره الحاكم، ثم إنّ الحاكم رتّب الحسين بن جوهر موضع أرجوان، ولقّبه قائد القوّاد ثم قتل الحسن بن عمّار، المقدّم ذكره، ثم قتل الحسين بن جوهر، ولم يزل يقيم الوزير بعد الوزير ويقتلهم. ثم جهّز بارختكين للمسير إلى حلب، وحصرها، وسيّر معه العساكر الكثيرة، فسار عنها، فخافه الحسّان بن المفرّج الطائيُّ، فلمّا رحل من غزة إلى عسقلان كمَن له حسّان ووالده، وأوقعا به وبمن معه، وأسراه وقتلاه، وقُتل من الفريقين قتلى كثيرة، وحصرا الرملة، ونهبا النواحي، وكثر جمعهما، وملكا الرملة(١٢٣/٩)وما والاها، فعظم ذلك على الحاكم، وأرسل يعاتبهما، وسبق السيف العذل، فأرسلا إلى الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلويّ الحسنيّ، أمير مكّة، وخاطباه بأمير المؤمنين، وطلباه إليهما ليبايعا له الخلافة، فحضر، واستناب بمكة، وخوطب بالخلافة.

ثم إنّ الحاكم راسل حسّاناً وأباه، وضمن لهما الأقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل، واستمالهما، فعدلا عن أبي الفتوح، وردّاه إلى مكّة، وعادا إلى طاعة الحاكم.

ثم إنّ الحاكم جهّز عسكراً إلى الشام، واستعمل عليهم عليّ بن جعفر بن فلاح، فلمّا وصل إلى الرملة أزاح حسّان بن المفرّج وعشيرته عن تلك الأرض، وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة، واستولى على أمواله وذخائره، وسار إلى دمشق والياً عليها، فوصل إليها في شوّال سنة تسعين وثلاثمائة.

وأمّا حسان فإنّه بقي شريداً نحو سنَتَيْن، ثم أرسل والده إلى الحاكم فأمّنه وأقطعه، فسار حسّان إليه بمصر، فأكرمه وأحسن إليه؛ وكان المفرّج والد حسّان قد توفّي مسموماً، وضع الحاكم عليه من سمّه، فبموته ضعُف أمر حسّان على ما ذكرناه.

ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة

في هذه السنة سار قائد كبير من قوّاد صمصام الدولة، اسمه لشكرستان، إلى البصرة، فأجلى عنها نوّاب بهاء الدولة.(١٢٤/٩)

وسبب ذلك أنّ الأتراك لما عادوا عن العلاء، كما ذكرناه، كان لشكرستان هذا مع العلاء، فأتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدولة أربعمائة رجل مستأمنين، فأخذهم لشكرستان، وسار بهم وبمن معه إلى البصرة، فكثر جمعه، فنزلوا قرب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة، ومال إليهم بعض أهل البصرة، ومقدّمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلويّ، وكانوا يحملون إليهم الميرة.

وعلم بهاء الدولة بذلك، فأنفذ من يقبض عليهم، فهرب كثير منهم إلى لشكرستان، فقوي بهم، وجمعوا السفن وحملوه فيها، ونزلوا إلى البصرة، فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها، وأخرجوهم عنها، وملك لشكرستان البصرة، وقتل من أهلها كثيراً، وهرب كثير منهم، وأخذ كثيراً من أموالهم.

فكتب بهاء الدولة إلى مهذّب الدولة، صاحب البطيحة، يقول: أنت أحقّ بالبصرة، فسيّر إليها جيشاً مع عبد اللّه بن مرزوق، فأجلى لشكرستان عن البصرة، فقيل: إنّما فارقها بعد أن حارب فيها، وضعف عن المقام بين يديه. وصفت البصرة لمهذّب الدولة.

ثم إنّ لشكرستان عمل على العود إلى البصرة، فهجم عليها في السفن، ونزل أصحابه بسوق الطعام، واقتتلوا، فاستظهر لشكرستان، وكاتب بهاء الدولة يطلب المصالحة، ويبذل الطاعة، ويخطب له بالبصرة، فأجابه مهذّب الدولة إلى ذلك، وأخذ ابنه

رهينة.

وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذّب الدولة،(١٢٥/٩)وعسّف أهل البصرة مدّة، فتفرّقوا، ثم إنّه أحسن إليهم وعدل فيهم، فعادوا.

ذكر ولاية المقلّد الموصل

في هذه السنة ملك المقيّد بن المسيّب مدينة الموصل.

وكان سبب ذلك أنّ أخاه أبا الذوّاد توفّي هذه السنة، فطمع المقلّد في الإمارة، فلم تساعده عُقَيْل على ذلك، وقلّدوا أخاه عليّاً لأنّه أكبر منه، فأسرع المقلّد واستمال الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر الحجّاج بالموصل، فمال إليه بعضهم، وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه البلد بألفيْ درهم كلّ سنة، ثم حضر عند أخيه عليّ، وأظهر له أنّ بهاء الدولة قد ولاّه الموصل، وسأله مُساعدته على أبي جعفر لأنه قد منعه عنها، فساروا ونزلوا على الموصل فخرج إليهم كلّ من استماله المقلّد من الديلم، وضعف الحجّاج، وطلب منهم الأمان، فأمّنوه، وواعدهم يوماً يخرج إليهم فيه.

ثم انّه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم، فلم يشعروا به إلاّ بعد انحداره، فتبعوه، فلم ينالوا منه شيئاً، ونجا بماله منهم، وسار إلى بهاء الدولة، ودخل المقلّد البلد، واستقرّ الأمر بينه وبين أخيه على أن يخطب لهما، ويقدّم عليّ لكبره، ويكون له معه نائب يجبي المال، واشتركا في البلد والولاية، وسار عليّ(١٢٦/٩)إلى البر، وأقام المقلّد وجرى الأمر على ذلك مُدَيْدة، ثم تشاجروا واختصموا وكان ما نذكره إن شاء اللّه.

وكان المقلّد يتولّى حماية غربيّ الفرات من أرض العراق، وكان له ببغداد نائب فيه تهوّر، فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة، فكتب إلى المقلّد يشكو، فانحدر من الموصل في عساكره، وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة حرب انهزموا فيها، وكتب إلى بهاء الدولة يعتذر، وطلب إنفاذ من يعقد عليه ضمان القصر وغيره.

وكان بهاء الدولة مشغولاً بمن يقاتله من عسكر أخيه، فاضطرّ إلى المغالطة، ومدّ المقلّد يده فأخذ الأموال، فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد، وهو حينئذٍ أبو عليّ بن إسماعيل، وخرج إلى حرب المقلّد، فبلغ الخبر إليه، فانفذ أصحابه ليلاً، فاقتتلوا، وعادوا إلى المقلّد، فلمّا بلغ الخبر إلى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلّد إلى بغداد، أنفذ أبا جعفر الحجّاج إلى بغداد، وأمره بمصالحة المقلّد والقبض على أبي عليّ بن إسماعيل، فسار إلى بغداد في آخر ذي الحجّة، فلمّا وصل إليها راسله المقلّد في الصُلح، فاصطلحا على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار، ولا يأخذ من البلاد إلاّ رسم الحماية، ويخطب لأبي جعفر بعد بهاء الدولة، وأن يخلع على المقلّد الخِلع السلطانيّة، ويلقّب بحسام الدولة، ويقطع الموصل، والكوفة، والقصر، والجامعَيْن، واستقرّ الأمر على ذلك، وجلس القادر باللّه له.

ولم يف المقلّد من ذلك بشيء إلاّ بحَمْل المال، واستولى على البلاد، ومدّ يده في المال، وقصده المتصرّفون والأماثل، وعظم قدره، وقبض أبو جعفر(١٢٧/٩)على أبي عليّ، ثم هرب أبو عليّ، نائب بهاء الدولة، واستتر وسار إلى البطيحة مستتراً، ملتجئاً إلى مهذّب الدولة.

ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس

في هذه السنة توفّي المنصور بن يوسف بُلكّين أمير إفريقية، أوائل ربيع الأول، خارج صبرة، ودُفن بقصره.

وكان ملكاً كريماً، شجاعاً، حازماً، ولم يزل مظفّراً منصوراً، حسن السيرة، محبّاً للعدل والرّعيّة، أوسعهم عدلاً، وأسقط البقايا عن أهل إفريقية، وكانت مالاً جليلاً.

ولما توفّي وليَ بعده ابنه باديس، ويُكنّى أبا مناد، فلمّا استقرّ في الأمر سار إلى سَردَانية، وأتاه الناس من كلّ ناحية للتعزية والتهنئة، وأراد بنو زيري أعمام أبيه أن يخالفوا عليه، فمنعهم أصحاب أبيه وأصحابه.

وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وأتته الخِلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر اللّه من مصر، فقُرئ العهد، وبايع للحاكم هو وجماعة بني عمّه والأعيان من القوّاد.

وفيها ثار على باديس رجل صنهاجيٌّ اسمه خليفة بن مبارك، فأُخذ وحُمل إلى باديس، فأُركب حماراً، وجُعل خلفه رجل أسود يصفعه، وطيف به، ولم يُقتل احتقاراً له وسُجن.

(١٢٨/٩)وفيها استعمل باديس عمّه حمّاد بن يوسف بلكّين على أشير، وأقطعه إيّاها، وأعطاه من الخيل والسلاح والعُدد شيئاً كثيراً، فخرج إليها، وحمّاد هذا هو جدّ بني حمّاد الذين كانوا ملوك إفريقية، والقلعة المنسوبة إليهم مشهورة بإفريقية، ومنهم أخذها عبد المؤمن بن عليّ.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره، وأخذ ماله، واستوزر بهاء الدولة سابور بن أردشير، فأقام نحو شهريْن، وفرّق الأموال، ووقّع بها للقوّاد قصداً ليضعف بهاء الدولة، ثم هرب إلى البطيحة، وبقي منصب الوزارة فارغاً، واستوزر أبو العبّاس بن سرجس.

وفيها استكتب القادر باللّه أبا الحسن عليّ بن عبد العزيز بن حاجب النعمان.

وفيها توفّي أحمد بن إبراهيم بن محمّد بن إسحاق أبو حامد بن أبي إسحاق المزكيّ، النيسابوريّ، في شعبان، وكان إماماً، ومولده سنة ثلاث وعشرين[وثلاثمائة].

وفيها توفّي عليّ بن عمر بن محمّد بن الحسن أبو إسحاق الحميريّ، المعروف بالسُّكّريّ، وبالحربيّ، وبالكيّال، ومولده سنة ستّ وتسعين ومائتين.

وفيها توفّي أبو الأغرّ دبيس بن عفيف الأسديّ بخوزستان؛ وأبو طالب محمّد بن عليّ بن عطيّة المكّيّ، صاحب[قوت القلوب]، رُوي أنّه صنّف[قوت القلوب] وكان قوته عروق البرديّ.(١٢٩/٩)

سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

ذكر موت الأمير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور

في هذه السنة توفّي الأمير الرضي نوح بن منصور الساماني في رجب، واختلّ بموته ملك آل سامان، وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً، وطمع فيهم أصحاب الأطراف، فزال ملكهم بعد مدّةٍ يسيرة.

ولما توفّي قام بالملك بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح، وبايعه الأمراء والقوّاد وسائر الناس، وفرّق فيهم بقايا الأموال، فاتّفقوا على طاعته. وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون. ولما بلغ خبر موته إلى ايلك خان سار إلى سَمَرْقَند، وانضمّ إليه فائق الخاصّة، فسيّره جريدة إلى بخارى، فلمّا سمع بمسيره الأمير منصور تحيّر في أمره، وأعجله عن التجهّز، فسار عن بخارى، وقطع النهر، ودخل فائق بخارى، وأظهر أنّه إنّما قصد المقام بخدمة الأمير منصور، رعايةً لحقّ أسلافه عليه، إذ هو مولاهم، وأرسل إليه مشايخ بخارى ومقدّمهم في العود إلى بلده وملكه، وأعطاه من نفسه ما يطمئنّ إليه من العهود والمواثيق، فعاد إليها ودخلها ووليّ فائق أمره وحكم في دولته، ووليّ بكتوزون إمرة الجيوش بخُراسان.

وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولاً بمحاربة أخيه إسماعيل، وعلى(١٣٠/٩)ما نذكره إن شاء اللّه تعالى، وسار بكتوزون إلى خُراسان فوليها، واستقرّت القواعد بها.

ذكر موت سبكتكين وملك ولده إسماعيل

وفي هذه السنة توفّي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان، وكان مقامه ببلخ، وقد ابتنى بها دوراً ومساكن، فمرض، وطال مرضه، وانزاح إلى هواء غزنة، فسار عن بلخ إليها،فمات في الطريق، فنقل ميّتاً إلى غزنة ودُفن فيها، وكانت مدّة حكمه نحو عشرين سنة.

وكان عادلاً، خيّراً، كثير الجهاد، حسن الاعتقاد، ذا مروءة تامّة، وحُسن عهد ووفاء، لا جرم بارك اللّه في بيته، ودام ملكهم مدّة طويلة جازت مدّة ملك السامانيّة والسلجوقيّة وغيرهم.

وكان ابنه محمود أوّل من لُقّب بالسلطان، ولم يلقّبْ به أحدٌ قبله.

ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك بعده، فلمّا مات بايع الجند لإسماعيل، وحلفوا له، وأطلق لهم الأموال، وكان أصغر من أخيه محمود، فاستضعفه الجند، فاشتطّوا في الطلب حتّى أفنى الخزائن التي خلّفها أبوه.

ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك

لما توفّي سبكتكين، وبلغ الخبر إلى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور، وجلس للعزاء، ثمّ أرسل إلى أخيه إسماعيل يعزّيه بأبيه، ويعرّفه أنّ أباه إنّما(١٣١/٩)عهد إليه لبعده عنه، ويذكره ما يتعيّن من تقديم الكبير، ويطلب منه الوفاق، وإنفاذ ما يخصّه من تركة أبيه. فلم يفعل، وتردّدت الرُّسُل بينهما فلم تستقرّ القاعدة. فسار محمود عن نيسابور إلى هَراة عازماً على قصد أخيه بغزنة، واجتمع بعمّه بُغراجق بهراة، فساعده على أخيه إسماعيل، وسار نحو بُست، وبها أخوه نصر، فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنة.

وبلغ الخبر إلى إسماعيل، وهو ببلخ، فسار عنها مجدّاً، فسبق أخاه محموداً إليها؛ وكان الأمراء الذين مع إسماعيل كاتبوا أخاه محموداً يستدعونه، ووعدوه الميل إليه، فجدّ في المسير، والتقى هو وإسماعيل بظاهر غزنة، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم إسماعيل وصعد إلى قلعة غزنة فاعتصم بها، فحصره أخوه محمود واستنزله بأمان. فلمّا نزل إليه أكرمه، وأحسن إليه، وأعلى منزلته، وشركه في ملكه وعاد إلى بلخ واستقامت الممالك له.

وكانت مدّة ملك إسماعيل سبعة أشهر، وهو فاضل، حسن المعرفة، له نظم ونثر، وخطب في بعض الجُمعات، فكان يقول بعد الخطبة للخليفة: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي من الملكِ وَعَلَّمْتَنِي من تَأْوِيلِ الأحاديثِ، فاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي في الدُّنْيا والآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ﴾[يوسف:١٠١].

ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة

في هذه السنة توفّي فخر الدولة أبو الحسن عليّ بن ركن الدولة أبي عليّ الحسن بن بويه بقلعة طبرق، في شعبان.(١٣٢/٩)

وكان سبب ذلك أنّه أكل لحماً مشويّاً، وأكل بعده عنباً، فأخذه

المغص، ثم اشتدّ مرضه فمات منه. فلمّا مات كانت مفاتيح الخزائن بالرَّيّ عند أمّ ولده مجد الدولة، فطلبوا له كفناً فلم يجدوه، وتعذّر النزول إلى البلد لشدّة شغب الديلم، فاشتروا له من قيّم الجامع ثوباً كفّنوه فيه، وزاد شغب الجند فلم يمكنهم من دفنه فبقي حتّى أنتن ثم دفنوه.

وحين توفّي قام بملكه بعده ولده مجد الدولة أبو طالب رستم، وعمره أربع سنين، أجلسه الأمراء في الملك، وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقَرميسين إلى حدود العراق. وكان المرجع إلى والدة أبي طالب في تدبير الملك، وعن رأيها يصدرون، وبين يديها، في مباشرة الأعمال، أبوطاهر صاحب فخر الدولة، وأبو العبّاس الضَّبّيُّ الكافي.

ذكر وفاة مأمون بن محمّد وولاية ابنه عليّ

وفيها توفّي مأمون بن محمد، صاحب خُوارزم والجُرجانيّة، فلمّا توفّي اجتمع أصحابه على ولده عليّ وبايعوه، واستقرّ له ما كان لأبيه، وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين، وخطب إلى أخته، فزوّجه، واتّفقت كلمتهما وصارا يداً واحدة إلى أن مات عليّ وقام بعده أخوه أبو العبّاس مأمون بن مأمون، واستقرّ في الملك، فأرسل إلى يمين الدولة يخطب أخته أيضاً فأجابه إلى ذلك، وزوّجه، فداما أيضاً على الاتّفاق والاتّحاد مدّة.

وسيرد من أخباره معه سنة سبع وأربعمائة إن شاء الله تعالى ما تقف عليه.(١٣٣/٩)

ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده

في هذه السنة توفّي أبو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان، وكان موته بعسكر مُكرَم، وكان شهماً، شجاعاً، حسن التدبير، فأنفذ صمصام الدولة أبا عليّ بن أستاذ هُرمُز، ومعه المال، ففرّقه في الديلم، وسار إلى جُند نيسابور فدفع أصحاب بهاء الدولة عنها، وجرت له معهم وقائع كثيرة كان الظفر فيها له، وأزاح الأتراك عن خوزستان، وعادوا إلى واسط، وخلت لأبي عليّ البلاد، ورتّب العمّال، وجبى الأموال، وكاتب أتراك بهاء الدولة واستمالهم، فأتاه بعضهم فأحسن إليهم، واستمرّ حال أبي عليّ في أعمال خوزستان.

ثم إنّ أبا محمّد بن مُكرَم والأتراك عادوا من واسط، واستعدّ أبو عليّ للحرب، وجرى بينهم وقائع. ولم يكن للأتراك قوّة على الديلم، فعزموا على العود إلى واسط ثانياً، فاتّفق مسير بهاء الدولة من البصرة إلى القنطرة البيضاء، وكان ما نذكره إن شاء الله.

ذكر القبض على عليّ بن المسيّب وما كان بعد ذلك

في هذه السنة قبض المقلّد على أخيه عليّ.

وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الاختلاف الواقع بين أصحابهما بالموصل، واشتغل المقلّد بما ذكرناه بالعراق، فلمّا خلا وعاد إلى الموصل عزم(١٣٤/٩)على الانتقام من أصحاب أخيه، ثم خافه، فأعمل الحيلة في قبض أخيه، فأحضر عسكره من الديلم والأكراد وأعلمهم أنّه يريد قصد دقوقا، وحلّفهم على الطاعة، وكانت داره ملاصقة دار أخيه، فنقب في الحائط ودخل إليه وهو سكران، فأخذه وأدخله الخزانة، وقبض عليه، وأرسل إلى زوجته يأمرها بأخذ ولَدَيْه قرواش وبدران واللحاق بتكريت، قبل أن يسمع أخوه الحسن الخبر، ففعلت ذلك، وخلصت، وكانت في الحلّة التي له على أربعة فراسخ من تكريت.

وسمع الحسن الخبر فبادر إلى الحلّة ليقبض أولاد أخيه، فلم يجدهم؛ وأقام المقلّد بالموصل يستدعي رؤساء العرب ويخلع عليهم، فاجتمع عنده زهاء ألْفَيْ فارس، وسار الحسن في حلل أخيه، ومعه أولاد أخيه عليّ وحُرَمه، ويستنفرهم على المقلّد، فاجتمع معه نحو عشرة آلاف، وراسل المقلّد يؤذنه بالحرب، فسار عن الموصل، وبقي بينهم منزل واحد، ونزل بإزاء العلْث، فحضره وجوه العرب، واختلفوا عليه، فمنهم من أشار بالحرب ومنهم رافع بن محمد بن مَقن؛ ومنهم من أشار بالكفّ عن القتال، وصلة الرحم، ومنهم غريب بن محمد بن مقن، وتنازع هو وأخوه.

فبينما هم في ذلك قيل لمقلّد: إنّ أختك رُهيلة بنت المسيّب تريد لقاءك وقد جاءتك؛ فركب وخرج إليها، فلم تزل معه حتّى أطلق أخاه عليّاً، وردّ إليه ماله ومثله معه، وأنزله في خيم ضربها له. فسُرّ الناس بذلك، وتحالفا، وعاد إلى حلّته.

وعاد المقلّد إلى الموصل، وتجهّز للمسير إلى أبي الحسن عليّ بن مزيد الأسديّ لأنّه تعصّب لأخيه عليّ، وقصد ولاية المقلّد بالأذى فسار إليه.(١٣٥/٩)

ولما خرج عليّ من محبسه اجتمع العرب إليه، وأشاروا عليه بقصد أخيه المقلّد، فسار إلى الموصل، وبها أصحاب المقلّد، فامتنعوا عليه، فافتتحها، فسمع المقلّد بذلك، فعاد إليه، واجتاز في طريقه بحلّة أخيه الحسن، فخرج إليه، فرأى كثرة عسكره، فخاف على أخيه عليّ منه، فأشار عليه بالوقوف ليصلح الأمر، وسار إلى أخيه عليّ وقال له: إنّ الأعور، يعني المقلّد، قد أتاك بحدّه وحديده وأنت غافل؛ وأمره بإفساد عسكر المقلّد، فكتب إليهم، فظفر المقلّد بالكتب فأخذها وسار مجدّاً إلى الموصل، فخرج إليه أخواه عليّ والحسن وصالحاه، ودخل الموصل وهما معه.

ثم خاف عليّ فهرب من الموصل ليلاً، وتبعه الحسن، وتردّدت الرسل بينهم، فاصطلحوا على أن يدخل أحدهما البلد في غيبة الآخر، وبقوا كذلك إلى سنة تسع وثمانين[وثلاثمائة].

ومات عليّ سنة تسعين[وثلاثمائة]وقام الحسن مقامه، فقصده المقلّد ومعه بنو خفاجة، فهرب الحسن إلى العراق، وتبعه المقلّد فلم يدركه فعاد.

ولما استقرّ أمر المقلّد، بعد أخيه عليّ، سار إلى بلد عليّ بن مَزْيَد الأسديّ فدخله ثانية، والتجأ ابن مزيد إلى مهذّب الدولة، فتوسّط ما بينه وبين المقلّد، وأصلح الأمر معه، وسار المقلّد إلى دقوقا فملكها.(١٣٦/٩)

ذكر ملك جبرئيل دقوقا

في هذه السنة ملك جبرئيل بن محمّد دقوقا. وجبرئيل هذا من الرّجّالة الفُرس ببغداد، وخدم مهذّب الدولة بالبطيحة، فهمّ بالغزو، وجمع جمْعاً كثيراً، واشترى السلاح وسار فاجتاز في طريقه بدقوقا، فوجد المقلّد بن المسيّب يحاصرها، فاستغاث أهلها بجبرئيل فحماهم ومنع عنهم.

وكان بدقوقا رجلان نصرانيّان قد تمكّنا في البلد، وحكما فيه، واستعبدا أهله، فاجتمع جماعة من المسلمين إلى جبرئيل وقالوا له: إنّك تريد الغزو، ولست تدري أتبلغ غرضاً أم لا، وعندنا من هذَيْن النصرانيّيْن من قد تعبّدنا، وحكم علينا، فلو أقمت عندنا، وكفيتنا أمرهما، ساعدناك على ذلك. فأقام وقبض عليهما، وأخذ مالهما، وقوي أمره، فملك البلد في شهر ربيع الأول، وثبت قدمه، وأحسن معاملة أهل البلد، وعدل فيهم، وبقي مدّة على اختلاف الأحوال.

ثم ملكها المقلّد، وملكها بعده محمّد بن عنّاز، ثم أخذها بعده قرواش، ثم انتقلت إلى فخر الدولة أبي غالب، فعاد جبرئيل هذا حينئذ إلى دقوقا، واجتمع مع أمير من الأكراد يقال له موصك بن جكويه، ودفعا عُمّال فخر الدولة عنها وأخذاها، فقصدها بدران بن المقلّد وغلبهما وأخذها منهما.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرج أبو الحسن عليّ بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة، فسيّر إليه عسكراً، فهرب من بين أيديهم إلى مكان لا يقدرون على الوصول إليه فيه،(١٣٧/٩)ثم أرسل بهاء الدولة وأصلح حاله معه وعاد إلى طاعته.

وفيها توفّي أبو الوفاء محمّد بن المهندسيّ الحاسب.

وفيها، في المحرّم، توفّي عبيد اللّه بن محمّد بن حمران أبو عبد اللّه العُكْبَريّ المعروف بابن بطّة الحنبليّ، وكان مولده في شوّال سنة أربع وثلاثمائة، وكان زاهداً، عابداً، عالماً، ضعيفاً في الرواية.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو الحسين محمّد بن أحمد بن إسماعيل المعروف بابن سمعون، الواعظ، الزاهد، له كرامات، وكان مولده سنة ثلاثمائة.

وفيها، تاسع ذي الحجّة، توفّي الحسن بن عبد اللّه بن سعيد أبو أحمد العسكريّ، الراوية، العلاّمة، صاحب التصانيف الكثيرة في الأدب، واللغة، والأمثال، وغيرها.(١٣٨/٩)

سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي القاسم السيمجوريّ إلى نيسابور

قد ذكرنا مسير أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي عليّ إلى جُرجان ومقامه بها. فلمّا مات فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة، واجتمع عنده جماعة كثيرة من أصحاب أخيه. وكان قد أرسل إلى شمس المعالي يستدعيه من نيسابور ليسلّمها إليه، فسار إليه حتّى وافى جُرجان، فلمّا بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها، فعاد شمس المعالي إلى نيسابور.

فكتب فائق من بخارى إلى أبا القاسم يغريه بيكتوزون، ويأمره بقصد خراسان، وإخراج بكتوزون عنها لعداوة بينهما. فسار أبو القاسم عن جُرجان نحو نيسابور، وسيّر سريّة إلى أسفرايين، وبها عسكر لبكتوزون، فقاتلوهم وأجلوهم عن أسفرايين، واستولى أصحاب أبي القاسم عليها، وسار أبو القاسم إلى نيسابور، فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها في ربيع الأول، واقتتلوا، واشتدّ القتال بينهم فانهزم أبو القاسم وقُتل من أصحابه وأُسر خلق كثير.

وسار أبو القاسم إلى قُهستان وأقام بها حتّى اجتمع إليه أصحابه، وسار إلى بُوشَنْجَ واحتوى عليها، وتصرّف فيها، فسار إليه بكتوزون، وتردّدت الرسل بينهما، حتّى اصطلحا وتصاهرا، وعاد بكتوزون إلى نيسابور.(١٣٩/٩)

ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعوده عنها

لما فرغ محمود من أمر أخيه، وملك غزنة، وعاد إلى بلخ رأى بكتوزون قد وَلِيَ خراسان، على ما ذكرناه، فأرسل إلى الأمير منصور بن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته، ويطلب خراسان، فأعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ تِرْمِذ وبَلخ وما وراءها من أعمال بُست وهراة، فلم يقنع بذلك، وأعاد الطلب، فلم يجبه إلى ذلك، فلمّا تيقّن المنع سار إلى نيسابور، وبها بكتوزون، فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها، فدخلها محمود وملكها. فلمّا سمع الأمير منصور بن نوح سار عن بخارى نحو نيسابور، فلمّا علم محمود بذلك سار عن نيسابور إلى مرو الرُّوذ، ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم.

ذكر عود قابوس إلى جُرجان

في هذه السنة عاد شمس المعالي قابوس بن وشمكير إلى جُرجان وملكها؛ ولما ملك فخر الدولة بن بويه جُرجان والريّ أراد أن يسلّم جرجان إلى قابوس، فردّه عن ذلك الصاحب بن عبّاد، وعظّمها في عينه، فأعرض عن الذي أراده، ونسي ما كان بينهما من الصحبة بخراسان، وأنّه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس، والملك عقيم.

وقد ذكرنا كيف أُخذت منه، ومقامه بخراسان، وإنفاذ ملوك السامانيّة الجيوش في نصرته مرّة بعد أخرى، فلم يقدّر اللّه تعالى عود ملك إليه.

ولما وليَ سبكتكين خراسان اجتمع به ووعده أن يسيّر معه الجيوش ليردّه(١٤٠/٩)إلى مملكته، فمضى إلى بلخ ومرض ومات.

فلمّا كان هذه السنة، بعد موت فخر الدولة، سيّر شمس المعالي قابوسُ الأصبهبذ شهريارَ بن شروين إلى جبل شهريار، وعليه رستم بن المرزبان، خال مجد الدولة بن فخر الدولة، فاقتتلا، فانهزم رستم، واستولى الأصبهبذ على الجبل، وخطب لشمس المعالي، فسار إلى آمل، وبها عسكر لمجد الدولة، فطردهم عنها واستولى عليها، وخطب لقابوس، وكتب إليه بذلك.

ثم إنّ أهل جُرجان كتبوا إلى قابوس يستدعونه، فسار إليهم من نيسابور، وسار الأصبهبذ وباتي بن سعيد إلى جُرجان، وبها عسكر لمجد الدولة، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عسكر مجد الدولة إلى جُرجان، فلمّا بلغوها صادفوا مقدّمة قابوس قد بلغتها، فأيقنوا بالهلاك، وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية، وكانت قرحاً على قرح، ودخل شمس المعالي جُرجان في شعبان من هذه السنة.

وبلغ المنهزمون الريّ، فجهّزت العساكر من الريّ نحو جرجان، فساروا وحصروها، فغلت الأسعار بالبلد، وضاقت الأمور بالعسكر أيضاً، وتوالت عليهم الأمطار والرياح، فاضطروا إلى الرحيل، فتبعهم شمس المعالي فلحقهم وواقعهم فاقتتلوا، وانهزم عسكر الريّ وأُسر من أعيانهم جماعة كثيرة، وقُتل أكثر منهم، فأطلق شمس المعالي الأسْرى، واستولى على تلك الأعمال ما بين جُرجان وأستراباذ.

ثم إنّ الأصبهبذ حدّث نفسه بالاستقلال، والتّفرّد عن قابوس، واغترّ بما اجتمع عنده من الأموال والذخائر، فسارت إليه العساكر من الريّ، وعليها(١٤١/٩)المرزبان، خال مجد الدولة، فهزموا الأصبهبذ وأسروه، ونادوا بشعار شمس المعالي لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة، وكتب إلى شمس المعالي بذلك، وانضافت مملكة الجبل جميعها إلى ممالك جُرجان وطَبَرِستان، فولاّها شمس المعالي ولدَه منوجهر، ففتح الرُّويان وسالوس، وراسل قابوس يمين الدولة محموداً، وهاداه، وصالحه، واتّفقا على ذلك.

ذكر مسير بهاء الدولة إلى واسط وما كان منه

في هذه السنة عاد أبو عليّ بن إسماعيل إلى طاعة بهاء الدولة، وهو بواسط، فوزر له، ودبّر أمره، وأشار عليه بالمسير إلى أبي محمد بن مُكرَم ومن معه من الجند ومساعدتهم، ففعل ذلك، وسار على كُرهٍ وضيق، فنزل بالقنطرة البيضاء، وثبت أبو عليّ بن أستاذ هُرمُز وعسكره، وجرى لهم معه وقائع كثيرة.

وضاق الأمر ببهاء الدولة، وتعذّرت عليه الأقوات، فاستمدّ بدرَ بن حسنويه، فأنفذ إليه شيئاً قام ببعض ما يريده، وأشرف بهاء الدولة على الخطر، وسعى أعداء أبي عليّ بن إسماعيل به حتى كاد يبطش به، فتجدّد من أمر ابنَيْ بختيار وقَتْل صمصام الدولة ما يأتي ذكره، وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب، وصلح أمر أبي عليّ عنده، واجتمعت الكلمة عليه، وسيأتي شرح ذلك، إن شاء اللّه تعالى.(١٤٢/٩)

ذكر قتل صمصام الدولة

في هذه السنة، في ذي الحجّة، قُتل صمصام الدولة بن عضد الدولة.

وسبب ذلك أنّ جماعة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لأنّه أمر بعرضهم، وإسقاط من ليس بصحيح النسب، فأسقط منهم مقدار ألف رجل، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون.

واتّفق أنّ أبا القاسم وأبا نصر ابني عزّ الدولة بختيار كانا مقبوضين، فخدعا الموكّلين بهما في القلعة، فأفرجوا عنهما، فجمعا لفيفاً من الأكراد، واتّصل خبرهما بالذين أُسقطوا من الديلم، فأتوهم، وقصدوا إلى أرّجان، فاجتمعت عليها العساكر، وتحيّر صمصام الدولة، ولم يكن عنده من يدبّره.

وكان أبو جعفر أستاذ هُرمُز مقيماً بفَسا، فأشار عليه بعض مَنْ عنده بتفريق ما عنده من المال في الرجال، والمسير إلى صمصام الدولة، وأخذه إلى عسكر بالأهواز، وخوّفه إن لم يفعل ذلك. فشحّ بالمال، فثار به الجند ونهبوا داره وهربوا، فاختفى، فأُخذ وأُتي به إلى ابنَيْ بختيار، فحُبس، ثم احتال فنجا.

وأما صمصام الدولة فإنّه أشار عليه أصحابه بالصعود إلى القلعة التي على باب شيراز والامتناع بها إلى أن يأتي عسكره ومَن يمنعه، فأراد الصعود إليها، فلم يمكنه المستحفظ بها، وكان معه ثلاثمائة رجل، فقالوا له: الرأي أنّنا(١٤٣/٩)نأخذك ووالدتك، ونسير إلى أبي عليّ بن أستاذ هُرمُز؛ وأشار بعضهم بقصد الأكراد

وأخذهم والتقوّي بهم، ففعل ذلك، وخرج معهم بخزائنه وأمواله، فنهبوه، وأرادوا أخذه فهرب وسار إلى الدودمان، على مرحلتَيْن من شيراز.

وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر، فبادر إلى شيراز، ووثب رئيس الدودمان، واسمه طاهر، بصمصام الدولة فأخذه، وأتاه أبو نصر بن بختيار وأخذه منه فقتله في ذي الحجّة، فلمّا حُمل رأسه إليه قال: هذه سنّة سنّها أبوك، يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار.

وكان عمر صمصام الدولة خَمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، ومدّة إمارته بفارس تسع سنين وثمانية أيّام، وكان كريماً حليماً. وأمّا والدته فسُلّمت إلى بعض قوّاد الديلم، فقتلها وبنى عليها دكّة في داره، فلمّا ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها في تُربة بني بويه.

ذكر هرب ابن الوثّاب

في هذه السنة هرب أبو عبد اللّه بن جعفر المعروف بابن الوثّاب من الاعتقال في دار الخلافة.

وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع، فلمّا خُلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذّب الدولة، فأرسل القادر باللّه في أمره، فأخرجه، فسار إلى(١٤٤/٩)المدائن، وأتى خبره إلى القادر فأخذه وحبسه، فهرب هذه السنة، ومضى إلى كيلان، وادّعى أنّه هو الطائع لله، وذكر من أمور الخلافة ما كان يعرفه، وزوّجه محمّد بن العبّاس، مقدّم كيلان، وشدّ منه، وأقام له الدعوة، وأطاعه أهل نواحٍ أُخَر، وأدّوا إليه العُشر على عادتهم.

وورد من هؤلاء القوم جماعة يحجّون، فأحضرهم القادر وكشف لهم حاله، وكتب على أيديهم كتباً في المعنى، فلم يقدح ذلك فيه. وكان أهل كيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كج، فكوتب من بغداد في المعنى، فكشف لهم الأمر، فأخرجوا أبا عبد اللّه عنهم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عظم أمر بدر بن حسنويه، وعلا شأنه، ولُقّب، من ديوان الخليفة، ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصّدقات بالحرَمَيْن، ويكثر الخرج على العرب بطريق مكّة ليكفّوا عن أذى الحجّاج، ومنع أصحابه من الفساد وقطع الطريق، فعظم محلّه، وسار ذكره.

وفيها نظر أبو عليّ بن أبي الريّان في الوزارة بواسط.

وفيها مات أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الجكّار.(١٤٥/٩)

سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الأمير منصور بن نوح وملك أخيه عبد الملك

في هذه السنة قُبض على الأمير منصور بن نوح بن منصور الساماني، صاحب بخارى وما وراء النهر، وملك أخوه عبد الملك

وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان، وعوده عن نَيسابور إلى مرو الرُّوذ، فلما نزلها سار بكتوزون إلى الأمير منصور، وهو بسَرْخَس، فاجتمع به فلم يرَ من إكرامه وبرّه ما كان يؤمّله، فشكا ذلك إلى فائق، فقابله فائق بأضعاف شكواه، فاتفقا على خلعه من الملك، وإقامة أخيه مقامه، وأجابهما إلى ذلك جماعة من أعيان العسكر، فاستحضره بكتوزون بعلّة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود، فلما اجتمعوا به قبضوا عليه، وأمر بكتوزون مَنْ سَمله فأعماه، ولم يراقب اللّه ولا إحسان مواليه، وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك، وهو صبيّ صغير.

وكانت مُدّة ولاية منصور سنةً وسبعة أشهر. وماج الناس بعضهم في بعض، وأرسل محمود إلى فائق وبكتوزون يلومهما، ويقبّح فعلهما، وقويت نفسه على لقائهما، وطمع في الاستقلال بالملك، فسار نحوهما عازماً على القتال.(١٤٦/٩)

ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خُراسان

لما قُبض الأمير منصور سار محمود نحو فائق و بكتوزون، ومعهما عبد الملك بن نوح، فلما سمعوا بمسيره ساروا إليه، فالتقوا بمرو آخر جمادى الأولى، واقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس إلى الليل، فانهزم بكتوزون وفائق ومَن معهما.

فأما عبد الملك وفائق فإنهما لحقا ببخارى، وقصد بكتوزون نَيسابور، وقصد أبو القاسم بن سيمجور قُهستان، فرأى محمود أن يقصد بكتوزونَ وأبا القاسم، ويعجلهما عن الاجتماع والاحتشاد، فسار إلى طُوس، فهرب منه بكتوزون إلى نواحي جُرجان، فأرسل محمود خلفه أكبر قوّاده وأمرائه وهو أرسلان الجاذب في عسكر جرّار، فاتّبعه حتّى ألحقه بجرجان، وعاد فاستخلفه محمود على طُوس، وسار إلى هَراة.

فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نَيسابور عاد إليها فملكها، فقصده محمود، فأجفل من بين يديه إجفال الظّليم، واجتاز بمرو فنهبها، وسار عنها إلى بخارى، واستقرّ ملك محمود بخراسان، فأزال عنها اسم السامانيّة، وخطب فيها للقادر باللّه، وكان إلى هذا الوقت لا يخطب له فيها، إنما كان يخطب للطائع

لله، واستقلّ بملكها منفرداً، وتلك سُنّة اللّه تعالى يُؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء .

وولّى محمود قيادة جيوش خُراسان أخاه نصراً، وجعله بنَيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانيّة، وسار هو إلى بلخ، مستقرّ والده، فاتّخذها دار ملكٍ، واتّفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كآل فريغون،(١٤٧/٩) أصحاب الجوزجان، ونحن نذكرهم إن شاء اللّه تعالى، وكالشار الشاه، صاحب غَرْشِسْتان، ونحن نذكر هاهنا أخبار هذا الشار، فاعلم أنّ هذا اللقب، وهو الشار، لقب كل من يملك بلاد غَرْشِستان، ككسرى للفرس،وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة، وكان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك وسلّمه إلى ولده الشاه، وفيه لُوثة وَهَوَج، واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء.

ولما عصى أبو علي بن سيمجور على الأمير نوح أرسل إلى غَرْشِستان مَنْ حصرها، وأجلى عنها الشاه الشار ووالده أبا نصر، فقصدا حصناً منيعاً في آخر ولايتهما، فتحصّنا به إلى أن جاء سبكتكين إلى نصرة الأمير نوح، فنزلا إليه وأعاناه على أبي علي وعادا إلى ملكهما . فلما ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان أطاعاه وخطبا له .

ثم إن يمين الدولة، بعد هذا، أراد الغزوة إلى الهند، فجمع لها وتجهّز، وكتب إلى الشاه الشار يستدعيه ليشهد معه غزوته، فامتنع وعصى، فلما فرغ من غزوته سيّر إليه الجيوش ليملكوا بلاده، فلما دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الأمان، فأُجيب إلى ذلك، وحُمل إلى يمين الدولة فأكرمه، واعتذر أبو نصر بعقوق ولده، وخلافه عليه، فأمره بالمقام بهراة متوسّعاً عليه إلى أن مات سنة اثنتين وأربعمائة .

وأما ولده الشاه فإنه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على أبي علي، فأقام به ومعه أمواله وأصحابه، فحصره عسكر يمين الدولة في حصنه، ونصبوا (١٤٨/٩) عليه المجانيق، وألحّوا عليه بالقتال ليلاً ونهاراً، فانهدمت أسوار حصنه، وتسلّق العسكر إليه، فلما أيقن بالعطب طلب الأمان، والعسكر يقاتله، فلم يزل كذلك حتى أُخذ أسيراً، وحُمل إلى يمين الدولة، فضُرب تأديباً له، ثم أُودع السجن إلى أن مات، وكان موته قبل موت والده.

ورأيتُ عدّة مجلّدات من كتاب [التهذيب] للأزهريّ في اللغة بخطّه، وعليه ما هذه نسخته : يقول محمد بن أحمد بن الأزهريّ قرأ عليّ الشار أبو نصر هذا الجزء من أوّله إلى آخره، وكتبه بيده صحّ . فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية، فإن من يصحب مثل الأزهريّ، ويقرأ كتابه [التهذيب]، يكون فاضلاً .

ذكر انقراض دولة السامانيّة وملك الترك ما وراء النهر

في هذه السنة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين، وايلك الخان التركيّ، واسمه أبو نصر أحمد بن علي، ولقبه شمس الدولة .

فأما محمود فإنه ملك خراسان، كما ذكرناه، وبقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر، فلما انهزم من محمود قصد بخارى واجتمع بها هو وفائق وبكتوزون وغيرهما من الأمراء والأكابر، فقويت نفوسهم، وشرعوا في جمع العساكر، وعزموا على العود إلى خراسان، فاتّفق أن مات فائق، وكان (١٤٩/٩) موته في شعبان من هذه السنة، فلما مات ضعفت نفوسهم، ووهنت قوّتهم، فإنه كان هو المشار إليه من بينهم، وكان خَصِيّاً من موالي نوح بن نصر.

وبلغ خبرهم إلى ايلك الخان، فسار في جمع الأتراك إلى بخارى، وأظهر لعبد الملك المودّة والموالاة، والحميّة له، فظنّوه صادقاً، ولم يحترسوا منه، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقوّاد، فلما اجتمعوا قبض عليهم، وسار حتى دخل بخارى يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة، فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلّة عدده، فاختفى ونزل ايلك الخان دار الإمارة، وبثّ الطُّلّب والعيون على عبد الملك، حتى ظفر به، فأودعه بافكند فمات بها، وكان آخر ملوك السامانيّة، وانقضت دولتهم على يده كأنْ لم تَغْنَ بالأمس، كدأب الدول قبلها، إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار . وحبس معه أخوه أبو الحارث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله، وأخواه أبو إبراهيم، إسماعيل، وأبو يعقوب ابنا نوح، وعمّاه أبو زكرياء وأبو سليمان، وغيرهم من آل سامان، وأفرد كلّ واحد منهم في حجرة .

وكانت دولتهم قد انتشرت وطبّقت كثيراً من الأرض من حدود حُلوان إلى بلاد الترك، بما وراء النهر، وكانت من أحسن الدول سيرةً وعدلاً، وعبد الملك هذا هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل كلّهم ملكوا، وكان منهم من ليس مذكوراً في هذا النسب ؛ وعبد الملك بن نوح بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور، وكان منهم أيضاً منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك هذا الأخير الذي زال الملك في ولايته وليَ قبله .(١٥٠/٩)

ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبي علي بن أستاذ هُرمُز بالأهواز في طاعة بهاء الدولة.

وكان سبب ذلك أنّ ابنَيْ بختيار لما قتلا صمصام الدولة، كما تقدّم، وملكا بلاد فارس، كتبا إلى أبي علي بن أستاذ هُرمُز بسالخبر،

ويذكران تعويلهما عليه، واعتضادهما به، ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم، والمقام بمكانه، والجد بمحاربة بهاء الدولة . فخافهما أبو علي لما كان أسلفه إليهما من قِبَل أخويهما وأسرهما،فجمع الديلم الذين معه وأخبرهم الحال، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بطاعة ابنَيْ بختيار ومقاتلة بهاء الدولة، فلم يوافقهم على ذلك، ورأى أن يراسل بهاء الدولة ويستميله ويحلّفه لهم، فقالوا : إنّا نخاف الأتراك، وقد عرفتَ ما بيننا وبينهم ؛ فسكت عنهم وتفرّقوا .

وراسله بهاء الدولة يستميله، ويبذل له وللديلم الأمان والإحسان، وتردّدت الرُّسل، وقال بهاء الدولة : إنّ ثأري وثأركم عند مَن قتل أخي، فلا عذر لكم في التخلّف عن الأخذ بثأره ؛ واستمال الديلم فأجابوه إلى الدخول في طاعته، وأنفذوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة فحلّفوه واستوثقوا منه، وكتبوا إلى أصحابهم المقيمين بالسُّوس بصورة الحال .

وركب بهاء الدولة من الغد إلى باب السُّوس، رجاء أن يخرج من فيه إلى طاعته، فخرجوا إليه في السلاح، وقاتلوا قتالاً شديداً لم يقاتلوا مثله، فضاق صدره، فقيل له إنّ هذه عادة الديلم أن يشتدّ قتالهم عند الصُّلح، لئلاّ يُظنّ بهم ؛ ثم كفّوا عن القتال وأرسلوا من يحلّفه لهم، ونزلوا إلى خدمته، واختلط العسكران، وساروا إلى الأهواز، فقرّر أبو علي بن إسماعيل أمورها، وقسم الإقطاعات بين الأتراك والديلم، ثم ساروا إلى رامَهُرْمُز فاستولوا عليها وعلى(١٥١/٩) أرّجان وغيرهما من بلاد خوزستان .

وسار أبو علي بن إسماعيل إلى شيراز، فنزل بظاهرها، فخرج إليه ابنا بختيار في أصحابهما، فحاربوه، فلما اشتدّت الحرب مال بعض من معهما إليه، ودخل بعض أصحابه البلد، ونادوا بشعار بهاء الدولة، وكان النقيب أبو أحمد الموسويّ بشيراز قد وردها رسولاً من بهاء الدولة إلى صمصام الدولة، فلما قُتل صمصام الدولة كان بشيراز، لما سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظنّ أنّ الفتح قد تمّ، فقصد الجامع، وكان يوم الجمعة، وأقام الخطبة لبهاء الدولة .

ثم عاد ابنا بختيار، واجتمع إليهما أصحابهما، فخاف النقيب، فاختفى، وحُمل في سلّة إلى أبي علي بن إسماعيل ؛ ثم إن أصحاب ابنَيْ بختيار قصدوا أبا علي وأطاعوه، فاستولى على شيراز، وهرب ابنا بختيار، فأما أبو نصر فإنه لحق ببلاد الديلم، وأما الثاني، وهو أبو القاسم، فلحق ببدر بن حسنويه، ثم قصد البطيحة .

ولما ملك أبو علي شيراز كتب إلى بهاء الدولة بالفتح، فسار إليهما ونزلها، فلما استقرّ بها أمر بنهب قرية الدودمان وإحراقها، وقتل كلّ من كان بها من أهلهم فاستأصلهم، وأخرج أخاه صمصام الدولة وجدّد أكفانه، وحُمل إلى التربة بشيراز فدُفن بها، وسيّر عسكراً مع أبي الفتح أستاذ هُرمز إلى كَرمان فملكها وأقام بها نائباً عن بهاء الدولة . إلى هاهنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع، رحمه اللّه .(١٥٢/٩)

ذكر مسير باديس إلى زناتة

في هذه السنة، منتصف صفر، أمر باديس بن المنصور، صاحب إفريقية، نائبة محمد بن أبي العرب بالتجهّز والاستكثار من العسكر والعُدد، والمسير إلى زناتة .

وسبب ذلك أن عمّه يطّوفت كتب إليه يُعلمه أن زيري بن عطية الملقّب بالقرطاس، وقد تقدّم ذكره، نزل عليه بتاهَرت محارباً، فأمر محمداً بالتجهّز إليه، فسار في عساكر كثيرة حتى وصل إلى أشير، وبها حمّاد بن يوسف عمّ باديس، كان قد أقطعه إياها باديس، فرحل حماد معه، فوصل إلى تاهَرت، واجتمعا بيطّوفت، وبينهم وبين زيري بن عطية مرحلتان، فزحفوا إليه، فكانت بينهما حروب عظيمة .

وكان أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلّة عطائه، فلما اشتدّ القتال انهزموا، فتبعهم جميع العسكر، فأراد محمد بن أبي العرب أن يردّ الناس، فلم يقدر على ذلك، وتمّت الهزيمة، وملك زيري بن عطيّة مالهم وعُددهم ورجعت العساكر إلى أشير .

وبلغ خبر الهزيمة إلى باديس، فرحل، فلما قارب طُبْنَةَ في طلب فلفل بن سعيد، فخاف، فأرسل يعتذر إليه، وطلب عهداً بإقطاع مدينة طبنة، فكتب له، وسار باديس، فلماّ أبعد قصد فلفل مدينة طبنة، وغلب على ما حولها، وقصد باغاية فحصرها، وباديس سائر إلى أشير . فلماّ سمع زيري ابن عطية بأنة قرب منه رحل إلى تاهَرت، فقصده باديس، فسار زيري إلى العرب . فلما سمع باديس برحيله استعمل عمّه يطّوفت على أشير، وأعطاه (١٥٣/٩) أموالاً وعُدداً، وعاد إلى أشير، فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد، فأرسل إليه العساكر، وبقي يطّوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه، فلما أبعد عنهم باديس عصوا، وخالفوا عليه، منهم ماكسن، وزاوي وغيرهما، وقبضوا على يطّوفت، وأخذوا جميع ما معه من المال، فهرب من أيديهم وعاد إلى باديس .

وأما فلفل بن سعيد فإنه لما وصل إليه العسكر المسيّر إلى قتاله لقيهم وقاتلهم وهزمهم، وقتل فيهم، وسار يطلب القيروان . فسار عند ذلك باديس إلى باغاية، فلقيه أهلها، فعرّفوه ما قاسوه من قتال فلفل، وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوماً، فشكرهم، ووعدهم الإحسان، وسار يطلب فلفلاً، فوصل إلى مَرْمَجَنّة، وسار فلفل إليه في جمع كثير من البربر وزناتة، ومعه كل من في نفسه حِقْد على باديس وأهل بيته، فالتقوا بوادي اغلان، وكان بينهم حرب عظيمة

لم يُسمع بمثلها، وطال القتال بينهم، وصبر الفريقان، ثم أنزل اللّه تعالى نصره على باديس وصنهاجة، وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة، وانهزم فلفل فأبعد في الهزيمة، وقُتل من زَويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قُتل من البربر، وعاد باديس إلى قصره، وفرح أهل القَيروان لأنهم خافوا أن يأتيهم فلفل .

ثم إن عمومة باديس اتّصلوا بفلفل، وصاروا معه على باديس، فلما سمع باديس بذلك سار إليهم، فلما وصل قصر الإفريقي وصله أن عمومته فارقوا فلفلاً، ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيري، وذلك أوّل سنة تسعين وثلاثمائة .(١٥٤/٩)

ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها إلى باديس

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب، فكاتب الحاكمَ بأمر اللّه بمصر، وطلب أن يسلّم إليه طرابلس ويلتحق به، فأرسل إليه الحاكم يأنسَ الصَّقلّيّ، وكان خصّيصاً بالحاكم، وهو المتولّي لبلاد بَرقة، فوصل يأنس وتسلّم طرابلس وأقام بها، وذلك سنة تسعين [وثلاثمائة].

فأرسل باديس إلى يأنس يسأله عن سبب وصوله إلى طرابلس، وقال له: إن كان الحاكم استعملك عليها فأرسل العهد لأقف عليه . فقال يأنس: إنما أرسلني مُعيناً ونجدةً إن احتيج إليّ، ومثلي لا يُطلب منه عهد بولايةٍ لمحلّي من دولة الحاكم. فسيّر إليه جيشاً، فلقيهم يأنس خارج طرابلس، فقُتل في المعركة، وانهزم أصحابه ودخلوا طرابلس فتحصّنوا بها.

وكان قد قتل منهم في المعركة كثير، ونزل عليهم الجيش وحصرهم، وأرسلوا إلى الحاكم يستمدّونه، فجهّز جيشاً عليهم يحيى بن علي الأندلسيّ، وسيّرهم إلى طرابلس، وأطلق لهم مالاً على بَرقة، فلم يجد يحيى فيها مالاً، فاختلّت حاله، فسار إلى فلفل وكان قد دخل إلى طرابلس واستولى عليها، أقام معه فيها، واستوطنها من ذلك الوقت . وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين [وثلاثمائة] .

وفي سنة إحدى وتسعين [وثلاثمائة] سار ماكسن بن زيري، عمّ أبي باديس، إلى أشير، وبها ابن أخيه حمّاد بن يوسف بلكّين، فكان بينهما (١٥٥/٩) حرب شديدة قُتل فيها ماكسن وأولاده محسن، وباديس، وحباسة، وتوفّي زيري بن عطيّة بعد قتل ماكسن بتسعة أيام .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، عاشر ربيع الأول، انقضّ كوكب عظيم ضحوةَ نهار .

وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجّة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرّم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء، وسبب ذلك أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب، وتُعلّق الثياب للزينة، اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وهو يوم الغدير، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم، والنوح، وإظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك، بعد يوم الغدير بثمانية أيام، مثلهم وقالوا : هو يوم دخل النّبيﷺ وأبو بكر، رضي اللّه عنه، الغار؛ وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء، وقالوا : هو يوم قتل مصعب بن الزبير .

وتوفّي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد السَّرْخَسيّ المُقرئ الفقيه الشافعيّ، وهو من أصحاب أبي اسحاق المروزيّ، وله رواية للحديث أيضاً، وكان شيخ خراسان في زمانه، وقرأ القرآن علي ابن مجاهد، والأدب على ابن الأنباريّ، ومات وله ستّ وتسعون سنة ؛ وعبد اللّه بن محمد بن إسحاق بن سليمان أبو القاسم البزّاز، المعروف بابن حبابة، وكان شيخ الحنابلة في زمانه .(١٥٦/٩)

سنة تسعين وثلاثمائة

ذكر خروج إسماعيل بن نوح وما جرى له بخراسان

في هذه السنة خرج أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من حبسه، وكان قد حبسه ايلك الخان لما ملك بخارى مع جماعة من أهله .

وسبب خلاصه أنه كانت تأتيه جارية تخدمه، وتتعرّف أحواله، فلبس ما كان عليها وخرج، فظنّه الموكّلون الجارية، فلما خرج استخفى عند عجوز من أهل بخارى، فلما سكن الطلب عنه سار من بخارى إلى خُوارزم، وتلقّب المنتصر، واجتمع إليه بقايا القوّاد السامانيّة والأجناد، فكثف جمعه، وسيّر قائداً من أصحابه في عسكر إلى بخارى، فبيّت من بها من أصحاب ايلك الخان، فهزمهم وقتل منهم، وكبس جماعة من أعيانهم، مثل جعفر تكين وغيره، وتبع المنهزمين نحو ايلك الخان إلى حدود سَمَرقند، فلقي هناك عسكراً جرّاراً جعلهم ايلك الخان يحفظون سمرقند، فانضاف إليهم المنهزمون، ولقوا عسكر المنتصر، فانهزم أيضاً عسكر ايلك الخان، وتبعهم عسكر المنتصر، فغنموا أثقالهم فصلحت أحوالهم بها، وعادوا إلى بخارى، فاستبشر أهلها بعود السامانيّة .

ثم إن ايلك جمع الترك وقصد بخارى، فانحاز من بها من السامانيّة (١٥٧/٩) وعبروا النهر إلى آمل الشّطّ، فضاقت عليهم، فساروا هم والمنتصر نحو أَبيوَرْد فملكها، وجبوا أموالها، وساروا نحو نَيسابور، وبها منصور بن سبكتكين، نائباً عن أخيه محمود، فالتقوا قرب نَيسابور في ربيع الآخر، فاقتتلوا، فانهزم منصور

وأصحابه، وقصدوا هَراة، وملك المنتصر نيسابور، وكثر جمعه .

وبلغ يمين الدولة الخبر فسار مجدّاً نحو نيسابور، فلما قاربها سار عنها المنتصر إلى أسفرايين، فلما أزعجه الطلب سار نحو شمس المعالي قابوس بن وشمكير ملتجئاً إليه ومتكثراً به، فأكرم مورده، وحمل إليه شيئاً كثيراً، وأشار على المنتصر بقصد الرَّيّ إذ كانت ليس بها مَن يذبّ عنها، لاشتغال أصحابها باختلافهم، ووعده بأن ينجده بعسكر جرّار مع أولاده، فقبل مشورته وسار نحو الرَّيّ، فنازلها، فضعُف من بها عن مقاومته، إلاّ أنهم حفظوا البلد منه، ودسّوا إلى أعيان عسكره، كأبي القاسم بن سيمجور وغيره، وبذلوا لهم الأموال ليردّوه عنهم، ففعلوا ذلك، وصغّروا أمر الرَّيّ عنده وحسّنوا له العود إلى خراسان . فسار نحو الدامغان، وعاد عنه عسكر قابوس .

ووصل المنتصر إلى نَيسابور في آخر شوّال سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، فجبى له الأموال بها، فأرسل إليه يمين الدولة جيشاً فلقوه، فانهزم المنتصر وسار نحو أَبيوَرْد، وقصد جُرجان، فردّه شمس المعالي عنها، فقصد سَرْخَس وجبى أموالها وسكنها . فسار إليه منصور بن سُبكتكين من نَيسابور، فالتقوا بظاهر سَرْخَس واقتتلوا، فانهزم المنتصر وأصحابه، وأُسر أبو القاسم علي بن محمد بن سيمجور وجماعة من أعيان عسكره، وحُملوا إلى المنصور،(١٥٨/٩) فسيّرهم إلى غزنة، وذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين [وثلاثمائة].

وسار المنتصر تائهاً حتى وافى الأتراك الغزّية ولهم ميل إلى آل سامان، فحرّكتهم الحمية، واجتمعوا معه، وسار بهم نحو ايلك الخان، وكان ذلك في شوّال سنة ثلاث وتسعين [وثلاثمائة]، فلقيهم ايلك بنواحي سمرقند، فهزموه واستولوا على أمواله وسواده، وأسروا جماعة من قوّاده وعادوا إلى أوطانهم، واجتمعوا على إطلاق الأسرى تقرّباً إلى ايلك الخان بذلك . فعلم المنتصر، فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم، وسار بهم، فعبر النهر، ونزل بآمل الشطّ، فلم يقبله مكان، وكلما قصد مكاناً ردّه أهله خوفاً من معرّته، فعاد وعبر النهر إلى بخارى، وطلب واليها لايلك الخان، فلقيه واقتتلوا، فانهزم المنتصر إلى دَبُوسِيَة وجمع بها، ثم عاودهم فهزمهم، وخرج إليه خلق كثير من فتيان سمرقند، وصاروا في جملته، وحمل له أهلها المال والآلات والثياب والدوابّ وغير ذلك .

فلما سمع ايلك الخان بحاله جمع الأتراك وسار إليه في قضّه وقضيضه، والتقوا بنواحي سمرقند، واشتدّت الحرب بينهم، فانهزم ايلك الخان، وكان ذلك في شعبان سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة]، وغنموا أمواله ودوابّه . وعاد ايلك الخان إلى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد إلى المنتصر، فوافق عوده تراجع الغزّية الذين كانوا مع المنتصر إلى أوطانهم، وقد زحف جمعه، فاقتتلوا بنواحي أسروشنة، فانهزم المنتصر وأكثر الترك في أصحابه القتل.

وسار المنتصر منهزماً، حتى عبر النهر، وسار إلى الجوزجان فنهب أموالها، وسار يطلب مرو، فسيّر يمين الدولة العساكر، ففارق مكانه وسار وهم في أثره، حتى أتى بسطام، فأرسل إليه قابوس عسكراً أزعجه عنها، فلما (١٥٩/٩) ضاقت عليه المذاهب عاد إلى ما وراء النهر، فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف، ففارقه كثير منهم إلى بعض أصحاب ايلك الخان، فأعلموهم بمكانه، فلم يشعر المنتصر إلاّ وقد أحاطت به الخيل من كل جانب، فطاردهم ساعةً ثم ولاّهم الدّبر وسار فنزل بحلّة من العرب في طاعة يمين الدولة، وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه، فلما رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل، ثم وثبوا عليه فأخذوه وقتلوه، وكان ذلك خاتمة أمره ؛ وإنما أوردت الحادثة في هذه السنة لترد متتابعة، فلو تفرّقتْ في السنين لم تُعلم على هذه الصورة لقلّتها .

ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى سِجستان، وصاحبها خلف بن أحمد، فحصره بها .

وكان سبب ذلك أن يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التي ذكرناها سيّر خلف بن أحمد ابنه طاهراً إلى قُهستان فملكها، ثم سار منها إلى بُوشَنج فملكها، وكانت هي وهَراة لبغراجق، عمّ يمين الدولة، فلما فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استأذن عمّه في إخراج طاهر بن خلف من ولايته، فأذن له في ذلك، فسار إليه، فلقيه طاهر بنواحي بُوشَنج، فاقتتلوا، فانهزم (١٦٠/٩) طاهر ولجّ بغراجق في طلبه، فعطف عليه طاهر فقتله ونزل إليه وأخذ رأسه .

فلما سمع يمين الدولة بقتل عمّه عظم عليه، وكبُر لديه، وجمع عساكره وسار نحو خلف بن أحمد، فتحصّن منه خلف بحصن أصبَهبذ، وهو حصن يناطح النجوم علوّاً وارتفاعاً، فحصره فيه وضيّق عليه، فذلّ وخضع، وبذل أموالاً جليلة لينفّس عن خناقه، فأجابه يمين الدولة إلى ذلك، وأخذ رهنه على المال .

ذكر قتل ابن بختيار بكَرْمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، قُتل الأمير أبو نصر بن بختيار، الذي كان قد استولى على بلاد فارس .

وسبب قتله أنه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيراز سار إلى بلاد الديلم، وكاتب الديلم بفارس وكرمان من هناك يستميلهم، وكاتبوه واستدعوه، فسار إلى بلاد فارس، واجتمع عليه جمع كثير من الزطّ، والديلم، والأتراك، وتردّد في تلك النواحي .

ثم سار إلى كرمان، فلم يقبله الديلم الذين بها، وكان المقدّم عليهم أبو جعفر بن أستاذ هُرمُز، فجمع وقصد أبا جعفر، فالتقيا، فانهزم أبو جعفر إلى السِّيرَجان، ومضى ابن بختيار إلى جيرَفت فملكها، وملك أكثر كَرمان، فعظم الأمر على بهاء الدولة ؛ فسيّر إليه الموفّق علي بن إسماعيل في جيش كثير، (١٦١/٩) وسار مجدّاً حتّى أطلّ على جيرَفت، فاستأمن إليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها . فأنكر عليه من معه من القوّاد سُرعة سيره، وخوّفوه عاقبة ذلك، فلم يصغ إليهم، وسأل عن حال ابن بختيار، فأُخبر أنه على ثمانية فراسخ من جيرفت، فاختار ثلاثمائة رجل من شجعان أصحابه وسار بهم، وترك الباقين مع السواد بجيرفت .

فلما بلغ ذلك المكان لم يجده ودُلّ عليه فلم يزل يتبعه من منزل إلى منزل، حتى لحقه بدارزين، فسار ليلاً، وقدّر وصوله إليه عند الصبح فأدركه. فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالاً شديداً، وسار الموفّق في نفر من غلمانه، فأتى ابنَ بختيار من ورائه، فانهزم ابن بختيار وأصحابه، ووضع فيهم السيف، فقتل منهم الخلق الكثير . فغدر بابن بختيار بعض أصحابه، وضربه بلتّ فألقاه وعاد إلى الموفّق ليخبره بقتله، فأرسل معه من ينظر إليه، فرآه وقد قتله غيره، وحمل رأسه إلى الموفّق .

وأكثر الموفّق القتل في أصحاب ابن بختيار، واستولى على بلاد كرمان، واستعمل عليها أبا موسى سياهجيل، وعاد إلى بهاء الدولة، فخرج بنفسه ولقيه، وأكرمه وعظّمه ثم قبض عليه بعد أيّام .

ومن أعجب ما يذكر أن الموفّق أخبره منجّم أنه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين، فلما كان قبل الاثنين بخمسة أيام قال للمنجّم : قد بقي خمسة أيام وليس لنا علم به ؛ فقال له المنجّم : إن لم تقتله فاقتلني عوضه، وإلاّ فأحسن إليّ . فلما كان يوم الاثنين أدركه وقتله، وأحسن إلى المنجّم إحساناً كثيراً.(١٦٢/٩)

ذكر القبض على الموفّق أبي علي بن إسماعيل

قد ذكرنا مسيره إلى قتال ابن بختيار، وقتله ابن بختيار، فلما عاد أكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه، فاستعفى الموفّق من الخدمة، فلم يعفه بهاء الدولة، فألحّ كل واحد منهما، فأشار أبو محمد بن مُكرَم على الموفّق بترك ذلك، فلم يقبل، فقبض عليه بهاء الدولة وأخذ أمواله، وكتب إلى وزيره سابور ببغداد بالقبض على أنساب الموفّق، فعرّفهم ذلك سرّاً، فاحتالوا لنفوسهم وهربوا، واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مُكرَم على عُمَان، ثم إن بهاء الدولة قتل الموفّق سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة استعمل بهاء الدولة أبا علي الحسن بن أستاذ هُرمُز على خُوزستان، وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجّاج لها، ومصادرته لأهلها، فعمرها أبو علي، ولقّبه بهاء الدولة عميد الجيوش، وحمل إلى بهاء الدولة منها أموالاً جليلة مع حسن سيرة في أهلها وعدل .

وفيها ظهر في سِجستان معدِن الذّهب، فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر .

وفيها توفّي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلويّ، ودُفن بالكرخ، (١٦٣/٩) وعمره خمس وسبعون سنة، وهو مشهور بكثرة المال والعقار، والقاضي أبو الحسن ابن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ؛ والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريّا المعروف بابن طرار الجَريريّ، بفتح الجيم، منسوب إلى محمد بن جرير الطّبريّ لأنه كان يتفقه على مذهبه، وكان عالما بفنون العلوم، كثير الرواية والتصنيف فيها .(١٦٤/٩)

سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

ذكر قتل المقلّد وولاية ابنة قَرواش

في هذه السنة قُتل حسام الدولة المقلّد بن المسيّب العُقَيليّ غِيلة، قتله مماليك له ترك .

وكان سبب قتله أن هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه، فتبعهم وظفر بهم، وقتل منهم وقطع، وأعاد الباقين، فخافوا على نفوسهم، فاغتنم بعضهم غفلته وقتله بالأنبار، وكان قد عظم أمره، وراسل وجوه العساكر ببغداد، وأراد التغلّب على الملك، فأتاه اللّه من حيث لا يشعر .

ولما قتل كان ولده الأكبر قَرواش غائباً، وكانت أمواله وخزائنه بالأنبار، فخاف نائبه عبد اللّه بن إبراهيم بن شهرويه بادرة الجند، فراسل أبا منصور بن قُراد اللديد، وكان بالسنديّة، فاستدعاه إليه وقال له : أنا أجعل بينك وبين قرواش عهداً، وأزوجه ابنتك وأقاسمك على ما خلفه أبوه، ونساعده على عمّه الحسن إن قصده وطمع فيه، فأجابه إلى ذلك وحمى الخزائن والبلد .

وأرسل عبد اللّه إلى قرواش يحثّه على الوصول، فوصل وقاسمه على المال، وأقام قُراد عنده.

ثم إن الحسن بن المسيّب جمع مشايخ عُقيل، وشكا قرواشا إليهم وما (١٦٥/٩) صنع مع قيراد، فقالوا له: خوفه منك حمله على ذلك؛ وبذل من نفسه الموافقة له، والوقوف عند رضاه، وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا، واتّفقا على أن يسير الحسن إلى قرواش شبه المحارب، ويخرج هو وقيراد لقتاله، فإذا لقي بعضهم بعضاً عادوا جميعاً على قيراد فأخذوه، فسار الحسن وخرج قرواش وقراد

لقتاله.

فلمّا تراءى الجمعان جاء بعض أصحاب قراد إليه فأعلمه الحال، فهرب على فرس له، وتبعه قرواش والحسن فلم يدركاه، وعاد قرواش إلى بيت قراد فأخذ ما فيه من الأموال التي أخذها من قرواش، وهي بحالها، وسار قرواش إلى الكوفة، فأوقع بخفاجة عندها وقعةً عظيمة، فساروا بعدها إلى الشّام، فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو جعفر الحجّاج، على ما نذكره إن شاء اللّه.

ذكر البيعة لولّي العهد

في هذه السنة، في ربيع الأول، أمر القادر باللّه بالبيعة لولده أبي الفضل لولاية العهد، وأحضر حجّاج خراسان وأعلمهم ذلك، ولقّبه الغالب باللّه.

وكان سبب البيعة له أنّ أبا عبد اللّه بن عثمان الواثقيّ، من ولد الواثق باللّه أمير المؤمنين، كان من أهل نَصِيبين، فقصد بغداد، ثم سار عنها إلى خراسان، وعبر النهر إلى هارون بن ايلك بغرا خاقان، وصحبه الفقيه أبو الفضل التميميُّ، وأظهر أنّه رسول من الخليفة إلى هارون يأمره بالبيعة لهذا الواثقيّ، فإنّه وليّ عهدٍ،(١٦٦/٩)فأجابه خاقان إلى ذلك، وبايع له وخطب له ببلاده وأنفق عليه.فبلغ ذلك القادر باللّه، فعظم عليه، وراسل خاقان في معناه فلم يصغ إلى رسالته.

فلمّا توفّي هارون خاقان، وولّي بعده أحمد قَرا خاقان، كاتبه الخليفة في معناه، فأمر بإبعاده، فحينئذٍ بايع الخليفة لولده بولاية العهد.

وأمّا الواثقيّ فإنّه خرج من عند أحمد قَرا خاقان وقصد بغداد فعُرف بها وطُلب، فهرب منها إلى البصرة، ثم إلى فارس وكَرمان، ثم إلى بلاد الترك، فلم يتم له ما أراد، وراسل الخليفة الملوك يطلبه، فضاقت عليه الأرض، وسار إلى خُوارزم وأقام بها، ثمّ فارقها، فأخذه يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه في قلعة إلى أن توفّي بها.

ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كَرْمان وعوده عنها

في هذه السنة سار طاهر بن خلف بن أحمد، صاحب سِجِستان، إلى كَرْمان طالباً ملكها.

وكان سبب مسيره إليها أنّه كان قد خرج عن طاعة أبيه، وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لأبيه، ففارق سِجستان وسار إلى كَرمان، وبها عسكر بهاء الدولة، وهي له على ما ذكرناه، فاجتمع من بها من العساكر إلى المقدّم عليهم ومتولّي أمر البلد، وهو أبو موسى سياهجيل، فقالوا له: إنّ هذا الرجل قد وصل، وهو ضعيف، والرأي أن تبادره قبل أن يقوى أمره(١٦٧/٩)ويكثر جمعه.فلم يفعل واستهان به، فكثر جمع طاهر وصعد إلى الجبال، وبها قوم من العصاة على السلطان، فاحتمى بهم وقوي، فنزل إلى جِيرَفت فملكها وملك غيرها، وقوي طمعه في الباقي.

فقصده أبو موسى والديلم، فهزمهم، وأخذ بعض ما بقي بأيديهم، فكاتبوا بهاء الدولة، فسيّر إليهم جيشاً عليهم أبو جعفر بن أستاذ هُرمُز، فسار إلى كَرْمان، وقصد إلى بَمّ، وبها طاهر، فجرى بين طلائع العسكرَيْن حرب، وعاد طاهر إلى سجستان، وفارق كَرْمان، فلمّا بلغ سجستان أطلق المأسورين، ودعاهم إلى قتال أبيه معه، وحلف لهم أنّهم إذا نصروه وقاتلوا معه أطلقهم، ففعلوا ذلك، وقاتل أباه، فهزمه وملك طاهر البلاد، ودخل أبوه إلى حصن له منيع فاحتمى به.

وأحبّ الناس طاهر لحسن سيرته، وسوء سيرة والده، وأطلق طاهر الديلم، ثم إنّ أباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه، فلم يفعلوا، فعدل إلى مخادعته، وراسله يظهر له الندم على ما كان منه، ويستميله بأنّه ليس له ولد غيره، وأنّه يخاف أن يموت فيملك بلاده غير ولده.

ثم استدعاه إليه جريدة ليجتمع به ويعرّفه أحواله، فتواعدا تحت قلعة خلف، فأتاه ابنه جريدة ونزل هو إليه كذلك، وكان قد كمّن بالقرب منه كميناً، فلمّا لقيه اعتنقه، وبكى خلف، وصاح في بكائه، فخرج الكمين وأسروا طاهراً فقتله أبوه بيده، وغسله ودفنه، ولم يكن له ولد غيره.

فلمّا قتل طمع الناس في خلف، لأنّه كانوا يخافون ابنه لشهامته، وقصده حينئذ محمود بن سبكتكين، فملك بلاده على ما نذكره؛ وأمّا العتبيّ فذكر في سبب فتحها غير هذا، وسيأتي ذكره إن شاء اللّه تعالى.(١٦٨/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد بنائب السلطان، وهو أبو نصر سابور، فهرب منهم، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامّة من أهل الكرخ، وقُتل بينهم قتلى كثيرة، ثم إن السنة من أهل بغداد ساعدوا الأتراك على أهل الكرخ، فضعفوا عن الجميع، فسعى الأشراف في إصلاح الحال فسكنت الفتنة.

وفيها وُلد الأمير أبو جعفر عبد اللّه بن القادر، وهو القائم بأمر اللّه.

وفيها، في ربيع الأول توفّي أبو القاسم عيسى بن عليّ بن عيسى، وكان فاضلاً[عالماً]بعلوم الإسلام وبالمنطق، وكان يجلس للتحديث، وروى الناس عنه.

وفيها توفّي القاضي أبو الحسن الجزريّ، وكان على مذهب داود الظاهريّ، وكان يصحب عضد الدولة قديماً.

وفيها توفّي أبو عبد اللّه الحسين بن الحجّاج الشاعر بطريق النِّيل، وحُمل إلى بغداد، وديوانه مشهور.

وفيها توفّي بكران بن أبي الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط.

وفيها توفّي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة، الوزير، ومولده سنة ثمان وثلاثمائة، وكان سار إلى مصر فوليَ وزارة كافور وروى حديثاً كثيراً.(١٦٩/٩)

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند

في هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال وقعة عظيمة.

وسبب ذلك أنّه لما اشتغل بأمر خُراسان وملكها، وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد، وخلا وجهه من ذلك، أحبّ أن يغزو الهند غزوةً تكون كفّارة لما كان منه من قتال المسلمين، فثنى عنانه نحو تلك البلاد، فنزل على مدينة برشور، فأتاه عدوّ اللّه جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة، فاختار يمين الدولة من عساكره والمطوّعة خمسة عشر ألفاً، وسار نحوه، فالتقوا في المحرّم من هذه السنة، فاقتتلوا، وصبر الفريقان.

فلمّا انتصف النهار انهزم الهند، وقُتل فيهم مقتلةً عظيمة، وأُسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته، وغنم المسلمون منهم أموالاً جليلة، وجواهر نفيسة، وأخذ من عنق عدوّ اللّه جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قُوّمت بمائتَيْ ألف دينار، وأصيب أمثالها في أعناق مقدّمي الأسرى،(١٧٠/٩)وغنموا خمس مائة ألف رأس من العبيد، وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة، فلمّا فرغ من غزواته أحبّ أن يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذلّ، فأطلقه بمالٍ قرّره عليه، فأدّى المال.

ومن عادة الهند أنّهم من حصل منهم في أيدي المسلمين أسيراً لم ينعقد له بعدها رئاسة، فلمّا رأى جيبال حاله بعد حلق رأسه، ثم ألقى نفسه في النار، فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضاً

فلمّا فرغ يمين الدولة من أمر جيبال رأى أن يغزو غزوة أخرى، فسار نحو وَيْهَنْد، فأقام عليها محاصراً لها، حتّى فتحها قهراً، وبلغه أنّ جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد، فسيّر إليهم طائفة من عسكره، فأوقعوا بهم، وأكثروا القتل فيهم، ولم ينجُ منهم إلاّ الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً مظفّراً.

ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة

في هذه السنة سيّر قرواش بن المقلّد جمعاً من عُقَيل إلى المدائن فحصروها، فسيّر إليهم أبو جعفر نائب بهاء الدولة جيشاً فأزالوهم عنها، فاجتمعت عُقَيل وأبو الحسن مَزْيد في بني أسد، وقويت شوكتهم، فخرج الحجّاج إليهم، واستنجد خفاجة، وأحضرهم من الشام، فاجتمعوا معه، واقتتلوا بنواحي بَاكَرى في رمضان، فانهزمت الديلم والأتراك، وأُسر منهم خلق كثير، واستبيح عسكرهم. (١٧١/٩)

فجمع أبو جعفر من عنده من العسكر وخرج إلى بني عُقَيل وابن مَزْيد، فالتقوا بنواحي الكوفة، واشتدّ القتال بينهم، فانهزمت عُقَيل وابن مَزْيد، وقُتل من أصحابهم خلق كثير، وأُسر مثلهم، وسار إلى حلل ابن مَزْيد فأوقع بمن فيها فانهزموا أيضاً، فنُهبت الحلل والبيوت والأموال، ورأوا فيها من العَيْن والمصاغ والثياب ما لا يقدر قدره.

ولما سار أبو جعفر عن بغداد اختلّت الأحوال بها، وعاد أمر العيّارين فظهر، واشتدّ الفساد، وقُتلت النفوس، ونُهبت الأموال، وأُحرقت المساكن، فبلغ ذلك بهاء الدولة، فسيّر إلى العراق لحفظه أبا عليّ بن أبي جعفر المعروف بأستاذ هُرمُز، ولقبه عميد الجيوش، وأرسل إلى أبي جعفر الحجّاج، وطيّب قلبه، ووصل أبو عليّ إلى بغداد، فأقام السياسة، ومنع المفسدين، فسكنت الفتنة وأمن الناس.

وفيها توفّي محمّد بن محمّد بن جعفر أبو بكر الفقيه الشافعيّ المعروف بابن الدقّاق، صاحب الأصول.(١٧٢/٩)

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

ذكر ملك يمين الدولة سجستان

في هذه السنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سِجِستان، وانتزعها من اليد خلف بن أحمد.

قال العتبيّ: وكان سبب أخذها أنّ يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد أن صالحه، كما تقدّم ذكره سنة تسعين[وثلاثمائة]، عهد خلف إلى ولده طاهر، وسلّم إليه مملكته، وانعكف هو على العبادة والعلم، وكان عالماً، فاضلاً، محبّاً للعلماء، وكان قصده أن يوهم يمين الدولة أنّه ترك الملك وأقبل على طلب الآخرة ليقطع عن بلاده.

فلمّا استقرّ طاهر في الملك عقّ أباه وأهمل أمره، فلاطفه أبوه، ورفق به، ثم إنّه تمارض في حصنه المذكور، واستدعى ولده ليوصي له، فحضر عنده غير محتاط، ونسي إساءته، فلمّا صار عنده قبض عليه وسجنه، وبقي في السجن إلى أن مات فيه، وأظهر عنه أنّه قتل نفسه.

ولما سمع عسكر خلف وصاحب جيشه بذلك تغيّرت نيّتهم في طاعته، وكرهوه، وامتنعوا عليه في مدينته، وأظهروا طاعة يمين الدولة، وخطبوا له، وأرسلوا إليه يطلبون من يتسلّم المدينة، ففعل وملكها، واحتوى عليها(١٧٣/٩)في هذه السنة، وعزم على قصْد خلف وأخْذ ما بيده والاستراحة من مكره. فسار إليه، وهو في حصن الطاق، وله سبعة أسوار مُحكمة، يحيط بها خندق عميق، عريض، لا يخاض إلاّ من طريق على جسر يُرفع بطَمّ الخندق ليمكن العبور إليه، فقُطعت الأخشاب وطمّ بها وبالتراب في يوم واحد مكاناً يعبرون فيه ويقاتلون منه.

وزحف الناس ومعهم الفيول، واشتدّت الحرب، وعظم الأمر، وتقدّم أعظم الفيول إلى باب السور فاقتلعه بنابَيْه وألقاه، وملكه يمين الدولة، وتأخّر أصحاب خلف إلى السور الثاني، فلم يزل أصحاب يمين الدولة يدفعونهم عن سور سور، فلمّا رأى خلف اشتداد الحرب، وأن أسواره تُملك عليه وأنّ أصحابه قد عجزوا، وأنّ الفيلة تحطم الناس طار قلبه خوفاً وفَرقاً، فأرسل يطلب الأمان، فأجابه يمين الدولة إلى ما طلب وكفّ عنه، فلما حضر عنده أكرمه واحترمه، وأمره بالمقام في أيّ البلاد شاء، فاختار أرض الجُوزَجان، فسُيّر إليها في هيئة حسنة، فأقام بها نحو أربع سنين.

ونُقل إلى يمين الدولة عنه أنّه يراسل ايلك الخان يُغريه بقصد يمين الدولة، فنقله إلى جردين، واحتاط عليه هناك، إلى أن أدركه أجله في رجب سنة تسع وتسعين[وثلاثمائة]، فسلّم يمين الدولة جميع ما خلّفه إلى ولده أبي حفص. وكان خلف مشهوراً بطلب العلم وجمع العلماء، وله كتاب صنّفه في تفسير القرآن من أكبر الكتب.(١٧٤/٩)

ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي عليّ وبين جعفر الحجّاج

في هذه السنة كانت بين أبي عليّ بن أبي جعفر أستاذ هُرمُز، وبين أبي جعفر الحجّاج.

وسبب ذلك أنّ أبا جعفر كان نائباً عن بهاء الدولة بالعراق، فجمع وغزا، واستناب بعده عميد الجيوش أبا عليّ، فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة، ولم يستقر بينه وبين أبي عليّ صلح.

وكان أبو جعفر قد جمع جمعاً من الديلم والأتراك وخفاجة فجمع أبو عليّ أيضاً جمعاً كثيراً وسار إليه، والتقوا بنواحي النعمانيّة، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وأرسل أبو عليّ بعض عسكره، فأتوا أبا جعفر من ورائه، فانهزم أبو جعفر ومضى منهزماً.

فلمّا أمن أبو عليّ سار من العراق، بعد الهزيمة، إلى خُوزستان، وبلغ السُّوس، وأتاه الخبر أنّ أبا جعفر قد عاد إلى الكوفة، فرجع إلى العراق، وجرى بينه وبين أبي جعفر منازعات ومراجعات إلى أن آل الأمر إلى الحرب فاستنجد كلّ واحد منهم بني عُقَيل وبني خفاجة وبني أسد، فبينما هم كذلك أرسل بهاء الدولة إلى عميد الجيوش أبي عليّ يستدعيه، فسار إليه إلى خُوزِستان لأجل أبي العبّاس بن واصل، صاحب البطيحة.(١٧٥/٩)

ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية

لما ملك يمين الدولة سِجستان عاد منها واستخلف عليها أميراً كبيراً من أصحابه، يُعرف بفَنَجي الحاجب، فأحسن السيرة في أهلها.

ثمّ إنّ طوائف من أهل العيث والفساد قدّموا عليهم رجلاً يجمعهم، وخالفوا على السلطان، فسار إليهم يمين الدولة، وحصرهم في حصن أرك، ونشبت الحرب في ذي الحجّة من هذه السنة، فظهر عليهم، وظفر بهم، وملك حصنهم، وأكثر القتل فيهم، وانهزم بعضهم فسيّر في آثارهم من يطلبهم، فأدركوهم، فأكثروا القتل فيهم حتّى خلتْ سِجستان منهم وصفت له واستقرّ ملكها عليه، فأقطعها أخاه نصراً مضافة إلى نيسابور.

ذكر وفاة الطائع لله

في هذه السنة، في شوّال منها، توفّي الطائع لله المخلوع بن المطيع لله، وحضر الأشراف والقضاة وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية، وصلّى عليه القدر بالله، وكبّر عليه خمساً، وتكلّمت العامة في ذلك فقيل: إنّ هذا مما يفعل الخلفاء؛ وشيّع جنازته ابن حاجب النعمان، ورثاه الشريف الرضي فقال:

ما بعد يومِك ما يسلُو به السالي ومثلُ يومِك لم يَخطر على بالي

وهي طويلة.(١٧٦/٩)

ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر

في هذه السنة توفّي أبو عامر محمّد بن أبي عامر المعافريُّ، الملقّب بالمنصور، أمير الأندلس مع المؤيّد هشام بن الحاكم، وقد تقدّم ذكره عند ذكر المؤيّد، وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها، وقدم قرطبة طالباً للعلم، وكانت له همّة، فتعلّق بوالدة المؤيّد في حياة أبيه المستنصر.

فلمّا ولي هشام كان صغيراً، فتكفّل المنصور لوالدته القيام بأمره، وإخماد الفتن الثائرة عليه، وإقرار الملك عليه، فولّته أمره؛

وكان شهماً، شجاعاً، قويّ النفس، حسن التدبير، فاستمال العساكر وأحسن إليهم، فقوي أمره، وتلقّب بالمنصور، وتابع الغزوات إلى الفرنج وغيرهم، وسكنت البلاد معه، فلم يضطرب منها شيء.

وكان عالماً، محبّاً للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنّفوا لها تصانيف كثيرة، ولما مرض كان متوجّهاً إلى الغزو، فلم يرجع، ودخل بلاد العدوّ فنال منهم وعاد وهو مثقل، فتوفّي بمدينة سالم، وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه في غزواته شيئاً صالحاً، فأمر أن يُجعل في كفنه تبرّكاً به.

وكان حسن الاعتقاد والسيرة، عادلاً، كانت أيامه أعياداً لنضارتها، وأمن الناس فيها، رحمه الله. وله شعر جيّد، وكانت أمّه تميميّة، ولما مات وليّ بعده ابنه المظفّر أبو مروان عبد الملك، فجرى مجرى أبيه.(١٧٧/٩)

ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه

في هذه السنة سار يحيى بن عليّ الأندلسيّ وفلفل من طرابلس إلى مدينة قَابس في عسكر كثير، فحصروها ثم رجعوا إلى طرابلس. ولما رأى يحيى بن عليّ ما هو عليه من قلّة المال، واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له، رجع إلى مصر إلى الحاكم، بعد أن أخذ فلفل وأصحابه خيولهم، وما اختاروه من عُددهم بين الشراء والغصب، فأراد الحاكم قتله ثم عفا عنه.

وأقام فلفل بطرابلس إلى سنة أربعمائة، فمرض ونفي، ووليّ أخوه وَرّو، فأطاعته زناتة، واستقام أمره، فرحل باديس إلى طرابلس لحرب زناتة، فلمّا بلغهم رحيله فارقوها وملكه باديس، ففرّ أهلها، وأرسل وَرّو أخو فلفل إلى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه، ويدخلون في طاعته، ويجعلهم عمّالاً كسائر عُمّاله، فأمّنهم وأحسن إليهم، وأعطاهم نفزاوة وقَسطيلة على أن يرحلوا من أعمال طرابلس، ففعلوا ذلك.

ثم إنّ خزرون بن سعيد أخا وَرّو جاء إلى باديس، ودخل في طاعته، وفارق أخاه، فأكرمه باديس، وسار إلى طرابلس فحصرها، وسار إلى خزرون ليمنعه عن حصارها، وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة.(١٧٨/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رمضان، طلع كوكب كبير له ذؤابة؛ وفي ذي القعدة انقضّ كوكب كبير أيضاً كضوء القمر عند تمامه، وانمحق نوره وبقي جرمه يتموّج.

وفيها اشتدّت الفتنة ببغداد، وانتشر العيّارون والمفسدون، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا عليّ بن أستاذ هُرمُز إلى العراق ليدبّر أمره، فوصل إلى بغداد، فزُيّنت له، وقمع المفسدين، ومنع السّنة والشيعة من إظهار مذاهبهم، ونفى، بعد ذلك، ابن المعلّم فقيه الإماميّة، فاستقام البلد.

وفيها، في ذي الحجّة، وُلد الأمير أبو الحسن بن بهاء الدولة، وهو الذي ملك الأمر، وتلقّب بمشرّف الدولة.

وفيها هرب الوزير أبو العبّاس الضّبّيُّ، وزير مجد الدولة بن فخر الدولة ابن بويه، من الرّيّ إلى بدر بن حسنويه، فأكرمه، وقام بالوزارة بعده الخطير أبو عليّ.

وفيها وليَ الحاكم بأمر اللّه على دمشق، وقيادة العساكر الشّاميّة، أبا محمد الأسود، واسمه تمضوّلت، فقدم إليها، ونزل في قصر الإمارة، فأقام والياً عليها سنةً وشهرين؛ ومن أعماله فيها أنّه أطاف إنساناً مغربيّاً، وشهّره، ونادى عليه: هذا جزاء من يحبّ أبا بكر وعمر! ثم أخرجه عنها.(١٧٩/٩)

وفيها توفّي عثمان بن جنّي النحويّ، مصنّف اللُّمع وغيرها، ببغداد، وله شعر بارز؛ والقاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ بالرّيّ، وكان إماماً فاضلاً، ذا فنون كثيرة؛ والوليد بن بكر بن مخلد الأندلسيُّ الفقيه المالكيّ، وهو محدّث مشهور.

وفيها توفي أبو الحسن محمّد بن عبد اللّه السلاميّ الشاعر البغداديّ، ومن شعره يصف الدرع، وهي هذه الأبيات:

يا ربّ سابغةٍ حبَتْني نعمة ... كأفاتها بالسوء غير مفنّد
أضحت تصون عن المنايا مُهجتي ... وظللت أبذلها لكل مُهنّد

وله من أحسن المديح في عضد الدولة:

وليت، وعزمي والظلام وصارمي ... ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ... ودارٍ هي الدنيا، ويومٍ هو الدهر

وقدم الموصل، فاجتمع بالخالديين من الشعراء منهم أبو الفرج الببّغاء،وأبو الحسين التّلعفريّ، فامتحنوه، وكان صبيّاً، فبرز عند الامتحان.

وفيها توفي محمّد بن العبّاس الخوارزميّ الأديب الشاعر، وكان فاضلاً، وتوفّي بنيسابور.

وفيها توفّي محمّد بن عبد الرحمن بن زكريّا أبو طاهر المخلّص المحدّث المشهور، وأوّل سماعه سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.(١٨٠/٩)

سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

ذكر استيلاء أبي العبّاس على البطيحة

في هذه السنة، في شعبان، غلب أبو العبّاس بن واصل إلى

البطيحة، وأخرج منها مهذّب الدولة.

وكان ابتداء حال أبي العبّاس أنّه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة، وارتفع معه، ثم أشفق منه ففارقه وسار إلى شيراز، واتّصل بخدمة فولاذ، وتقدّم عنده، فلما قُبض على فولاذ عاد أبو العباس إلى الأهواز بحال سيّئة، فخدم فيها.

ثم أصعد إلى بغداد، فضاق الأمر عليه، فخرج منها، وخدم أبا محمّد ابن مُكرَم، ثم انتقل إلى خدمة مهذّب الدولة بالبطيحة، فجرّد معه عسكراً، وسيّره إلى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة، ومضى إلى سيراف وأخذ ما بها لأبي محمّد بن مكرم من سفن ومال، وأتى أسافل دجلة، فغلب عليها، وخلع مهذّب الدولة.

فأرسل إليه مهذّب الدولة مائة سُميريّة فيها مقاتلة، فغرق بعضها، وأخذ أبو العباس ما بقي منها، وعدل إلى الأُبُلّة، فهزم أبا سعد بن ماكولا، وهو يصحب لشكرستان، فانهزم أيضاً لشكرستان من بين يديه، واستولى ابن واصل(١٨١/٩)على البصرة، ونزل دار الإمارة، وأمّن الديلم والأجناد.

وقصد لشكرستان مهذّب الدولة، فأعاده إلى قتال أبي العباس في جيش، فلقيه أبو العباس وقاتله، فانهزم لشكرستان وقُتل كثير من رجاله، واستولى أبو العباس على ثقله وأمواله، وأصعد إلى البطيحة، وأرسل إلى مهذّب الدولة يقول له: قد هزمت جندك، ودخلت بلدك، فخذ لنفسك؛ فسار مهذّب الدولة إلى بشامني، وصار عند أبي شجاع فارس بن مَردان وابنه صدقة، فغدرا به وأخذا أمواله، فاضطر إلى الهرب، وسار إلى واسط فوصلها على أقبح صورة، فخرج إليه أهلها فلقوه وأصعدت زوجته ابنة الملك بهاء الدولة إلى بغداد وأصعد مهذّب الدولة إليها فلم يمكن من الوصول إليها.

وأمّا ابن واصل فإنّه استولى على أموال مهذّب الدولة وبلاده، وكانت عظيمة، ووكّل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها، ثم جمع كل ما فيها وأرسله إلى أبيها، واضطرب عليه أهل البطائح واختلفوا، فسيّر سبع مائة فارس إلى الجازرة لإصلاحها، فقاتلهم أهلها، فظفروا بالعسكر، وقتلوا فيهم كثيراً.

وانتشر الأمر على أبي العباس بن واصل، فعاد إلى البصرة، خوفاً أن ينتشر الأمر عليه بها، وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها.

ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العبّاس وقوّته خافه على بلاده، فسار من فارس إلى الأهواز لتلافي أمره، وأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد، وجهّز(١٨٢/٩)معه عسكراً كثيفاً وسيّرهم إلى أبي العباس فأتى إلى واسط وعمل ما يحتاج إليه من سفن وغيرها، وسار إلى البطائح، وفرّق جنده في البلاد لتقرير قواعدها.

وسمع أبو العباس بمسيره إليه، فأصعد إليه من البصرة، وأرسل يقول له: ما أحوجك تتكلّف الانحدار، وقد أتيتك فخذ لنفسك.

ووصل إلى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرّق العسكر عنه، فلقيه في من معه بالصليق، فانهزم عميد الجيوش، ووقع من معه بعضهم على بعض، ولقي عميد الجيوش شدّة إلى أن وصل إلى واسط، وذهب ثقله وخيامه وخزائنه، فأخبره خازنه أنّه قد دفن في الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم، فأنفذ[من]أحضرها، فقوي بها.ونذكر باقي خبر البطائح سنة خمس وتسعين[وثلاثمائة].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قلّد بهاء الدولة النقيب أبا أحمد الموسويّ، والد الشريف الرضيّ، نقابة العلويّين بالعراق، وقضاء القضاة، والحجّ، والمظالم، وكتب عهده بذلك من شيراز، ولُقّب الطاهر ذا المناقب، فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة، وأمضى ما سواه.

وفيها خرج الأُصيفر المتنفقيّ على الحاجّ، وحصرهم بالبطانيّة، وعزم على أخذهم، وكان فيهم أبو الحسن الرفّاء، وأبو عبد اللّه الدجّاجيّ، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمع مثلها فحضرا عند الأصيفر وقرآ القرآن فترك الحجّاج وعاد، وقال لهما: قد تركت لكما ألف ألف دينار.(١٨٣/٩)

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

ذكر عود مهذّب الدولة إلى البطيحة

قد ذكرنا انهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل، فلما انهزم أقام بواسط، وجمع العساكر عازماً على العود إلى البطائح، وكان أبو العباس قد ترك بها نائباً له، فلم يتمكن من المقام بها، ففارقها إلى صاحبه، فأرسل عميد الجيوش إليها نائباً من أهل البطائح، فعسف الناس، وأخذ الأموال، ولم يلتفت إلى عميد الجيوش، فأرسل إلى بغداد وأحضر مهذّب الدولة، وسيّر معه العساكر في السفن إلى البطيحة، فلما وصلها لقيه أهل البلاد، وسرّوا بقدومه، وسلّموا إليه جميع الولايات، واستقرّ عليه بهاء الدولة كل سنة خمسين ألف دينار، ولم يعترض عليه ابن واصل، فاشتغل عنه بالتجهيز إلى خُوزستان، وحفر نهراً إلى جانب النهر العضديّ، بين البصرة والأهواز وكثر ماؤه، وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الأجناد.

ولما كثر ماله وذخائره، و[ما]استولى عليه من البطيحة، قوي

طمعه في الملك، وسار هو وعسكره إلى الأهواز في ذي القعدة، فجهّز إليه بهاء الدولة جيشاً في الماء، فالتقوا بنهر السدرة، فاقتتلوا، وخاتلهم أبو العباس، وسار إلى الأهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر، فالتقوا بظاهر الأهواز، وانضاف إلى عسكر(١٨٤/٩)بهاء الدولة العساكر التي بالأهواز، فاستظهر أبو العباس عليهم.

ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق، عازماً على المسير إلى فارس، ودخل أبو العباس إلى دار المملكة وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة، إلاّ أنه لم يمكنه المقام لأن بهاء الدولة كان قد جهز عسكراً ليسير في البحر إلى البصرة، فخاف أبو العباس من ذلك، وراسل بهاء الدولة، وصالحه، وزاد في أقطاعه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى البصرة، وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة ودور الأكابر والقوّاد والتّجار.

ذكر غزوة بهاطية

في هذه السنة غزا يمين الدولة بَهَاطِيَة من أعمال الهند، وهي وراء المولتان، وصاحبها يُعرف ببحيرة، وهي مدينة حصينة، عالية السور، يحيط بها خندق عميق، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها، فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع، وطلب المدينة ليدخلها، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم، فقتل المقاتلة وسُبِيَت الذريّة وأخذت الأموال.(١٨٥/٩)

وأما بحيرا فإنّه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤوس تلك الجبال، فسيّر إليه يمين الدولة سريّة، فلم يشعر بهم بحيرا إلاّ وقد أحاطوا به، وحكّموا السيوف في أصحابه، فلمّا أيقن بالعطب أخذ خنجراً معه فقتل به نفسه، وأقام يمين الدولة ببهاطِيَة حتّى أصلح أمرها، ورتّب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة، واستخلف بها من يعلّم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعلمه، ولقي في عوده شدّة شديدة من الأمطار وكثرتها، وزيادة الأنهار، فغرق منه ومن عسكره شيء عظيم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد بحيث تعطّلت المخابز والحمّامات، وهلك الناس، وذهبت الأموال من الأغنياء، وكثر الوباء، فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة.

وفيها وصل قرواش وأبو جعفر الحجّاج إلى الكوفة، فقبضا على أبي عليّ عمر بن محمد بن عمر العلويّ، وأخذ منه قرواش مائة ألف دينار، وحمله معه إلى الأنبار.

وفيها توفّي إسحاق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو إبراهيم المهلّبيّ.

وفيها توفي محمد بن عليّ بن الحسين بن الحسن بن أبي إسماعيل العلويّ الهمذانيّ، الفقيه الشافعيّ، رحمه اللّه تعالى.(١٨٦/٩)

سنة سِتٌ وتسعين وثلاثمائة

ذكر غزوة المولتان

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان.

وكان سبب ذلك أن واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ونسب إلى الإلحاد، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه، فأجابوه.فرأى يمين الدولة أن يجاهده ويستنزله على ما هو عليه، فسار نحوه، فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة، عظيمة المدّ، وخاصة سَيْحون، فإنّه منع جانبه من العبور، فأرسل إلى أندبال يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى المولتان، فلم يجبه إلى ذلك فابتدأ به قبل المولتان، وقال: نجمع بين غزوتين لأنه لا غزو إلاّ التعقيب؛ فدخل بلاده، وجاسها، وأكثر القتل فيها والنّهب لأموال أهلها، والإحراق لأبنيتها، ففرّ أندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان، من مضيق إلى مضيق، إلى أن وصل إلى قشمير.

ولما سمع أبو الفتوح بخبر إقباله إليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه، فنقل أمواله إلى سَرَنْديب، وأخلى المولتان، فوصل يمين الدولة إليها نازلها، فإذا أهلها في ضلال يعمهون، فحصرهم وضيّق عليهم، وتابع القتال حتى افتتحها عنوة، وألزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم.(١٨٧/٩)

ذكر غزوة كواكير

ثم سار عنها إلى قلعة كواكير، وكان صاحبها يُعرف ببيدا، وكان بها ستمائة صنم، فافتتحها وأحرق الأصنام، فهرب صاحبها إلى قلعته المعروفة بكالينجار، فسار خلفه إليها، وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان، وفيه خمسمائة فيل، وعشرون ألف دابّة، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدّة.

فلمّا قاربها يمين الدولة وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا حدّ عليه، فأمر بقطعها، ورأى في الطريق وادياً عظيم العمق، بعيد القعر، فأمر أن يطمّ منه مقدار ما يسع عشرين فارساً، فطمّوه بالجلود المملوءة تراباً، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوماً، وراسله صاحبها بالصلح فلم يجبه.

ثم بلغه عن خراسان اختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها،

فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل، وثلاثة آلاف من الفضّة، ولبس خلعة يمين الدولة بعد أن استعفى من شدّ المنطقة، فإنه اشتدّ عليه، فلم يجبه يمين الدولة إلى ذلك، فشدّ المنطقة، وقطع إصبعه الخنصر وأنفذها إلى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه، وعاد يمين الدولة إلى خراسان، لإصلاح ما اختلف فيها، وكان عزماً على الوغول في بلاد الهند.(١٨٨/٩)

ذكر عبور عسكر ايلك الخان إلى خراسان

كان يمين الدولة لما استقرّ له ملك خراسان، وملك ايلك الخان ما وراء النهر، قد راسله وواثقه، وتزوّج ابنته، وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة، فلم تزل السعاة حتى أفسدوا ذات بينهما، وكتم ايلك الخان ما في نفسه، فلمّا سار يمين الدولة إلى المولتان اغتنم ايلك الخان خلوّ خراسان، فسيّر السباشي تكين، صاحب جيشه في هذه السنة، إلى خراسان في معظم جنده، وسيّر أخاه جعفر تكين إلى بلخ في عدّة من الأمراء.

وكان يمين الدولة قد جعل بهراة أميراً من أكابر أمرائه يقال له: أرسلان الجاذب، فأمره إذا ظهر عليه مخالف أن ينحاز إلى غزنة. فلما عبر سباشي تكين إلى خراسان سار أرسلان إلى غزنة، وملك سباشي هراة وأقام بها، وأرسل إلى نيسابور من استولى عليها.

واتّصلت الأخبار بيمين الدولة، وهو بالهند، فرجع إلى غزنة لا يلوي على دار، ولا يركن إلى قرار، فلما بلغها فرّق في عساكره الأموال، وقوّاهم، وأصلح ما أراد إصلاحه، واستمدّ الأتراك الخلجية، فجاءه منهم خلق كثير، وسار بهم نحو بلخ، وبها جعفر تكين أخو ايلك الخان، فعبر إلى ترمذ، ونزل يمين الدولة ببلخ، وسيّر العساكر إلى سباشي تكين بهراة، فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر، فلقيه التركمان الغزيّة، فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة.(١٨٩/٩)

ثم سار نحو أبيوَرْد لتعذر العبور عليه، فتبعه عسكر يمين الدولة، كلما رحل نزلوا، حتى ساقه الخوف من الطلب إلى جرجان فأُخرج عنها، ثم عاد إلى خراسان، فعارضه يمين الدولة، فمنعه عن مقصده، وأُسر أخو سباشي تكين وجماعة من قوّاده، ونجا هو في خفّ من أصحابه، فعبر النهر.

وكان ايلك الخان قد عبّر أخاه جعفر تكين إلى بلخ ليلفت يمين الدولة عن طلب سباشي، فلم يرجع، وجعل دأبه إخراج سباشي من خراسان، فلما أخرجه عنها عاد إلى بلخ، فانهزم من كان بها مع جعفر تكين، وسلمت خراسان ليمين الدولة.

ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والأكراد

في هذه السنة سيّر عميد الجيوش عسكراً إلى البندنيجين، وجعل المقدّم عليهم قائداً كبيراً من الديلم، فلما وصلوا إليها سار إليهم جمع كثير من الأكراد، فاقتتلوا، فانهزم الديلم، وغنم الأكراد رحلهم ودوابّهم، وجرّد المقدّم عليهم من ثيابه، فأخذ قميصاً من رجل سواديّ، وعاد راجلاً حافياً، ولم يكن مقامهم غير أيّام قليلة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قلّد الشريف الرضيّ نقابة الطالبيين بالعراق، ولُقّب بالرضيّ ذي الحسبين، ولقّي أخوه المرتضى ذا المجدين، فعل ذلك بهاء الدولة.(١٩٠/٩)

وفيها توفي أبو أحمد بن عليّ بن المرزبان الأصبهانيّ، قاضي خراسان، وكان إليه أمر البيمارستان ببغداد.

وفيها، مستهلّ شعبان، طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق، له شعاع على الأرض كشعاع القمر، وبقي إلى منتصف ذي القعدة وغاب.

وفيها توفّي أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيليّ، الإمام، الفقيه الشافعيّ، بجرجان في ربيع الآخر، ومحمّد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة أبو عبد الله الحافظ الأصبهانيّ المشهور، له التصانيف المعروفة.(١٩١/٩)

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

ذكر هزيمة ايلك الخان

لما أخرج يمين الدولة عساكرايلك الخان من خُراسان، راسل ايلك الخان قدرخان بن بغراخان ملك الخُتن لقرابة بينهما، وذكر له حاله، واستعان به، واستنصره، واستنفر الترك من أقاصي بلادها، وسار نحو خراسان، واجتمع هو وايلك الخان، فعبرا النهر.

وبلغ الخبر يمين الدولة، وهو بطَخَارستان، فسار وسبقهما إلى بلخ، واستعدّ للحرب، وجمع الترك الغُزّيّة، والخلج، والهند، والأفغانيّة، والغزنويّة، وخرج عن بلخ، فعسكر على فرسَخَيْن بمكان فسيح يصلح للحرب، وتقدّم ايلك الخان، وقدرخان في عساكرهما، فنزلوا بإزائه، واقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل.

فلمّا كان الغد برز بعضهم إلى بعض واقتتلوا، واعتزل يمين الدولة إلى نشز مرتفع ينظر إلى الحرب، ونزل عن دابّته وعفّر وجهه على الصعيد تواضعاً لله تعالى، وسأله النصر والظفر، ثم نزل وحمل في فيلته على قلب ايلك(١٩٢/٩)الخان، فأزاله عن مكانه، ووقعت الهزيمة فيهم، وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون، ويأسرون، ويغنمون إلى أن عبروا بهم النهر، وأكثر الشعراء تهنئة يمين الدولة بهذا الفتح.

ذكر غزوه إلى الهند

فلمّا فرغ يمين الدولة من الترك سار نحو الهند للغزاة.

وسبب ذلك أنّ بعض أولاد ملوك الهند، يُعرف بنواسه شاه، كان قد أسلم على يده، واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم.

فلما كان الآن بلغه أنّه ارتدّ عن الإسلام، ومالأ أهل الكفر والطغيان، فسار إليه مجدّاً، فحين قاربه فرّ الهنديّ من بين يديه، واستعاد يمين الدولة تلك الولاية، وأعادها إلى حكم الإسلام، واستخلف عليها بعض أصحابه، وعاد إلى غزنة.

ذكر حصر أبي جعفر الحجّاج بغداد

في هذه السنة جمع أبو جعفر الحجّاج جمعاً كثيراً، وأمدّه بدر حسنويه بجيش كثير، فسار بالجميع وحصر بغداد.

وسبب ذلك أن أبا جعفر كان نازلاً على قلج حامي طريق خُراسان،وكان(١٩٣/٩)قَلج مبايناً لعميد الجيوش، فاجتمعا لذلك. وتوفي قلج هذه السنة، فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عنّاز، وكان عدوّاً لبدر بن حسنويه، فحقد ذلك بدر، فاستدعى أبا جعفر الحجّاج، وجمع له جمعاً كثيراً، منهم الأمير هندي بن سعدي، وأبو عيسى شاذي بن محمّد، وورام بن محمّد، وغيرهم، وسيّرهم إلى بغداد.

وكان الأمير أبو الحسن عليّ بن مَزْيد الأسدي قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مُغضباً، فاجتمع معهم، فزادت عدّتهم على عشرة آلاف فارس.

وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس بن واصل، فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه إلى بغداد، ونزلوا على فرسخ منها، وأقاموا شهراً، وببغداد جمع من الأتراك، ومعهم أبو الفتح بن عنّاز فحفظ البلد، فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العباس، وقوّة بهاء الدولة، ففتّ ذلك في أعضاد أبي جعفر ومن معه، فتفرّقوا، فعاد ابن مَزْيد إلى بلده، وسار أبو جعفر وأبو عيسى إلى حُلوان، وراسل أبو جعفر في إصلاح حاله مع بهاء الدولة، فأجابه إلى ذلك، فحضر عنده بتُسْتَر، فلم يلتفت إليه لثلاً يستوحش عميد الجيوش.(١٩٤/٩)

ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن

كان أبو الفتح بن عنّاز التجأ إلى رافع بن محمد بن مقن، ونزل عليه، حين أخذ بدر بن حسنويه منه حُلوان وقَرْميسين، فأرسل بدر إلى رافع يذكر مودّة أبيه، وحقوقه عليه، ويعتب عليه حيث آوى خصمه، ويطلب إليه أن يبعده ليدوم له على العهد والودّ القديم.

فلم يفعل رافع ذلك، فأرسل بدر جيشاً إلى أعمال رافع بالجانب الشرقيّ من دجلة فنهبها، وقصدوا داره بالمطيرة فنهبوها، وأحرقوها، وساروا إلى قلعة البَرَدان، وهي لرافع أيضاً، ففتحوها قهراً، وأحرقوا ما كان بها من الغلاّت، وطمّوا بئرها، فسار أبو الفتح إلى عميد الجيوش ببغداد، فخلع عليه وأكرمه ووعده نصره.

ذكر قتل أبي العباس بن واصل

في هذه السنة قُتل أبو العباس بن واصل، صاحب البصرة، وقد تقدّم ذكر ابتداء حاله، وارتفاعه، واستيلائه على البطيحة، وما أخذه من الأموال، وما هزم من جيوش السلطان، وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه.

فلما عظم أمره سار بهاء الدولة من فارس إلى الأهواز ليحفظ خوزستان منه، وكان في البطائح مقابل عميد الجيوش، فلما فرغ منه سار إلى الأهواز،(١٩٥/٩)وبها بهاء الدولة، فملكها على ما ذكرناه، وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة وبها بهاء الدولة، فملكها على ما ذكرناه، وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة إلى البصرة، وقد ذكرناه أيضاً.

ثم تجدّد ما أوجب عوده إلى الأهواز، فعاد إليها في جيشه، وبهاء الدولة مقيم بها، فلما قاربها رحل بهاء الدولة عنها لقلّة عسكره، وتفرّقهم: بعضهم بفارس، وبعضهم بالعراق، وقطع قنطرة أربق، وبقي النهر يحجز بين الفريقين، فاستولى أبو العباس على الأهواز، وأتاه مدد من بدر بن حسنويه، ثلاثة آلاف فارس، فقوي بهم.

وعزم بهاء الدولة على العود إلى فارس، فمنعه أصحابه، فأصلح أبو العباس القنطرة، وجرى بين العسكرين قتال شديد دام إلى السَّحَر، ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها، والتقى العسكران واشتدّ القتال، فانهزم أبو العباس، وقُتل من أصحابه كثير، وعاد إلى البصرة مهزوماً منتصف رمضان سنة ستّ وتسعين وثلاثمائة. فلما عاد منهزماً جهّز بهاء الدولة إليه العساكر مع وزيره أبي غالب، فسار إليه، ونزل عليه محاصراً له، وجرى بين العسكرين القتال، وضاق الأمر على الوزير، وقلّ المال عنده، واستمدّ بهاء الدولة فلم يمدّه.

ثم إنّ أبا العباس جمع سفنه وعساكره، وأصعد إلى عسكر الوزير، وهجم عليه، فانهزم الوزير، وكاد يتمّ على الهزيمة، فاستوقفه بعض الديلم وثبّته، وحملوا على أبي العباس فانهزم هو وأصحابه، وأخذ الوزير سفنه، فاستأمن إليه كثير من أصحابه.

ومضى أبو العباس منهزماً، وركب مع حسّان بن ثمال الخفاجيّ هارباً إلى الكوفة، ودخل الوزير البصرة، وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح.(١٩٦/٩)

ثم إنّ أبا العباس سار من الكوفة، وقطع دجلة، ومضى عازماً على اللحاق ببدر بن حسنويه، فبلغ خانقين، وبها جعفر بن العوّام في طاعة بدر، فأنزله وأكرمه، وأشار عليه بالمسير في وقته وحذّره الطلب، فاعتلّ بالتعب، وطلب الاستراحة، ونام، وبلغ خبره إلى أبي الفتح بن عنّاز وهو في طاعة بهاء الدولة، وكان قريباً منهم، فسار إليهم بخانقين، وهو بها، فحصره وأخذه وسار به إلى بغداد، فسيّره عميد الجيوش إلى بهاء الدولة، فلقيهم في الطريق قاصدٌ من بهاء الدولة يأمر بقتله، فقُتل وحُمل رأسه إلى بهاء الدولة وطيف به بخوزستان وفارس، وكان بواسط عاشر صفر.

ذكر مسير عميد الجيوش إلى حرب بدر وصلحه معه

كان في نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده في بلاده لاشتغاله عنه بأبي العباس بن واصل، فلما قُتل أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير إلى بلاده، وأعطاه مالاً أنفقه في الجند، فجمع عسكراً وسار يريد بلاده، فنزل جُنْدَيْسابور. فأرسل إليه بدر: إن لم تقدر على أن تأخذ ما تغلّب عليه بنو عُقَيْل من أعمالكم، وبينهم وبين بغداد فرسخ، حتّى صالحتهم، فكيف تقدر على أخذ بلادي وحصوني مني، ومعي من الأموال ما ليس معك مثلها؟

وأنا معك بين أمرين إن حاربتك، فالحرب سجال، ولا نعلم لمن العاقبة، فإن انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لأنّي أحتمي بقلاعي ومعاقلي، وأُنفق أموالي، وإذا عجزتُ فأنا رجل صحراويّ صاحب عَمَدٍ، أبعدُ ثم أقرب، وإن (١٩٧/٩) انهزمتَ أنت لم تجتمع، وتلقى من العتب؛ والرأي أن أحمل إليك مالاً ترضي به صاحبك، ونصطلح. فأجابه إلى ذلك، وصالحه، وأخذ منه ما كان أخرجه على تجهيز الجيش وعاد عنه.

ذكر الحرب بين قرواش وأبي عليّ بن ثمال الخفاجيّ

في المحرّم جرت وقعة بين معتمد الدولة أبي المنيع قرواش بن المقلّد العُقيليّ، وبين أبي عليّ ابن ثمال الخفاجيّ، وكان سببها أنّ قرواشاً جمع جمعاً كثيراً وسار إلى الكوفة، وأبو عليّ غائب عنها، فدخلها ونزل بها، وعرف أبو عليّ الخبر، فسار إليه، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم قرواش وعاد إلى الأنبار مفلولاً، وملك أبو عليّ الكوفة، وأخذ أصحاب قرواش فصادرهم.

ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

في هذه السنة ظفر الحاكم بأبي ركوة، ونحن نذكر ها هنا خبره أجمعَ.

كان أبو ركوة اسمه الوليد، وإنّما كنّي أبا ركوة لركوة كان يحملها في أسفاره، سُنّة الصّوفيّة، وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان، ويقرب في النسب من المؤيّد هشام بن الحاكم الأمويّ، صاحب الأندلس، وإنّ المنصور بن أبي عامر لما استولى على المؤيّد وأخفاه عن الناس، تتبّع أهله ومن(١٩٨/٩)يصلح منهم للملك، فطلبه، فقُتل البعض، وهرب البعض.

وكان أبو ركوة ممن هرب، وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة، وقصد مصر، وكتب الحديث، ثم سار إلى مكّة واليمن، وعاد إلى مصر ودعا بها إلى القائم، فأجابه بنو قُرّة وغيرهم.

وسبب استجابتهم أن الحاكم بأمر اللّه كان قد أسرف في مصر في قتل القوّاد، وحبْسهم، وأخذ أموالهم، وسائر القبائل معه في ضنكٍ وضيق، ويودّون خروج الملك عن يده؛ وكان الحاكم في الوقت الذي دعا أبو ركوة بني قرّة قد آذاهم، وحبس منهم جماعة من أعيانهم، وقتل بعضهم، فلما دعاهم أبو ركوة انقادوا له.

وكان بين بني قُرّة وبين زناتة حروب ودماء، فاتّفقوا على الصلح، ومنع أنفسهم من الحاكم، فقصد بني قُرّة، وفتح يعلّم الصبيان الخط، وتظاهر بالدين والنسك، وأمّهم في صلواتهم، فشرع في دعوتهم إلى ما يريد، فأجابوه وبايعوه، واتّفقوا عليه، وعرّفهم حينئذ نفسه، وذكر لهم أن عندهم في الكتب أنّه يملك مصر وغيرها، ووعدهم ومنّاهم، وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً.فاجتمعت بنو قرّة وزناتة على بيعته، وخاطبوه بالإمامة، وكانوا بنواحي برقة. فلما سمع الوالي ببرقة خبرهم كتب إلى الحاكم ينهيه إليه ويستأذنه في قصدهم وإصلاحهم، فأمر بالكفّ عنهم واطّراحهم.

ثم إن أبا ركوة جمعهم وسار إلى برقة، واستقرّ بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له، والثلثان لبني قرة وزاتة، فلما قاربها خرج إليه والِيها، فالتقوا، فانهزم عسكر الحاكم، وملك أبو ركوة برقة، وقوي هو ومن معه بما أخذوا (١٩٩/٩)من الأموال والسلاح وغيره، ونادى بالكفّ عن الرَّعيّة والنهب، وأظهر العدل وأمر بالمعروف.

فلما وصل المنهزمون إلى الحاكم عظم عليه الأمر، وأهمّته نفسه وملكه، وعاود الإحسان إلى الناس، والكفّ عن أذاهم، وندب عسكراً نحو خمسة آلاف فارس وسيّرهم، وقدّم عليهم قائداً يُعرف بِيَنال الطويل، وسيّره، فبلغ ذات الحمّام، وبينها وبين برقة مفازة فيها منزلان، لا يلقى السالك الماء إلاّ في آبار عميقة بصعوبة وشدّة.فسيّر أبو ركوة قائداً في ألف فارس، وأمرهم بالمسير إلى ينال ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول إلى المنزلين المذكورين، وأمرهم، إذا عادوا، أن يغوّروا الآبار ففعلوا ذلك وعادوا، فحينئذٍ سار أبو ركوة في عساكره ولقيهم وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش، فقاتلهم، فاشتدّ القتال فحمل ينال على عسكر أبي ركوة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأبو ركوة واقف لم يحمل هو ولا

عسكره، فاستأمن إليه جماعة كثيرة من كتامة لما نالهم من الأذى والقتل من الحاكم، وأخذوا الأمان لمن بقي من أصحابهم، ولحقهم الباقون، فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم، فانهزمت وأُسر ينال وقُتل، وأُسر أكثر عسكره، وقُتل منهم خلق كثير، وعاد إلى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم.

وانتشر ذكره، وعظمت هيبته، وأقام ببرقة، وتردّدت سراياه إلى الصعيد وأرض مصر، وقام الحاكم من ذلك وقعد، وسقط في يده، وندم على ما فرّط، وفرح جند مصر وأعيانها، وعلم الحاكم ذلك، فاشتدّ قلقه، وأظهر الاعتذار عن الذي فعله.

وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه، وممن كتب إليه الحسين بن جوهر(٢٠٠/٩) المعروف بقائد القوّاد، فسار حينئذ عن برقة إلى الصعيد، وعلم الحاكم، فاشتدّ خوفه، وبلغ الأمر به كل مبلغ، وجمع عساكره واستشارهم، وكتب إلى الشام يستدعي العساكر، فجاءته، وفرّق الأموال، والدّواب، والسلاح، وسيّرهم وهم اثنا عشر ألف رجل بين فارس وراجل، سوى العرب، واستعمل عليهم الفضل بن عبد اللّه. فلمّا قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره ورام مناجزة المصريين، والفضل يحاجزه، ويدافع، ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب، فأجابه قائد كبير من بني قرّة يعرف بالماضي، وكان يطالعه بأخبار القوم وما هم عازمون، فيدبّر الأمر فضله على حسب ما يعلمه منه.

وضاقت الميرة على العساكر، فاضطر الفضل إلى البقاء، فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك، فقُتل بين الفريقين قتلى كثيرة، ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله، وخاف المناجزة فعاد إلى عسكره.

وراسل بنو قرّة العربَ الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم إليهم ويذكّرونهم أعمال الحاكم بهم، فأجابوهم، واستقرّ الأمر أن يكون الشام للعرب ويصير لأبي ركوة ومن معه مصر، وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة إلى الفضل، فإذا وصل إليه انهزمت العرب، ولا يبقى دون مصر مانع.فكتب الماضي إلى الفضل بذلك، فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليُفطروا عنده، وأظهر أنّه صائم، وطاولهم الحديث، وتركهم في خيمة واعتزلهم، ووصّى أصحابه بالحذر، ورام العرب العود إلى خيامهم، فعللهم وطاولهم، ثم أحضر الطعام وأحضرهم، فأكلوا وتحدّثوا.(٢٠١/٩)

وسيّر الفضل سريّة إلى طريق أبي ركوة، فلقوا العسكر الوارد من عنده، فاقتتلوا، فوصل الخبر إلى العسكر وارتجّ، وأراد العرب الركوب، فمنعهم، وأرسل إلى أصحابهم من العرب فأمرهم بالركوب والقتال، ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم، فركبوا واشتدّ القتال، ورأى بنو قرّة الأمر على خلاف ما قرّروه.

ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب، وقد فاته ما عزموا عليه، فباشروا الحرب وغاصوا فيها، وورد أبو ركوة مدداً لأصحابه، فلما رآه الفضل ردّ أصحابه وعاد إلى المدافعة.

وجهّز الحاكم عسكراً آخر، أربعة آلاف فارس، وعبروا إلى الجيزة، فسمع أبو ركوة بهم، فسار مجدّاً في عسكره ليوافقهم عند مصر، وضبط الطرق لئلاّ يسمع الفضل، ولم يكن الماضي يكتبه، فساروا، وأرسل إليه من الطريق يعرّفه الخبر، وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليال في ليلتَيْن، وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة، وقتلوا نحو ألف فارس، وخاف أهل مصر، ولم يبرز الحاكم من قصره، وأمر الحاكم مَن عنده من العساكر بالعبور إلى الجيزة، ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين، ثم انصرف من يومه، وكتب الحاكم إلى الفضل كتاباً ظاهراً يقول فيه: إنّ أبا ركوة انهزم من عساكرنا، فليقرأ على القوّاد، وكتب إليه سرّاً يُعلمه الحال. فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوة تسكيناً للناس.

ثم سار أبو ركوة إلى موضع يُعرف بالسّبخة، كثير الأشجار، وتبعه الفضل، وكمّن أبو ركوة بين الأشجار، وطارد عسكر الفضل، ورجع عسكره القهقرى ليستجرّوا عسكر الفضل ويخرج الكمين عليهم، فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنّوها الهزيمة لاشكّ فيها، فولّوا يتبعونهم، وركبهم أصحاب الفضل، وعلوهم بالسيوف فقُتل منهم ألوف كثيرة، وانهزم أبو(٢٠٢/٩)ركوة ومعه بنو قرّة وساروا إلى حللهم، فلمّا بلغوها ثبّطهم الماضي عنه، فقالوا له: قد قاتلنا معك، ولم يبق فينا قتال، فخذ لنفسك وانجُ؛ فسار إلى بلد النُّوبة، فلما بلغ إلى حصن يُعرف بحصن الجبل للنُّوبة أظهر أنّه رسول من الحاكم إلى ملكهم، فقال له صاحب الحصن: الملك عليل، ولا بدّ من استخراج أمره في مسيرك إليه.

وبلغ الفضل الخبر، فأرسل إلى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته، فوكّل به من يحفظه، وأرسل إلى الملك بالحال، وكان ملك النوبة قد توفّي وملك ولده، فأمر أن يسلم إلى نائب الحاكم، فتسلّمه رسول الفضل وسار به، فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله في مضاربه، وحمله إلى مصر فأشهر بها، وطيف به.

وكتب أبو ركوة إلى الحاكم رقعة يقول فيها: يا مولانا الذنوب عظيمة، وأعظم منها عفوك، والدماء حرام ما لم يحللها سخطك، وقد أحسنت وأسأت وما ظلمت إلاّ نفسي، وسوء عملي أوبقني، وأقول:

ففررت فلم يغن الفرار، ومن يكن ... مع اللّه لم يعجزه في الأرض هارب
واللّه ما كان الفرار لحاجة ... سوى فزع الموت الذي أنا شارب
وقد قادني جرمي إليك برمّتي ... كما خرّ ميت في رحى الموت سارب
وأجمع كلّ الناس أنك قاتلي ... فيا رُبّ ظنّ ريّبه فيك كاذب

وما هو إلاّ الانتقام، وينتهي وأخذك منه واجباً لك واجب (٢٠٣/٩)

ولما طيف به ألبس طُرْطوراً، وجعل خلفه قرد يصفعه، كان مُعلماً بذلك، ثم حُمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب، فتوفّي قبل وصوله، فقطع رأسه وصلب، وبالغ الحاكم في إكرام الفضل إلى حدّ أنّه عاده في مرضة مرضها دفعتين، فاستعظم الناس ذلك، ثم إنه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله.

ذكر القبض على مجد الدولة وعوده إلى ملكه

في هذه السنة قَبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، صاحب الرّيّ وبلد الجبل، عليه.

وكان سبب ذلك أن الحكم كان إليها في جميع أعمال ابنها، فلمّا وزر له الخطير أبو عليّ بن عليّ بن القاسم استمال الأمراء، ووضعهم عليها، والشكوى عليها، وخوّف ابنها منها، فصار كالمحجور عليه. فخرجت من الرّيّ إلى القلعة فوضع عليها من يحفظها، فعملت الحيلة حتّى هربت إلى بدر بن حسنويه، واستعانتْ به في ردّها إلى الرّيّ.

وجاءها ولدها شمس الدولة، وعساكر همذان، وسار معها بدر إلى الرّيّ فحصروها، وجرى بين الفريقَيْن قتال كثير مدّة، ثم استظهر بدر، ودخل البلد، وأُسر مجد الدولة، فقيّدتْه والدته وسجنته بالقلعة، وأجلست(٢٠٤/٩)أخاه شمس الدولة في الملك وصار الأمر إليها.

وعاد بدر إلى بلده، وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة، فرأت والدته منه تنكّراً وتغيّراً، وأن أخاه مجد الدولة ألْين عريكة، وأسلم جانباً، فأعادته إلى الملك، وسار شمس الدولة إلى همذان، وكره بدر هذه الحالة إلاّ أنّه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها، وصارت هي تدبّر الأمر، وتسمع رسائل الملوك، وتعطي الأجوبة.

وأرسل شمس الدولة إلى بدر يستمدّه، فسيّر إليه جنداً، فأخذهم وسار بهم إلى قُمّ، فحصروها، فمنعها أهلها. ثم إنّ العساكر دخلوا طرفاً منها واشتغلوا بالنهب، فأكبّ عليهم العامّة وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل، وانهزم الباقون إلى معسكرهم، ثم قبض هلال بن بدر على أبيه، فتفرّق ذلك الجمع كلّه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اشتدّ الغلاء بالعراق، فضجّ العامّة، وشغب الجند وكانت فتنة.

وفيها توفّي عبد الصمد الزاهد، ودُفن عند قبر أحمد، وكان غاية في الزهد والورع.(٢٠٥/٩)

وفيها هبّ على الحجّاج ريح سوداء بالنّعلبيّة أظلمت لها الأرض، ولم ير الناس بعضهم بعضاً، وأصابهم عطش شديد، ومنعه ابن الجرّاح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالاً، فضاق الوقت عليهم، فعادوا ولم يحجّوا.

وفيها مات عليّ بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكيّ، المعروف بابن القصّاب.(٢٠٦/٩)

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

ذكر غزوة بهيم نُغُر

لما فرغ يمين الدولة من الغزوة المتقدّمة وعاد إلى غزنة، واستراح هو وعسكره، استعدّ لغزوة أخرى، فسار في ربيع الآخر من هذه السنة، فانتهى إلى شاطئ نهر هِندَ مَنْد، فلاقاه هناك ابرهمن بال بن اندبال في جيوش الهند، فاقتتلوا مليّاً من النهار، وكادت الهند تظفر بالمسلمين، ثم إنّ اللّه تعالى نصر عليهم، فظفر بهم المسلمون، فانهزموا على أعقابهم، وأخذهم المسلمين بالسيف.

وتبع يمين الدولة أثر ابرهمن بال، حتّى بلغ قلعة بهيم نُغُر، وهي على جبل عال كان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم، فينقلون إليها أنواع الذخائر، قرناً بعد قرن، وأعلاق الجواهر، وهم يعتقدون ذلك ديناً وعبادة، فاجتمع فيها على طول الأزمان ما لم يُسمع بمثله، فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم.

فلمّا رأى الهنود كثرة جمعه، وحرصهم على القتال، وزحفهم إليهم مرة بعد أخرى، خافوا وجبنوا، وطلبوا الأمان، وفتحوا باب الحصن، وملك(٢٠٧/٩)المسلمون القلعة، وصعد يمين الدولة إليها في خواصّ أصحابه وثقاته، فأخذ منها من الجواهر ما لا يُحدّ، ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهيّة، ومن الأواني الذهبيّات والفضّيّات سبعمائة ألف وأربعمائة منّ، وكان فيها بيت مملوء من فضّة طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه خمسة عشر ذراعاً، إلى غير ذلك من الأمتعة. وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم، ففرش تلك الجواهر في صحن داره، وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك، فأدخلهم إليه، فرأوا ما لم يسمعوا بمثله.

ذكر حال أبي جعفر بن كاكَوَيْه

هو أبو جعفر بن دشمنزيار، وإنّما قيل كاكَوَيْه لأنّه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، وكاكويه هو خال بالفارسيّة، وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان، فلمّا فارقت ولدها فسد حاله، فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدّة، ثم عادت والدة مجد الدولة إلى ابنها بالرّيّ،فهرب أبو جعفر وسار إليها، فأعادته إلى أصبهان، واستقرّ فيها قدمه، وعظم شأنه،

وسيأتي من أخباره ما يُعلم[به]صحّة ذلك، إن شاء اللّه تعالى.(٢٠٨/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأول، وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة، والبطائح إلى عَبّادان، وكان ببغداد نحو ذراع، وبقي في الطرق نحو عشرين يوماً.

وفيها وقعت الفتنة ببغداد في رجب، وكان أوّلها أنّ بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلّم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ فآذاه، ونال منه، فثار به أصحاب المعلم، واستنفر بعضهم بعضاً، وقصدوا أبا حامد الأسفراييني وابن الأكفانيّ فسبّوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم، فهربوا، وانتقل أبو حامد الأسفراييني إلى دار القُطن، وعظمت الفتنة، ثم إنّ السلطان أخذ جماعةً وسجنهم، فسكنوا، وعاد أبو حامد إلى مسجده، وأخرج ابن المعلم من بغداد، فشفع فيه عليّ بن مَزْيد فأُعيد.

وفيها وقع الغلاء بمصر واشتدّ، وعظم الأمر، وعدمت الأقوات، ثم تعقّبه وباء كثير أفنى كثيراً من أهلها.

وفيها زلزلت الدِّينَور زلزلةً شديدة خربت المساكن، وهلك خلق كثير من أهلها، وكان الذين دُفنوا ستّة عشر ألفاً سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهَد.

وفيها أمر الحاكم بأمر اللّه، صاحب مصر، بهدم بيعة قُمامَةَ، وهي بالبيت(٢٠٩/٩) المقدّس، وتسمّها العامّة القيامة، وفيها الموضع الذي دفن فيه المسيح، عليه السلام، فيما يزعمه النصارى، وإليها يحجّون من أقطار الأرض، وأمر بهدم البيع في جميع مملكته، فهُدمت، وأمر اليهود والنصارى إمّا أن يسلموا، أو يسيروا إلى بلاد الروم ويلبسواالغيار، فأسلم كثير منهم، ثم أمر بعمارة البِيَع، ومن اختار العود إلى دينه عاد، فارتدّ كثير من النصارى.

وفيها توفّي أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الضَّبّيّ، وزير مجد الدولة، بِبَرُوجرد، وكان سبب مجيئه إليها أن أم مجد الدولة بن بويه اتّهمته أنه سمّ أخاه فمات، فلما توفّي أخوه طلبت منه مائتي دينار لتنفقها في مأتمه، فلم يعطها، فأخرجته، فقصد بَرُوجرد، وهي من أعمال بدر بن حَسنويه، فبذل بعد ذلك مائتَيْ ألف دينار ليعود إلى عمله، فلم يُقبل منه، فأقام بها إلى أن توفّي، وأوصى أن يُدفن بمشهد الحسين، عليه السلام، فقيل للشريف أبي أحمد، والد الشريف الرضي، أن يبيعه بخمس مائة دينار موضع قبره، فقال : من يريد جوار جدّي لا يباع ؛ وأمر أن يُعمل له قبر، وسيّر معه من أصحابه خمسين رجلاً، فدفنه بالمشهد .

وتوفّي بعده ببسير ابنه أبو القاسم سعد ؛ وأبو عبد اللّه الجرجانيّ الحنفيّ بعد أن فلج ؛ وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء الشاعر، وديوانه مشهور ؛ والقاضي أبو عبد اللّه الضَّبّيّ بالبصرة ؛ والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانيّ، صاحب المقامات المشهورة، وله شعر حسن، وقرأ الأدب على أبي الحسين بن فارس مصنّف المُجمَل .

وتوفّي أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه الشافعيّ الهمذانيّ بنواحي عكا بالشام، كان انتقل إلى هناك . (٢١٠/٩)

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن ثمال بالرحبة وملكها، أقام فيها مدّةً، ثم قصده بدران بن المقلّد العُقيليّ، فأخذ الرحبة منه وبقيت لبدران . فأمر الحاكم بأمر اللّه نائبه بدمشق لؤلؤاً البشاريّ بالمسير إليها، فقصد الرَّقّة أوّلاً وملكها، ثم سار إلى الرحبة وملكها ثم عاد إلى دمشق .

وكان بالرحبة رجل من أهلها يُعرف بابن مُحكان، فملك البلد، واحتاج إلى من يَجعله ظهره، ويستعين به على من يطمع فيه، فكاتب صالح بن مرداس الكلابيّ، فقدم عليه وأقام عنده مدّةً، ثم إن صالحاً تغيّر عن ذلك، فسار إلى ابن مُحكان وقاتله على البلد، وقطع الأشجار، ثم تصالحا، وتزوّج ابنة ابن مُحكان، ودخل صالح البلد إلاّ أنه كان أكثر مقامه بالحلّة .

ثم إن ابن مُحكان راسل أهل عانة فأطاعوه، ونقل أهله وماله إليهم، وأخذ رهائنهم، ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردّوا أولاده، فاجتمع ابن مُحكان وصالح على قصد عانة، فسارا إليها،(٢١١/٩) فوضع صالح على ابن مُحكان من يقتله، فقُتل غِيلةً، وسار صالح إلى الرحبة فملكها، وأخذ أموال ابن مُحكان وأحسن إلى الرعيّة، واستمر على ذلك، إلاّ أن الدعوة للمصريّين .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قُتل أبو علي بن ثمال الخفاجيّ، وكان الحاكم بأمر اللّه، صاحب مصر، قد ولاّه الرحبة، فسار إليها، فخرج إليه عيسى بن خلاط العُقيليّ فقتله وملك الرحبة، ثم ملكها بعده غيره، فصار أمرها إلى صالح بن مِرداس الكلابيّ صاحب حلب .

وفيها صُرف أبو عمر بن عبد الواحد الهاشميّ عن قضاء البصرة، وكان قد علا إسناده في رواية السُّنَن لأبي داود السِّجستانيّ، ومن طريقه سمعناه، ووليَ القضاء بعده أبو الحسن بن أبي الشوارب، فقال العُصفريّ الشاعر :

عندي حديثٌ طريفٌ بمثلِهِ يُتغنّى
من قاضيَيْن يُعزّى هذا وهذا يُهنّا
فذا يقولُ اكرهونا وذا يقولُ استرحنا
ويكذبانِ ونَهذي فمَن يُصدّقُ منّا

وفيها توفّي أبو داود بن سيامرد بن باجعفر، ودُفن عند قَبر النذور (١١٢/٩) بنهر المعلّى، وقبّته مشهورة ؛ وأبو محمد النامي الفقيه الشافعيّ، وهو القائل :

يا ذا الذي قاسَمني في البلى فاختار أن يُسكنَه أوّلا
ما وطّنتْ نفسي، ولكنّها تسري إليكم منزلاً، منزلا
(٢١٣/٩)

سنة أربع مائة

ذكر وقعة نارين بالهند

في هذه السنة تجهّز يمين الدولة إلى الهند عازماً على غزوها، فسار إليها واخترقها واستباحها ونكّس أصنامها . فلما رأى ملك الهند أنه لا قوة له به راسله في الصّلح والهُدنة على مال يؤدّيه، وخمسين فيلاً، وأن يكون له في خدمته ألفا فارس لا يزالون . فقبض منه ما بذله وعاد عنه إلى غزنة .

ذكر الخُلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال

في هذه السنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكرديّ وبين ابنه هلال.

وكان سبب الوحشة بينهما أن أم هلال كانت من الشاذنجان، فاعتزلها أبوه عند ولادته، فنشأ هلال مبعداً منه لا يميل إليه، وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبي عيسى .

فلما كان في بعض الأيام خرج هلال مع أبيه متصيّداً، فرأيا سبعاً، وكان بدر إذا رأى سبعاً قتله بيده، فتقدّم هلال إلى الأسد بغير إذن أبيه فقتله،(٢١٤/٩) فاغتاظ أبوه وقال : كأنك قد فتحت فتحاً، وأي فرق بين السبع والكلب ؟ ورأى إبعاده عنه لشدّته، فأقطعه الصامغان، وسهّل ذلك على هلال لينفرد بنفسه عن أبيه، فأوّل ما فعله أنه أساء مجاورة ابن الماضي، صاحب شَهرزور، وكان موافقا لأبيه بدر، فنهى بدر ابنه هلالاً عن معارضته، فلم يسمع قوله، وأرسل إلى ابن الماضي يتهدّده، فأعاد بدر مراسلة ابنه في معناه، وتهدّده إن تعرّض بشيء هو له، فكان جواب نهيه أنّه جمع عسكره وحصر شَهرزور ففتحها، وقتل ابن الماضي وأهله، وأخذ أموالهم. فورد على بدر من ذلك ما أزعجه وأقلقه، وأظهر السخط على هلال.

وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم، فكثر أصحاب هلال لإحسانه إليهم وبذله المال لهم، وأعرض الناس عن بدر لإمساكه المال، فسار كل منهما إلى صاحبه، فالتقيا على باب الدِّينور، فلمّا تراءى الجمعان انحازت الأكراد إلى هلال، فأُخذ بدر أسيراً وحُمل إلى ابنه، فأُشير على هلال بقتله، وقالوا: لا يجوز أن تستبقيه بعدما أوحشتَهُ؛ فقال: ما بلغ من عقوقي له أن أقتله؛ وحضر عند أبيه، وقال له: أنت الأمير وأنا مدبّر جيشك. فخادعه أبوه بأن قال له: لا يسمعنّ هذا منك أحدٌ فيكون هلاكنا جميعاً، وهذه القلعة لك، والعلامة في تسليمها كذا وكذا، واحفظ المال الذي بها، فإنك الأمير ما دام الناس يظنّون بقاءه، وأُريد أن تفرد لي قلعة أتفرّغ فيها للعبادة. ففعل ذلك، وأعطاه جملة من المال.

فلمّا استقرّ بدر بالقلعة عمرها وحصّنها، وراسل أبا الفتح بن عنّاز، وأبا عيسى شاذي بن محمد، وهو بأساداباذ، يقول لكلّ واحدٍ منهما ليقصد أعمال هلال ويشغّلها. فسار أبو الفتح إلى قَرميسين فملكها، وسار أبو عيسى إلى سابور خواست، فنهب حلل هلال، ومضى إلى نهاوند، وبها أبو بكر بن(٢١٥/٩)رافع، فاتّبعه هلال إليها، ووضع السيف في الديلم فقتل منهم أربع مائة نفس، منهم تسعون أميراً، وأسلم ابن رافع أبا عيسى إلى هلال، فعفا عنه، ولم يؤاخذه على فعله، وأخذه معه.

وأرسل بدر إلى الملك بهاء الدولة يستنجده، فجهّز فخر الملك أبا غالب في جيش وسيّره إلى بدر، فسار حتّى وصل إلى سابور خواست، فقال هلال لأبي عيسى شاذي: قد جاءت عساكر بهاء الدولة، فما الرأي؟ قال: الرأي أن تتوقّف عن لقائهم، وتبذل لبهاء الدولة الطاعة، وترضيه بالمال، فإن لم يجيبوك فضيّق عليهم، وانصرفْ بين أيديهم، فإنّهم لا يستطيعون المطاولة، ولا تظنّ هذا العسكر كمن لقيتَهُ بباب نهاوند، فإن أولئك ذلّلهم أبوك على ممرّ السنين.

فقال: غششتَني ولم تنصحني، وأردت بالمطاولة أن يقوى أبي وأضعف أنا؛ وقتله، وسار ليكبس العسكر ليلاً. فلمّا وصل إليهم وقع الصوت، فركب فخر الملك في العساكر، وجعل عند أثقالهم من يحميها، وتقدّم إلى قتال هلال، فلمّا رأى هلال صعوبة الأمر ندم، وعلم أن أبا عيسى بن شاذي نصحه، فندم على قتله، ثم أرسل إلى فخر الملك يقول له: إنّي ما جئت لقتال وحرب، إنّما جئت لأكون قريباً منك، وأنزل على حُكمك، فتردّ العسكر عن الحرب، فإنّني أدخل في الطاعة.

فمال فخر الملك إلى هذا القول، وأرسل الرسول إلى بدر ليخبره بما جاء به. فلمّا رأى بدر الرسول سبّه وطرده، وأرسل إلى فخر الملك يقول له: (٢١٦/٩)إنّ هذا مكر من هلال، لما رأى ضعفه، والرأي أن لا تنفّس خناقه. فلمّا سمع فخر الملك الجواب

قويت نفسه، وكان يتّهم بدراً بالميل إلى ابنه، وتقدّم إلى الجيش بالحرب، فقاتلوا، فلم يكن بأسرع من أن أُتي بهلال أسيراً، فقبّل الأرض وطلب أن لا يسلّمه إلى أبيه، فأجابه إلى ذلك، وطلب علامته بتسليم القلعة، فأعطاهم العلامة، فامتنعت أمّه ومن بالقلعة من التسليم، وطلبوا الأمان، فأمّنهم فخر الملك، وصعد القلعة ومعه أصحابه، ثم نزل منها وسلّمها إلى بدر، وأخذ ما فيها من الأموال وغيرها، وكانت عظيمة، قيل: كان بها أربعون ألف بدرة دراهم، وأربع مائة بدرة ذهباً، سوى الجواهر النفيسة، والثياب والسلاح وغير ذلك. وأكثر الشعراء ذكر هذا، فممّن قال مهْيار:

فظنّوكَ تَعبَا بحمل العراق ... كأن لم يروك حملت الجبالا
ولو لم تكن في العلوّ السماء ... لما كان غُنمك منها هلالا
سريتَ إليه، فكنتَ السرارَ ... له، ولبدر أبيه كَمالا

وهي كثيرة.

ذكر عود المؤيّد إلى إمارة الأندلس وما كان منه

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه، فلما كان هذه السنة أُعيد إلى خلافته، واسمه هشام بن الحاكم بن عبد الرحمن الناصر، وكان عوده تاسع ذي الحجّة، وكان الحكم في دولته هذه إلى واضح العامريّ، وأدخل أهل قرطبة إليه، فوعدهم ومنّاهم، وكتب إلى البربر الذين مع سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن(٢١٧/٩)الناصر، ودعاهم إلى طاعته، والوفاء ببيعته، فلم يجيبوه إلى ذلك، فأمر أجناده وأهل قُرطُبة بالحذَر والاحتياط، فأحبّه الناس.

ثم نقل إليه أنّ نفراً من الأمويّين بقُرطُبة قد كاتبوا سليمان، وواعدوه ليكون بقُرطُبة في السابع والعشرين من ذي الحجّة ليسلّموا إليه البلد، فأخذهم وحبسهم، فلمّا كان الميعاد قدم البربر إلى قُرطُبة، فركب الجند وأهل قُرطُبة وخرجوا إليهم مع المؤيّد، فعاد البربر وتبعتهم عساكره، فلم يلحقوهم، وتردّدت الرسل بينهم فلم يتّفقوا إلى شيء.

ثم إنّ سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدّونه، وبذلوا له تسليم حصون كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها منهم، فأرسل ملك الفرنج إلى المؤيّد يعرّفه الحال، ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلاّ يمدّ سليمانَ بالعساكر. فاستشار أهل قُرطبة في ذلك، فأشاروا بتسليمها إليه خوفاً من أن يُنجدوا سليمان، واستقرّ الصُلح في المحرّم سنة إحدى وأربعمائة. فلما أيس البربر من إنجاد الفرنج رحلوا، فنزلوا قريباً من قرطبة في صفر سنة إحدى وأربعمائة، وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالاً، وخرّبوا البلاد.

وعمل المؤيّد وواضح العامريّ سوراً وخندقاً على قُرطُبة أمام السور الكبير، ثم نزل سليمان قُرطُبة خمسة وأربعين يوماً فلم يملكها، فانتقل إلى الزهراء وحصرها، وقاتل من بها ثلاثة أيام. ثم إنّ بعض الموكّلين بحفظها سلّم إليه الباب الذي هو موكّل بحفظه، فصعد البربر السور وقاتلوا من عليه حتّى أزالوهم، وملكوا البلد عنوةً، وقُتل أكثر من به من الجند، وصعد أهل الجبل، واجتمع الناس بالجامع، فأخذهم البربر وذبحوهم، حتّى النساء والصبيان، وألقوا النار بالجامع والقصر والديار، فاحترق أكثر ذلك ونُهبت الأموال.(٢١٨/٩)

ثم إن واضحاً كاتب سليمان يعرّفه أنّه يريد الانتقال عن قُرطبة سرّاً، ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها، ونمى الخبر إلى مؤيّد، فقبض عليه وقتله، واشتدّ الأمر بقرطبة، وعظم الخطب، وقلّت الأقوات، وكثر الموت، وكانت الأقوات عند البربر أقلّ منها بالبلد لأنّهم كانوا قد خرّبوا البلاد، وجلا أهل قرطبة، وقتل المؤيّد كلّ من مال إلى سليمان.

ثم إن البربر وسليمان لازموا الحصار والقتال لأهل قُرطُبة، وضيّقوا عليهم، وفي مدّة هذا الحصار ظهر بطُلَيْطُلة عُبيد اللّه بن محمّد بن عبد الجبّار، وبايعه أهلها، فسيّر إليهم المؤيّد جيشاً، فحصروهم، فعادوا إلى الطاعة، وأُخذ عبيد اللّه أسيراً، وقُتل في شعبان سنة إحدى وأربعين.

ثم إنّ أهل قُرطُبة قاتلوا في بعض الأيّام البربر فقُتل منهم خلق كثير، وغرق في النهر مثلهم، فرحلوا عنها، وساروا إلى إشبيلية فحصروها، فأرسل المؤيّد إليها جيشاً فحماها، ومنع البربر منها، وراسل سليمان نائب المؤيّد بسَرَقُسطة وغيرها يدعوهم إليه فأجابوه وأطاعوه، فسار البربر و سليمان عن إشبيلية إلى قلعة رباح، فملكوها، وغنموا ما فيها، واتّخذوها داراً، ثم عادوا إلى قُرطُبة فحصروها، وقد خرج كثير من أهلها وعساكرها من الجوع والخوف، واشتدّ القتال عليها، وملكها سليمان عنوةً وقهراً، وقتلوا من وجدوا في الطرق، ونهبوا البلد وأحرقوه، فلم تُحصَ القتلى لكثرتهم.

ونزل البربر في الدور التي لم تحرق، فنال أهل قُرطُبة من ذلك ما لم يسمع بمثله، وأُخرج المؤيّد من القصر وحُمل إلى سليمان، ودخل سليمان قُرطُبة منتصف شوّال سنة ثلاث وأربعمائة وبويع له فيها.

ثم إنّ المؤيّد جرى له مع سليمان أقاصيص طويلة؛ ثم خرج إلى شرق(٢١٩/٩)الأندلس من عنده، وكان ممن قُتل في هذا الحصر أبو الوليد ابن الفرضي مظلوماً، رحمه اللّه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أرسل الحاكم بأمر اللّه من مصر إلى المدينة،

ففُتح بيت جعفر الصادق، وأُخرج منه مصحف وسيف وكساء وقعب وسرير.

وفيها نقص الماء بدجلة حتّى أُصلحت مسا بين أوانا وقريب بغداد، حتّى جرت السفن فيها.

وفيها مرض أبو محمّد بن سهلان، فاشتدّ مرضه، فنذر إن عوفي بنى سوراً على مشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام، فعوفي، فأمر ببناء سور عليه، فبُني في هذه السنة، تولى بناءه أبو إسحاق الأرّجانيُّ.

وفيها وُلد عدنان ابن الشريف الرضي.

وفيها توفي النقيب أبو أحمد الموسويّ، والد الرضيّ، بعد أن أضرّ، ووقف بعض أملاكه على البرّ، وصلّى عليه ابنه الأكبر المرتضى، ودُفن بداره، ثم نُقل إلى مشهد الحسين، عليه السلام، وكان مولده سنة أربع وثلاثمائة.

وفيها توفّي أيضاً أبو جعفر الحجّاج بن هُرمُز بالأهواز؛ وعمدة الدولة أبو إسحاق بن معزّ الدولة بن بويه بمصر. وفيها مرض الخليفة القادر باللّه، واشتدّ مرضه، فأُرجف عليه، فجلس(٢٢٠/٩) للناس وبيده القضيب، فدخل إليه أبو حامد الأسفراييني، فقال لابن حاجب النُعمان: اسأل أمير المؤمنين أن يقرأ شيئاً من القرآن ليسمع الناس قراءته؛ فقرأ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقونَ والَّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم﴾ الآيات الثلاث.[الأحزاب:٦٠]

وفيها توفّي أبو العباس الناميّ الشاعر؛ وأبو الفتح عليّ بن محمد البُستيُّ الكاتب الشاعر، صاحب الطريقة المشهورة في التجنيس، فمن شعره:

يا أيها السائل عن مذهبي ... ليقتدي فيه بمنهاجي
منهاجيَ العدلُ وقَمعُ الهوى ... فهل لمنهاجيَ مِنْ هاجي
(٢٢١/٩)

سنة إحدى وأربعمائة

ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور وغيرها

بلاد الغور تجاور غزنة، وكان الغور يقطعون الطريق، ويخيفون السبيل، وبلادهم جبال وعرة، ومضايق غلقة، وكانوا يحتمون بها، ويعتصمون بصعوبة مسلكها، فلمّا كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه، وهم على هذه الحال من الفساد والكُفر، فجمع العساكر وسار إليهم وعى مقدّمته التونتاش الحاجب، صاحب هراة، وأرسلان الجاذب، صاحب طوس، وهما أكبر أمرائه، فسارا فيمن معهما حتّى انتهوا إلى مضيق قد شُحن بالمقاتلة، فتناوشوا الحرب، وصبر الفريقان.

فسمع يمين الدولة الحال، فجدّ في السير إليهم، وملك عليهم مسالكهم، فتفرّقوا، وساروا إلى عظيم الغوريّة المعروف بابن سوري، فانتهوا إلى مدينته التي تدعى اهنكران، فبرز من المدينة في عشرة آلاف مقاتل، فقاتلهم المسلمون إلى أن انتصف النهار، فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال، فأمر يمين الدولة أن يولّوهم الأدبار على سبيل الاستدراج، ففعلوا. فلمّا رأى الغوريّة(٢٢٢/٩)ذلك ظنّوه هزيمة، فاتّبعوهم حتّى أبعدوا عن مدينتهم، فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم فأبادوهم قتلاً وأسراً، وكان في الأسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سوري، ودخل المسلمون المدينة وملكوها، وغنموا ما فيها، وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعها، فلمّا عاين ابن سوري ما فعل المسلمون بهم شرب سمّاً كان معه، فمات وخسر الدنيا والآخرة،﴿ذَلِكَ هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ﴾.

وأظهر يمين الدولة في تلك الأعمال شعار الإسلام، وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد؛ ثم سار إلى طائفة أخرى من الكفّار، فقطع عليهم مفازة من رمل، ولحق عساكره عطش شديد وكادوا يهلكون، فلطف اللّه، سبحانه وتعالى بهم، وأرسل عليهم مطراً سقاهم، وسهل عليهم السير في الرمل، فوصل إلى الكفّار، وهم جمع عظيم، ومعهم ستّمائة فيل، فقاتلهم أشدّ قتال صبر فيه بعضهم لبعض، ثم إنّ اللّه نصر المسلمين، وهزم الكفّار، وأخذ غنائمهم، وعاد سالماً مظفّراً منصوراً.

ذكر الحرب بين ايلك الخان وبين أخيه

وفي هذه السنة سار ايلك الخان في جيوش قاصداً قتال أخيه طغان خان، فلمّا بلغ يَوزكَنْدَ سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق، فعاد إلى سَمَرْقَنْد.

وكان سبب قصده أنّ أخاه أرسل إلى يمين الدولة يعتذر، ويتنصّل من قصد أخيه ايلك الخان بلاد خُراسان، ويقول: إنّني ما رضيت ذلك منه؛ ويلزم أخاه (٢٢٣/٩) وحده الذنب، وتبرّأ هو منه، فلمّا علم أخوه ايلك الخان ذلك ساءه وحمله على قصده.

ذكر الخطبة للمصريّين العلويّين بالكوفة والموصل

في هذه السنة أيضاً خطب قرواش بن المقلّد أمير بني عُقيل للحاكم بأمر اللّه العلويّ، صاحب مصر، بأعماله كلّها، وهي: الموصل، والأنبار، والمدائن، والكوفة وغيرها، وكان ابتداء الخطبة بالموصل: الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات العصب. وانهدّت بقدرته أركان النصب. وأطلع بنوره شمس الحق من العرب.

فأرسل القادر باللّه، أمير المؤمنين، القاضي أبا بكر بن

الباقلانيّ إلى بهاء الدولة يعرّفه ذلك، وأن العلويّين والعباسيّين انتقلوا من الكوفة إلى بغداد، فأكرم بهاء الدولة القاضي أبا بكر، وكتب إلى عميد الجيوش يأمره بالمسير إلى حرب قرواش، وأطلق له مائة ألف دينار ينفقها في العسكر، وخلع على القاضي أبي بكر، وولاّه قضاء عُمان والسواحل. وسار عميد الجيوش إلى حرب قرواش فأرسل يعتذر وقطع خطبة العلويّين وأعاد خطبة القادر باللّه.

ذكر الحرب بين بني مَزْيد وبني دُبَيْس

كان أبو الغنائم محمد بن مَزْيد مقيماً عند بني دُبَيْس في جزيرتهم، بنواحي خوزستان، لمصاهرة بينهم، فقتل أبو الغنائم أحدَ وجوههم، ولحق بأخيه أبي(٢٢٤/٩)الحسن عليّ بن مَزْيد، فتبعوه فلم يدركوه، وانحدر إليهم سند الدولة أبو الحسن بن مَزْيد في ألفيْ فارس، واستنجد عميد الجيوش، فانحدر إليه عجلاً في زبزبة في ثلاثين ديلميّاً، وسار ابن مَزْيد، فوصل الخبر بهزيمته إلى عميد الجيوش وهو منحدر فعاد.

ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق

في هذه السنة توفّي عميد الجيوش أبو عليّ بن أستاذ هُرمُز ببغداد، وكانت ولايته ثماني سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً، وكان عمره تسعاً وأربعين سنة، وتولّى تجهيزه ودفنه الشريف الرضي، دفنه بمقابر قريش، ورثاه الرضيّ وغيره.

وكان أبوه، أبو جعفر أستاذ هُرمز، من حُجّاب عضد الدولة، وجعل عضد الدولة عميد الجيوش في خدمة ابنه صمصام الدولة، فلمّا قُتل اتّصل بخدمة بهاء الدولة. فلمّا استولى الخراب على بغداد، وظهر العيّارون، وانحلّت الأمور بها، أرسله إليها، فأصلح الأمور، وقمع المفسدين وقتلهم. فلمّا مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب، فأصعد إلى بغداد، فلقيه الكتّاب والقوّاد وأعيان الناس، وزيّنوا له البلاد، ووصل بغداد في ذي الحجّة، ومدحه مهيار وغيره من الشعراء.

ومن محاسن أعمال عميد الجيوش أنّه حُمل إليه مال كثير قد خلّفه بعض التجّار المصريّين، وقيل له: ليس للميّت وارث؛ فقال: لايدخل خزانة(٢٢٥/٩)السلطان ما ليس لها، يُترك إلى أن يصحّ خبره. فلمّا كان بعد مدّة جاء أخ للميّت بكتاب من مصر بأنّه مستحقّ للتركة، فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب، فرآه يصلّي على روشن داره فظنّه بعض الحجّاب، فأوصل الكتاب إليه فقضى حاجته، فلمّا علم التاجر أنّ الذي أخذ الكتاب كان عميد الجيوش عظم الأمر عنده، فأظهر ذلك، فاستحسنه الناس، ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له، فضجّ الناس بالدعاء له والثناء عليه، فبلغه الخبر فسرّه ذلك.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اشتدّ الغلاء بخراسان جميعها، وعدم القوت حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً، فكان يصيح الإنسان: الخبز الخبز! ويموت، ثم تبعه وباء عظيم حتّى عجز الناس عن دفن الموتى.

وفيها مات أبو الفتح محمّد بن عنّاز بحلوان، وكانت إمارته عشرين سنة، وقام بعده ابنه أبو الشوك فسيّرت إليه العساكر من بغداد لقتاله، ولقيهم أبو الشوك وقاتلهم قتالاً شديداً، وانهزم أبو الشوك إلى حلوان، وأقام بها إلى أن أصلح حاله مع الوزير أبي غالب لما قدم العراق.

وفيها توفّي أبو عبد اللّه محمد بن مقن بن مقلّد بن جعفر بن عمرو بن المهيّا العُقَيليّ، وفي مقلّد يجتمع آل المسيّب وآل مقن، وكان عمره مائة وعشر سنين، وكان بخيلاً شديد البخل، وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الأسود.

وفيها توفّي الأمير أبو نصر أحمد بن أبي الحارث محمد بن فريغون،(٢٢٦/٩)صاحب الجوزجان، وكان صهر يمين الدولة على أخته، وكان هو وأبوه قبله يحبّان العلماء ويحسنان إليهم.

وفيها انقضّ كوكب كبير لم يُرَ أكبر منه.

وفيها زادت دجلة إحدى وعشرين ذراعاً، وغرق كثير من بغداد والعراق، وتفجّرت البثوق؛ ولم يحجّ هذه السنة من العراق أحد.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عُبيد أبو مسعود الدمشقيّ الحافظ، سافر الكثير في طلب الحديث، وله عناية بصحيحي بخاري ومسلم؛ وتوفّي أيضاً خلف بن محمد بن عليّ بن حمدون أبو محمد الواسطيّ، كان فاضلاً، ولسه أطراف الصحيحين أيضاً.(٢٢٧/٩)

سنة اثنتين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة قصدار

في هذه السنة استولى يمين الدولة على قصدار، وملكها.

وسبب ذلك أنّ ملكها كان قد صالحه على قطيعة يؤدّيها إليه، ثمّ قطعها اغتراراً بحصانة بلده، وكثرة المضايق في الطريق، واحتمى بايلك الخان، وكان يمين الدولة يريد قصدها، فيتّقي ناحية ايلك الخان. فلمّا فسد ذات بينهما صمّم العزم وقصدها وتجهّز، وأظهر أنّه يريد هراة، فسار من غزنة في جُمادى الأولى، فلما استقلّ على الطريق سار نحو قصدار، فسبق خبره، وقطع تلك المضايق والجبل، فلم يشعر صاحبها إلاّ وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلاً، فطلب الأمان فأجابه وأخذ منه المال الذي كان قد

اجتمع عنده، وأقرّه على ولايته وعاد.

ذكر أسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده

في هذه السنة كانت وقعة بين أبي نصر بن لؤلؤ، صاحب حلب، وبين صالح بن مرداس، وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن(٢٢٨/٩)حمدان، فقوي على ولد سعد الدولة وأخذ البلد منه، وخطب للحاكم صاحب مصر، ولقّبه الحاكم مرتضى الدولة.

ثم فسد ما بينه وبين الحاكم، فطمع فيه ابن مرداس، وبنو كلاب، وكانوا يطالبونه بالصِّلات والخِلع. ثم إنّهم اجتمعوا هذه السنة في خمسمائة فارس، ودخلوا مدينةحلب، فأمر ابن لؤلؤ بإغلاق الأبواب والقبض عليهم، فقبض على مائة وعشرين رجلاً، منهم صالح بن مرداس، وحبسهم، وقتل مائتين، وأطلق من لم يفكّر به.

وكان صالح قد تزوّج بابنة عمٍّ له يُسمّى جابراً، وكانت جميلة، فوصفت لابن لؤلؤ، فخطبها إلى إخوتها، وكانوا في حبسه، فذكروا له أن صالحاً قد تزوّجها، فلم يقبل منهم، وتزوّجها، ثم أطلقهم، وبقي صالح بن مرداس في الحبس، فتوصّل حتّى صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلّها، واختفى في مسيل ماء.

ووقع الخبر بهربه، فأرسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه، فعادوا ولم يظفروا به. فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد في رجليه، حتّى وصل قرية تعرف بالياسريّة، فرأى ناساً من العرب فعرفوه وحملوه إلى أهله بمرج دابق، فجمع ألفيْ فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوماً، فخرج إليه ابن لؤلؤ فقاتله، فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ، وقيّده بقيده الذي كان في رجله ولبنته. وكان لابن لؤلؤ أخ فنجا وحفظ مدينة حلب.

ثم إن ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالاً على أن يطلقه، فلما استقر الحال بينهما أخذ رهائنه وأطلقه، فقالت أم صالح لابنها: قد أعطاك اللّه مالاً كنت تأمّله، فإن رأيت أن تتمّ صنيعك بإطلاق الرهائن فهو المصلحة، فإنّه إن أراد(٢٢٩/٩)الغدر بك لا يمنعه من عندك؛ فأطلقهم، فلما دخلوا البلد حمل ابن لؤلؤ إليه أكثر مما استقر، وكان قد تقرر عليه مائتا ألف دينار، ومائة ثوب، وإطلاق كل أسير عنده من بني كلاب. فلما انفصل الحال ورحل صالح أراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح، وكان دزدار القلعة، لأنّه اتّهمه بالممالأة على الهزيمة، وكان خلاف ظنّه، فأطلع على ذلك غلام له اسمه سرور، وأراد أن يجعله مكان فتح، فأعلم سرور بعض أصدقائه ويعرف بابن غانم.

وسبب إعلامه أنه حضر عنده، وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله، فشكا إلى سرور ذلك، فقال له: سيكون أمر تأمن معه؛ فسأله، فكتمه، فلم يزل يخدعه حتى أعلمه الخبر.

وكان بين ابن غانم وبين فتح مودّة، فصعد إليه بالقلعة متنكراً، فأعلمه الخبر، وأشار عليه بمكاتبة الحاكم صاحب مصر، وأمر ابن لؤلؤ أخاه أبا الجيش بالصعود إلى القلعة بحجّة افتقاد الخزائن، فإذا صار فيها قبض على فتح، وأرسل إلى فتح يعلمه أنّه يريد افتقاد الخزائن، ويأمره بفتح الأبواب. فقال فتح: إنني قد شربت اليوم دواءً، وأسأل تأخير الصعود في هذا اليوم، إنني لا أثق في فتح الأبواب لغيري؛ وقال للرسول: إذا لقيته فارددْه.فلما علم ابن لؤلؤ الحال أرسل والدته إلى فتح ليعلم سبب ذلك، فلمّا صعدت إليه أكرمها، وأظهر لها الطاعة فعادت وأشارت على ابنها بترك محاقّته ففعل، وأرسل إليه يطلب جوهراً كان له بالقلعة، فغالطه فتح ولم يرسله، فسكت على مضض لعلمه أن المحاقّة لا تفيد لحصانة القلعة، وأشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بأن يتمارض، ويظهر شدّة المرض، ويستدعي الفتح ليُنزل إليه ليجعله وصيّاً، فإذا حضر(٢٣٠/٩)قبضه. ففعل ذلك، فلم ينزل الفتح، واعتذر، وكاتب الحاكم، وأظهر طاعته، وخطب له، وأظهر العصيان على أستاذه، وأخذ من الحاكم صيدا، وبيروت، وكل ما في حلب من الأموال. وخرج ابن لؤلؤ من حلب إلى أنطاكية، وبها الروم، فأقام عندهم.

وكان صالح بن مرداس قد مالأ الفتح على ذلك، فلما عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه، وتركهن بمنبج، وتسلّم حلب نوّاب الحاكم، وتنقّلت بأديهم حتى صارت بيد إنسان من الحمدانيّة يعرف بعزيز الملك، فقدّمه الحاكم واصطنعه وولاّه حلب، فلما قُتل الحاكم وولّي الظاهر عصى عليه، فوضعت ستّ الملك أخت الحاكم فرّاشاً له على قتله فقتله.

وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بأنوشتكين البربري، وبيده دمشق، والرملة، وعسقلان، وغيرها، فاجتمع حسّان أمير بني طيّ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب، وسنان بن عليان، وتحالفوا، واتّفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح، ومن الرملة إلى مصر لحسان، ودمشق لسنان، فسار حسان إلى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين، فسار عنها إلى عسقلان، واستولى عليها حسّان ونهبها وقتل أهلها، وذلك سنة أربع عشرة وأربعمائة، أيّام الظاهر لإعزاز دين اللّه خليفة مصر.

وقصد صالح حلب، وبها إنسان يُعرف بابن ثعبان يتولى أمرها للمصريين، وبالقلعة خادم يعرف بموصوف، فأما أهل البلد فسلّموه إلى صالح لإحسانه إليهم، ولسوء سيرة المصريين معهم، وصعد ابن ثعبان إلى القلعة، فحصره(٢٣١/٩)صالح بالقلعة، فغار الماء الذي بها، فلم يبق لهم ما يشربون، فسلّم الجند القلعة إليه، وذلك

سنة أربع عشرة[وأربعمائة]، وملك من بعلبكّ إلى عانة، وأقام بحلب ست سنين.

فلما كان سنة عشرين وأربعمائة جهّز الظاهر صاحب مصر جيشاً، وسيّرهم إلى الشام لقتال صالح وحسان، وكان مقدّم العسكر أنوشتكين البربري، فاجتمع صالح وحسان على قتاله، فاقتتلوا بالأُقحوانة على الأردُنّ عند طبريّة، فقُتل صالح وولده الأصغر وأنفذ رأساهما إلى مصر، ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح، فجاء إلى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة.

فلمّا علمت الروم بأنطاكية الحال، تجهّزوا إلى حلب في عالم كثير، فخرج أهلها فحاربوهم فهزموهم، ونهبوا أموالهم وعادوا إلى أنطاكية، وبقي شبل الدولة مالكاً لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة، فأرسل إليه الدزبريّ العساكر المصرية، وصاحب مصر حينئذ المستنصر باللّه، فلقيه عند حماة، فقتل في شعبان. وملك الدزبريّ حلب في رمضان سنة تسع وعشرين[وأربعمائة]، وملك الشام جميعه، وعظم أمره وكثر ماله وأرسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد، فبلغ المصريين عنه أنه عازم على العصيان، فتقدموا إلى أهل دمشق بالخروج عن طاعته، ففعلوا، فسار عنها نحو حلب في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين [وأربعمائة] وتوفّي بعد ذلك بشهر واحد.

وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقّب بمعزّالدولة بالرحبة، فلما بلغه موت الدزبريّ جاء إلى حلب فملكها تسليماً من أهلها، وحاصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهراً، وملكها في صفر سنة أربع وثلاثين[وأربعمائة] فبقي فيها إلى سنة أربعين. فأنفذ المصريون إلى محاربته(٢٣٢/٩)أبا عبد اللّه بن ناصر الدولة بن حمدان، فخرج أهل حلب إلى حربه، فهزمهم، واختنق منهم بالباب جماعة، ثم إنه رحل عن حلب وعاد إلى مصر، وأصابهم سيل ذهب بكثير من دوابّهم وأثقالهم. فأنفذ المصريون إلى قتال معز الدولة خادماً يعرف برفق فخرج إليه في أهل حلب، فقاتلوه، فانهزم المصريون، وأُسر رفق، ومات عندهم، وكان أسره سنة إحدى وأربعين[وأربعمائة] في ربيع الأول.

ثم إن معزّ الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا إلى المصريين، وأصلح أمره معها، ونزل لهم عن حلب فأنفذوا إليها أبا عليّ الحسن بن عليّ بن ملهم، ولقّبوه مكين الدولة، فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة تسع وأربعين [وأربعمائة]، وسار ثمال إلى مصر في ذي الحجّة وسار أخوه أبو ذؤابة عطيّة بن صالح إلى الرحبة، وقام ابن ملهم بحلب، فجرى بين بعض السودان وأحداث حلب حرب.

وسمع ابن ملهم أن بعض أهل حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح يستدعونه ليسلّموا البلد إليه، فقبض على جماعة منهم، وكان منهم رجل يعرف بكامل بن نباتة، فخاف، فجلس يبكي، وكان يقول لكل من سأله عن بكائه: إن أصحابنا الذين أخذوا قد قتلوا، وأخاف على الباقين.فاجتمع أهل البلد، واشتدّوا، وراسلوا محموداً، وهو عنهم مسيرة يوم، يستدعونه، وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصره معهم في جُمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين[وأربعمائة].(٢٣٣/٩)

ووصلت الأخبار إلى مصر، فسيّروا ناصر الدولة أبا عليّ بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر، بعد اثنين وثلاثين يوماً من دخول محمود حلب، فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب إلى البرية، واختفى الأحداث جميعهم، وكان عطيّة بن صالح نازلاً بقرب البلد، وقد كره فعل محمود ابن أخيه، فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الأحداث، ونهب وسط البلد، وأخذ أموال الناس.

وأما ناصر الدولة فلم يمكّن أصحابه من دخول البلد ونهبه، وسار في طلب محمود، فالتقيا بالغنيدق في رجب، فانهزم أصحاب ابن حمدان، فسار هو وابن ملهم إلى مصر، فجهّز المصريّون معزّ الدولة ثمال بن صالح إلى ابن أخيه، فحصره في حلب في ذي الحجّة من السنة، فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب بن وثاب النميريّ، صاحب حرّان، فجاء إليه، فلما بلغ ثمال مجيئه سار عن حلب إلى البريّة في المحرّم سنة ثلاث وخمسين[وأربعمائة]، وعاد منيع إلى حرّان، فعاد ثمال إلى حلب، وخرج إليه محمود ابن أخيه، فاقتتلوا، وقاتل محمود قتالاً شديداً، ثم انهزم محمود فمضى إلى أخواله بني نمير بحرّان، وتسلّم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين[وأربعمائة]، وخرج إلى الروم، فغزاهم ثم توفّي بحلب في ذي القعدة سنة أربع وخمسين[وأربعمائة]، وكان كريماً، حليماً، وأوصى بحلب لأخيه عطيّة بن صالح فملكها.

ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركمانيّ، فقوي بهم، فأشار أصحابه بقتلهم، فأمر أهل البلد بذلك، فقتلوا منهم جماعة، ونجا الباقون، فقصدوا(٢٣٤/٩)محموداً بحرّان، واجتمعوا معه على حصار حلب، فحصرها وملكها في رمضان سنة أربع وخمسين [وأربعمائة].

وقصد عمّه عطيّة الرّقّة فملكها، ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين[وأربعمائة]، وسار عطيّة إلى بلد الروم، فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستّين.

وأرسل محمود التركمان مع أميرهم ابن خان إلى ارتاح، فحصرها وأخذها من الروم سنة ستّين [وأربعمائة]، وسار محمود إلى طرابلس، فحصرها، وأخذ من أهلها مالاً وعاد، وأرسله محمود

في رسالة إلى السلطان ألب أرسلان، ومات محمود في حلب سنة ثمان وستين[وأربعمائة] في ذي الحجّة، ووصّى بها بعده لابنه مشيب، فلم ينفذ أصحابه وصيّته لصغره، وسلّموا البلد إلى ولده الأكبر، واسمه نصر، وجدّه لأمه الملك العزيز بن الملك جلال الدولة بن بويه وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق.

وكان نصر يدمن شرب الخمر، فحمله السكر على أن خرج إلى التركمان الذين ملّكوا أباه البلد، وهم بالحاضر، يوم الفطر، فلقوه، وقبّلوا الأرض بين يديه، فسبّهم وأراد قتلهم، فرماه أحدهم بنشابة فقتله، وملك أخوه سابق، وهو الذي كان أبوه أوصى له بحلب، فلمّا صعد القلعة استدعى أحمد شاه مقدّم التركمان، وخلع عليه، وأحسن إليه، وبقي فيها إلى سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة]، فقصده تتش بن ألب أرسلان، فحصره في حلب أربعة أشهر ونصفاً، ثم رحل عنه، ونازله شرف الدولة، فأخذ البلد منه، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى؛ فهذه جميع أخبار بني مرداس أتيت بها متتابعة لئلاّ تُجهل إذا تفرّقت.(٢٣٥/٩)

ذكر قتل جماعة من خفاجة

لما فتح الملك فخر الدولة دَيْر العاقول أتاه سلطان، وعلوان، ورجب، أولاد ثمال الخفاجيّ، ومعهم أعيان عشائرهم، وضمنوا حماية سقي الفرات، ودفع عقيل عنها، وساروا معه إلى بغداد، فأكرمهم وخلع عليهم، وأمرهم بالمسير مع ذي السعادتين الحسن بن منصور إلى الأنبار، فساروا، فلمّا صاروا بنواحي الأنبار أفسدوا وعاثوا، فقبض ذو السعادتين على نفر منهم، ثم أطلقهم واستحلفهم على الطاعة، والكف عن الأذى، فأشار كاتب نصرانيّ من أهل دقوقا على سطان ابن ثمال بالقبض على ذي السعادتين، وأن يظهر أن عُقيلاً قد أغاروا، فإذا خرج عسكر ذي السعادتين انفرد به فأخذه. فوصل إلى ذي السعادتين الخبر.

ثم إن سلطاناً أرسل إليه يقول له إنّ عقيلاً قد قاربوا الأنبار، ويطلب منه إنقاذ العسكر، فقال ذو السعادتين: أنا أركب وآخذ العساكر؛ ثم دافعه إلى أن فات وقت السير، فانتقض على سلطان ما دبّره، فأرسل يقول: قد أخذت جماعة من عُقيل؛ ثم إن ذا السعادتين صنع طعاماً كثيراً، وحضر عنده سلطان وكاتبه النصرانيّ وجماعة من أعيان خفاجة، فأمر أصحابه بقتل كثير منهم، وقبض على سلطان وكاتبه وجماعته، ونهب بيوتهم وما فيها، وحبس سلطاناً ومن معه ببغداد، حتّى شفع فيهم أبو الحسن بن مَزْيد، وبذل مالاً عنهم فأُطلقوا. وذكر ابن نباتة وغيره هذه الحادثة.(٢٣٦/٩)

ذكر القدح في نسب العلويّين المصريين

في هذه السنة كُتِب ببغداد محضرٌ يتضمّن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر، وكتب فيه المرتضى وأخوه الرضيّ وابن البطحاويّ العلويّ، وابن الأزرق الموسويّ، والزكي أبو يعلى عمر بن محمد، ومن القضاة والعلماء ابن الأكفانيّ وابن الخرزيّ، وأبو العباس الأبيورديّ، وأبو حامد الأسفراييني، والكشفليّ، والقدوريّ، والصيمريّ، وأبو عبد اللّه بن البيضاويّ، وأبو الفضل النّسويّ، وأبو عبد اللّه بن النعمان فقيه الشيعة، وغيرهم، وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ستّ وتسعين ومائتين.

ذكر أخذ بني خفاجة الحجاج

في هذه السنة سارت خفاجة إلى واقصة، ونزحوا ماء البرمكيّ والرّيّان وألقوا فيهما الحنظل؛ ووصل الحجّاج من مكة إلى العقبة، فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء، ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع، فأكثروا القتل، وأخذوا الأموال، ولم يسلم من الحاجّ إلاّ اليسير، فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد، فسيّر العساكر في أثرهم، وكتب إلى أبي الحسن عليّ بن مَزْيد يأمره بطلب العرب، والأخذ منهم بثأر الحاجّ، والانتقام، فسار خلفهم فلحقهم وقد قاربوا البصرة، فأوقعوا بهم، فقتل منهم وأسر جمعاً كثيراً، وأخذ من أموال الحاجّ ما رآه، وكان الباقي قد أخذه العرب وتفرّقوا، وأرسل الأسرى وما استردّه من أمتعة الحاج إلى الوزير، فحسن موقعه منه.(٢٣٧/٩)

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أبو الحسن بن اللّبان الفرضيّ في ربيع الأول ؛ وتوفي في شهر رمضان عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلانيّ العابد، وكان مُجاب الدعوة، رحمة اللّه عليه.(٢٣٨/٩)

سنة ثلاث وأربعمائة

ذكر قتل قابوس

في هذه السنة قُتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير.

وكان سبب قتله أنه كان مع كثرة فضائله ومناقبه، عظيم السياسة، شديد الأخذ، قليل العفو، يقتل على الذنب اليسير، فضجر أصحابه منه، واستطالوا أيّامه، واتّفقوا على خلعه والقبض عليه.

وكان حينئذ غائباً عن جرجان، فخفي عليه الأمر، فلم يشعر ذات ليلة إلاّ وقد احاط العسكر بباب القلعة التي كان بها، وانتهبوا أمواله، ودوابّه، وأرادوا استنزاله من الحصن، فقاتلهم هو ومن معه من خواصّه وأصحابه، فعادوا ولم يظفروا به، ودخلوا جرجان واستولوا عليها، وعصوا عليه بها، وبعثوا إلى ابنه منوجهر، وهو بطبرستان، يعرّفونه الحال، ويستدعونه ليولّوه أمرهم، فأسرع السير نحوهم خوفاً من خروج الأمر عنه، فالتقوا، واتّفقوا على طاعته إن

هو خلع أباه، فأجابهم إلى ذلك على كره.

وكان أبوه شمس المعالي قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة لينظر(٢٣٩/٩) فيما تسفر عنه، فأخذوا منوجهر معهم، عازمين على قصد والده وإزعاجه من مكانه، فسار معهم مضطرّاً، فلما وصل إلى أبيه أذن له وحده دون غيره، فدخل عليه وعنده جمع من أصحابه المحامين عنه، فلما دخل عليه تشاكيا ما هما فيه، وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه في قتال أولئك القوم ودفعهم وإن ذهبت نفسه . فرأى شمس المعالي ضدّ ذلك، وسهل عليه حيث صار الملك إلى ولده، فسلّم إليه خاتم الملك، ووصّاه بما يفعله، واتّفقا على أن ينتقل هو إلى قلعة جناشك يتفرّغ للعبادة إلى أن يأتيه اليقين، وينفرد منوجهر بتدبير الملك .

وسار إلى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته، وسار منوجهر إلى جرجان، وتولّى الملك وضبطه وداری أولئك الأجناد، وهم نافرون، خائفون من شمس المعالي ما دام حيّاً، فما زالوا يحتالون ويجيلون الرأي حتى دخلوا إلى منوجهر وخوّفوه من أبيه مثل ما جرى لهلال بن بدر مع أبيه، وقالوا له : مهما [كان] والدك في الحياة لا نأمن نحن ولا أنت ؛ واستأذنوه في قتله، فلم يردّ عليهم جواباً، فمضوا إليه إلى الدار التي هو فيها، وقد دخل إلى الطهارة متخفّفاً، فأخذوا ما عنده من كسوة، وكان الزمان شتاء، وكان يستغيث : أعطوني ولو جل دابّة ! فلم يفعلوا، فمات من شدّة البرد ؛ وجلس ولده للعزاء، ولقّب القادر باللّه منوجهر فلك المعالي .

ثم إن منوجهر راسل يمين الدولة، ودخل في طاعته، وخطب له على منابر بلاده، وخطب إليه من يزوّجه بعض بناته، ففعل، فقوي جنابه، وشرع في (٢٤٠/٩) التدبير على أولئك الذين قتلوا أباه، فأبادهم بالقتل والتشريد.

وكان قابوس غزير الأدب، وافر العلم، له رسائل وشعر حسن، وكان عالما بالنجوم وغيرها من العلوم، فمن شعره :

قُل للذي بصروفِ الدهر عيّرنا ... هل عائدَ الدّهر إلاّ مَن له خَطَرُ
أما تَرى البحرَ يَطفُو فوقَه جِيَفٌ ... وتستقرّ بأقصى قعره الدُّرَرُ
فإن تكن نشبت أيدي الخطوبِ بنا ... ومسّنا من توالي صَرفِها ضَرَرُ
ففي السماء نجومٌ لا عِدادَ لها ... وليس يُكْسَفُ إلاّ الشمس والقمَرُ

ذكر موت ايلك الخان وولاية أخيه طغان خان

في هذه السنة توفّي ايلك الخان، وهو يتجهّز للعود إلى خراسان، ليأخذ بثأره من يمين الدولة، وكاتب قدرَ خان وطغان خان ليساعداه على ذلك .

فلما توفّي وليَ بعده أخوه طغان، فراسل يمين الدولة وصالحه، وقال له: المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند، وأشتغل أنا بغزو الترك، وأن يترك بعضنا بعضاً ؛ فوافق ذلك هواه، فأجابه إليه، وزال الخلاف، واشتغلا بغزو الكفّار .

وكان ايلك الخان خيّراً، عادلاً، حسن السيرة، محبّاً للدين وأهله، معظّما للعلم وأهله، محسنا إليهم .(٢٤١/٩)

ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدواة

في هذه السنة، خامس جمادى الآخرة، توفّي بهاء الدولة أبونصر بن عضد الدولة بن بويه، وهو الملك حينئذ بالعراق، وكان مرضه تتابع الصرع مثل مرض أبيه، وكان موته بأرّجان، وحُمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي، عليه السلام، فدُفن عند أبيه عضد الدولة، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفاً، وملكه أربعا وعشرين سنة.

ولما توفّي وليَ الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع، وسار من أرّجان إلى شيراز، وولي أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة، وأخاه أبا الفوارس كَرمان .

ذكر ولاية سليمان الأندلس، الدولة الثانية

في هذه السنة ملك سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأمويّ، ولقّب المستعين، وهذه غير ولايته، منتصف شوّال، على ما ذكرناه سنة أربعمائة، وبايعه الناس وخرج أهل قُرطُبة إليه يسلمون عليه، فأنشد متمثلاً : (٢٤٢/٩)

إذا ما رأونـي طالعاً من ثنيّة ... يقولون مَن هذا، وقد عرفوني
يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً ... ولو ظفروا بي ساعةً قتلوني

وكان سليمان أديباً شاعراً بليغاً، وأُريق في أيّامه دماء كثيرة لا تحدّ، وقد تقدم ذكر ذلك سنة أربعمائة، وكان البربر هم الحاكمين في دولته لا يقدر على خلافهم، لأنّهم كانوا عامّة جنده، وهم الذين قاموا معه حتّى ملكوه، وقد تقدّم ذكر ذلك.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خلع سلطان الدولة على أبي الحسن عليّ بن مَزْيد الأسديّ، وهو أول من تقدّم من أهل بيته.

وفيها قُلّد الرضي الموسويّ، صاحب الديوان المشهور، نقابة العلويين ببغداد، وخُلع عليه سواد، وهو أول طالبيّ خُلع عليه سواد.

وفيها توفي أبو بكر الخوارزميّ، واسمه محمد بن موسى، الفقيه الحنفيّ؛ وأبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلويّ، نقيب الكوفة، وكان يسير بالحاجّ عشر سنين؛ وأبو عبد اللّه الحسن بن حامد بن عليّ بن مروان، الفقيه الحنبلي، وله تصانيف في الفقه؛ والقاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب المتكلّم الأشعريّ، وكان مالكيّ

المذهب، رثاه بعضهم فقال: (٢٤٣/٩)

انظر إلى جبلٍ تمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلفِ
وانظر إلى صارم الإسلام منغمداً ... وانظر إلى درّة الإسلام في الصّدف

وفيها قُتل أبو الوليد عبد اللّه بن محمد، المعروف بابن الفرضيّ الأندلسيّ، بقُرطُبة، قتله البربر.(٢٤٤/٩)

سنة أربع وأربعمائة

ذكر فتح يمين الدولة ناردين

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند في جمع عظيم وحشد كثير، وقصد واسطة البلاد من الهند، فسار شهريْن، حتى قارب مقصده، ورتّب أصحابه وعساكره، فسمع عظيم الهند به، فجمع مَنْ عنده من قوّاده وأصحابه، وبرز إلى جبل هناك، صعب المرتقى، ضيق المسلك، فاحتمى به، وطاول المسلمين، وكتب إلى الهنود يستدعيهم من كلّ ناحية، فاجتمع عليه منهم كلّ من يحمل سلاحاً، فلما تكاملت عدّته نزل من الجبل، وتصافّ هو والمسلمون، واشتدّ القتال وعظم الأمر.

ثم إنّ اللّه تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم، وأكثروا القتل فيهم، وغنموا ما معهم من مال، وفيل، وسلاح، وغير ذلك.

ووجد في بيت بُدّ عظيم الروم حجراً منقوراً دلّت كتابته على أنّه مبنيّ منذ أربعين ألف سنة، فعجب الناس لقلّة عقولهم.

فلمّا فرغ من غزوته عاد إلى غزنة، وأرسل إلى القادر باللّه يطلب منه منشوراً، وعهداً بخُراسان وما بيده من الممالك، فكُتب له ذلك، ولقّب نظام الدين.(٢٤٥/٩)

ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى

في هذه السنة جاء سلطان بن ثمال، واستشفع بأبي الحسن بن مَزْيد إلى فخر الملك ليرضى عنه، فأجابه إلى ذلك، فأخذ عليه العهود بلزوم ما يُحمد أمره، فلمّا خرج وصلت الأخبار بأنهم نهبوا سواد الكوفة، وقتلوا طائفة من الجند، وأتى أهل الكوفة مستغيثين، فسيّر فخر الملك إليهم عسكراً، وكتب إلى ابن مَزْيد وغيره بمحاربتهم، فسار إليهم، وأوقع بهم بنهر الرمان، وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه، ونجا سلطان، وأدخل الأسرى إلى بغداد مُشهّرين وحُبسوا.

وهبّ على المنهزمين من بني خفاجة ريح شديدة حارّة، فقتلت منهم نحو خمسمائة رجل، وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجّاج، وكانوا يرعون إبلهم وغنمهم، فعادوا إلى بغداد، فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجن وولدن، واقتسمت تركاتهم.

ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور

قد ذكرنا حال شهرزور، وأنّ بدر بن حسنويه سلّمها إلى عميد الجيوش، فجعل فيها نوّابه. فلمّا كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر إلى شهرزور،(٢٤٦/٩)وقاتل من بها من عسكر فخر الملك، وأخذها منهم في رجب. فلما سمع الوزير الخبر أرسل إلى طاهر يعاتبه، ويأمره بإطلاق من أسر من أصحابه، ففعل، ولم تزل شهرزور بيد طاهر إلى أن قتله أبوالشوك، وأخذها منه، وجعلها لأخيه مهلهل.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار أبو الحسن عليّ بن مَزْيد الأسديّ إلى أبي الشوك على عزم محاربته، فاصطلحا من غير حرب، وتزوّج ابنه أبو الأغرّ دُبَيْس بن عليّ بأخت أبي الشوك.

وفيها توفي القاضي أبو الحسن عليّ بن سعيد الإصطخريّ، وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهور بهم، وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة، وله تصانيف في الردّ على الباطنيّة.(٢٤٧/٩)

سنة خمس وأربعمائة

ذكر غزوة تانيشر

قد ذُكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب، وأنّ صاحبها غال في الكفر والطغيان، والعناد للمسلمين، فعزم على غزوه في قعر داره، وأن يذيقه شربة من كأس قتاله، فسار في الجنود والعساكر والمتطوّعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر، وعرة المسالك، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف، بعيدة الأكناف، والماء بها قليل، فلقوا شدّة، وقاسوا مشقّة إلى أن قطعوها.

فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهراً شديد الجرية، صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه،يمنع من عبوره، ومعه عساكره، وفيلته التي كان يدلّ بها. فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر، وإشغال الكافر بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك، وقاتلوا الهنود، وشغلوهم عن حفظ النهر، حتّى عبر سائر العسكر في المخاضات، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم الهند، وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة، وعادوا إلى غزنة موفّرين ظافرين.(٢٤٨/٩)

ذكر قتل بدر بن حسنويه وإطلاق ابنه هلال وقتله

في هذه السنة قُتل بدر بن حسنويه أمير الجبل.

وكان سبب قتله أنّه سار إلى الحسين بن مسعود الكرديّ ليملك عليه بلاده، فحصره بحصن كوسحد، فضجر أصحاب بدر

منه لهجوم الشتاء، فعزموا على قتله، فأتاه بعض خواصّه وعرّفه ذلك، فقال: فمَن هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك! وأبعدهم، فعاد إليه، فلم يأذن له، فقال من وراء الخركاة: الذي أعلمتك قد قوي العزم عليه؛ فلم يلتفت إليه.

وخرج فجلس على تلّ، فثاروا به، فقتله طائفة منهم تسمّى الجُورقَان، ونهبوا عسكره، وتركوه وساروا. فنزل الحسين بن مسعود، فرآه ملقىً على الأرض، فأمر بتجهيزه وحمله إلى مشهد عليّ، عليه السلام، ليُدفن فيه، ففعل ذلك.

وكان عادلاً كثير الصدقة والمعروف، كبير النفس، عظيم الهمّة. ولمّا قُتل هرب الجورقان إلى شمس الدولة أبي طاهر بن فخر الدولة بن بويه، فدخلوا في طاعته.

وكان طاهر بن هلال بن بدر هارباً من جدّه بنواحي شهرزور، فلما عرف بقتله بادر يطلب ملكه، فوقع بينه وبين شمس الدولة حرب، فأسر طاهر وحبس وأُخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك نائباً من أبيه هلال، وكان عظيماً، وحمله إلى همذان، وسار اللُّرّية والشاذنجان إلى أبي الشوك، فدخلوا في طاعته.(٢٤٩/٩)

وحين قتل كان ابنه هلال محبوساً عند الملك سلطان الدولة، كما ذكرنا، فلمّا قتل بدر استولى شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه على بعض بلاده، فلما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالاً وجهّزه وسيّره ومعه العساكر ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده. فسار إلى شمس الدولة، فالتقيا في ذي القعدة، واقتتل العسكران، فانهزم أصحاب هلال، وأُسر هو، فقُتل أيضاً، وعادت العساكر التي كانت معه إلى بغداد على أسوأ حال.

وكان ممن أُسر معه أبو المظفّر أنوشتكين الأعرابيّ، وكان في مملكة بدر سابور خُواسْت، والدّينور، وبَروجرد، ونَهاوند، وأسداباذ، وقطعة من أعمال الأهواز، وما بين ذلك من القلاع والولايات.

ذكر الحرب بين عليّ بن مَزْيد وبين بني دُبَيْس

في هذه السنة، في المحرّم كانت الحرب بين أبي الحسن عليّ بن مَزْيد الأسديّ وبين مُضر، ونَهبان، وحسّان، وطراد بني دُبَيْس.

وسببها أنّهم كانوا قد قتلوا أبا الغائم بن مَزْيد أخا أبي الحسن في حرب بينهم، وقد تقدّم ذكرها، وحالت الأيّام بينه وبين الأخذ بثأره، فلمّا كان الآن تجهّز لقصدهم، وجمع العرب، والشاذنجان، والجوانيّة، وغيرهما من الأكراد وسار إليهم، فلمّا قرب منهم خرجت زوجته ابنة دُبَيْس وقصدت أخاها مُضر بن دُبَيْس ليلاً، وقالت له: قد أتاكم ابن مَزْيد فيما لا قِبَلَ لكم(٢٥٠/٩) به، وهو يقنع منكم بإبعاد نبهان قاتل أخيه، فأبعدوه، وقد تفرّقت هذه العساكر. فأجابها أخوها مُر إلى ذلك، وامتنع أخوه حسّان.

فلمّا سمع ابن مَزْيد بما فعلته زوجته أنكره، وأراد طلاقها، فقالت له: خفتُ أن أكون في هذه الحرب بين فقد أخٍ حميم، أو زوج كريم، ففعلتُ ما فعلتُ رجاء الصلاح؛ فزال ما عنده منها، وتقدّم إليهم، وتقدّموا إليه بالحلل والبيوت، فالتقوا واقتتلوا، واشتدّ القتال لما بين الفريقيْن من الذّحول، فظفر ابن مَزْيد بهم، وهزمهم، وقتل ابنيْ دُبَيْس، واسنولى على البيوت والأموال، ولحق مَنْ سلم من الهزيمة بالحويزة. ولما ظفر بهم رأى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجدّ في أمره، ويعدهم النصر، فعاتبه على ذلك، وحصل بينهما نفرة، ودعتْ فخر الملك الضرورة إلى تقليد ابن مَزْيد الجزيرة الدُّبَيْسيّة، واستثنى مواضع منها: الطيّب وقُرقوب وغيرهما، وبقي أبو الحسن هناك إلى جمادى الأولى.

ثم إنّ مُضر بن دُبَيْس جمع جمعاً، وكبس أبا الحسن ليلاً، فهرب في نفر يسير، واستولى مُضر على حلله وأمواله، وكلّ ماله، ولحق أبو الحسن ببلد النِّيل منهزماً.

ذكر ملك شمس الدولة الرّيّ وعوده عنها

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حَسْنويه وأخذ ما في قلاعه من الأموال عظم شأنه، واتّسع ملكه، فسار إلى الرّيّ، وبها أخوه مجد(٢٥١/٩)الدولة، فرحل عن الرّيّ ومعه والدته إلى دُنْباوند، وخرجت عساكر الريّ إلى شمس الدولة مذعنة بالطاعة، ودخل الرّيّ وملكها، وخرج منها يطلب أخاه ووالدته، فشغب الجند عليه، وزاد خطبهم، وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها، فعاد إلى همذان وأرسل إلى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود إلى الرّيّ، فعادا.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، توفّي أبو الحسن أحمد بن عليّ البَتّيّ، الكاتب الشاعر، ومن شعره في تكّة:

ليس لا أتيهُ ومضجعي ... بين الرّوادف والخُصور
وإذا نسجتُ، فإنّني ... بين الترائب والنّحور
ولقد نشأت صغيرةً ... بأكفّ ربّات الخُدور

وله نوادر كثيرة منها أنّه شرب فقّاعا في دار فخر الملك،فلم يستطبه،فجلس مفكراً،فقال له الفقّاعي:في أي شيء تفكر؟ فقال : في دقّة صنعتك، كيف أمكنك الخراء في هذه الكِيزان الضيقة كلّها

وفي رمضان منها قُتل القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كجّ الفقيه، وكان من أئمّة أصحاب الشافعيّ، وكان قاضي الدّينور، قتله طائفة من عامّتها خوفاً منه .

وتوفّي أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن نُباتة السّعديّ الشاعر ؛ والقاضي (٢٥٢/٩) أبو محمد بن الأكفانيّ، قاضي بغداد، ووليَ بعده قضاء القضاة أبو الحسن بن أبي الشوارب البصريّ .

وتوفّي أبو أحمد عبد السلام بن الحسن البصريّ الأديب ؛ وأبو القاسم هبة اللّه بن عيسى، كاتب مهذّب الدولة بالبطيحة، وهو من الكتّاب المفلقين، ومكاتباته مشهورة ؛ وكان ممدّحاً، وممّن مدحه ابن الحجّاج .

وتوفّي أيضا عبد اللّه بن محمد بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس أبو سعيد الإدريسيّ، الأستراباذيّ، الحافظ، نزيل سمرقند، وهو مصنّف تاريخ سمرقند .

وتوفّي أيضا الحاكم أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه النّيسابوريّ، صاحب التصانيف الحسنة المشهورة ؛ وأبو الحسن بن عياض، وكان يلقّب الناصر، وكان يتولّى الأهواز، وقام ولده بنكير مقامه ؛ وأبو عليّ الحسين بن الحسين بن حمكان الهمذانيّ، الفقيه الشافعيّ، وكان إماماً عالماً .(٢٥٣/٩)

سنة سِت وأربعمائة

ذكر الفتنة بين باديس وعمّه حمّاد

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الأمير باديس، صاحب إفريقية، وعمّه حمّاد، حتى آل الأمر بينهما إلى الحرب التي لا بقيا بعدها .

وسبب ذلك أن باديس أُبلغ عن عمّه حمّاد قوارصَ وأموراً أنكرها، فاغضى عليها، حتى كثر ذلك عليه، وكان لباديس ولد اسمه المنصور أراد أن يقدّمه ويجعله وليّ عهده، فأرسل إلى عمّه حمّاد يقول له بأن يسلّم بعض ما بيده من الأعمال التي أقطعه إلى نائب ابنه المنصور، وهي مدينة تيجس، وقصر الإفريقيّ وقسنطينة، وسيّر إلى تسليم ذلك هاشم بن جعفر، وهو من كبار قوّادهم، وسيّر معه عمّه إبراهيم ليمنع أخاه حمّاداً من أمر إن أراده. فسارا إلى أن قاربا حمّاداً، ففارق إبراهيم هاشماً، وتقدّم إلى أخيه حمّاد، فلما وصل إليه حسّن له الخلاف على باديس، ووافقه على ذلك، وخلعا الطاعة، وأظهرا العصيان، وجمعا الجموع الكثيرة، فكانوا ثلاثين ألف مقاتل.

فبلغ ذلك باديس، فجمع عساكره وسار إليهما، ورحل حمّاد وأخوه (٢٥٤/٩)إبراهيم إلى هاشم بن جعفر والعسكر الذين معه، وهو بقلعة شقنبارية، فكان بينهم حرب انهزم [فيها] ابن جعفر ولجأ إلى باجّة، وغنم حمّاد ماله وعُدده، فرحل باديس إلى مكان يسمّى قبر الشهيد، فأتاه جمع كثير من عسكر عمّه حمّاد، ووصلت كُتُب حمّاد وإبراهيم إلى باديس أنّهما ما فارقا الجماعة، ولاخرجا عن الطاعة، فكذّبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء، وقتل الأطفال، وإحراق الزروع والمساكن، وسبي النساء .

ووصل حمّاد إلى باجة فطلب أهلها منه الأمان، فأمّنهم، واطمأنّوا إلى عهده، فدخلها يقتل وينهب ويحرق ويأخذ الأموال .

وتقدّم باديس إليه بعساكره، فلما كان في صفر سنة ستّ وأربعمائة، وصل حمّاد إلى مدينة أشير، وهي له، وفيها نائبه، واسمه خَلَف الحِمْيريّ، فمنعه خلف من دخولها، وصار في طاعة باديس، فسقط في يد حمّاد، فإنها هي كانت معوّله لحصانتها وقوّتها .

ووصل باديس إلى مدينة المَسِيلة، ولقيه أهلها، وفرحوا به، وسيّر جيشاً إلى المدينة التي أحدثها حمّاد، فخربوها إلاّ أنهم لم يأخذوا مال أحد، وهرب إلى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التي له، وفيها أخوه إبراهيم، فأخذ إبراهيم أبناءهم، وذبحهم على صدور أمّهاتهم، فقيل إنه ذبح بيده ستّين طفلاً، فلما فرغ من الأطفال قتل الأمهات .

وتقارب باديس وحمّاد، والتقوا مستهلّ جمادى الأولى، واقتتلوا أشدّ قتال وأعظمه، ووطّن أصحاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حمّاد يفعله لمن يظفر به، واختلط الناس بعضهم ببعض، وكثر القتل، ثم انهزم (٢٥٥/٩) حمّاد وعسكره لايلوي على شيء، وغنم عسكر باديس أثقاله وأمواله، وفي جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط، ولولا اشتغال العسكر بالنهب لأخذ حمّاد أسيراً .

وسار حتى وصل إلى قلعته تاسع جمادى الأولى، وجاء إلى مدينة دكمة، فتجنّى على أهلها، فوضع السيف فيهم، فقتل ثلاثمائة رجل . فخرج إليه فقيه منها وقال له : يا حمّاد إذا لقيتَ الجيوش انهزمتَ، وإذا قاومتك الجموع فررتَ، وإنما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك ؛ فقتله وحمل جميع ما في المدينة من طعام وملح وذخيرة إلى القلعة التي له.

وسار باديس خلفه، وعزم على المقام بناحيته، وأمر بالبناء، وبذل الأموال لرجاله، فاشتدّ ذلك على حمّاد، وأنكر رجاله، وضعفت نفسه، وتفرّق عنه أصحابه .

ثم مات ورّو بن سعيد الزناتيّ المتغلّب على ناحية طرابلس، واختلفت كلمة زناتة، فمالت فرقة مع أخيه خزرون، وفرقة مع ابن ورّو، فاشتدّ ذلك أيضاً على حمّاد، وكان يطمع أنّ زناتة تغلب على بعض البلاد، فيضطرّ باديس إلى الحركة إليهم . (٢٥٦/٩)

ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعزّ

لما كان يوم الثلاثاء، سلخ ذي القعدة سنة ستّ وأربعمائة، أمر باديس بعرض العساكر، فرأى ما سرّه، وركب آخر النهار، ونزل ومعه جماعة من أصحابه، ففارقوه إلى خيامهم، فلما كان نصف الليل توفّي .

وخرج الخادم في الوقت إلى حبيب بن أبي سعيد، وباديس بن أبي حمامة، وأيّوب بن يطّوفت، وهم أكبر قواده، فأعلمهم بوفاته .

وكان بين حبيب وباديس بن حمامة عداوة، فخرج حبيب مسرعاً إلى باديس وخرج باديس إليه أيضاً، فالتقيا في الطريق، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : قد عرفتَ الذي بيننا، والأولى أن نتّفق على إصلاح هذا الخلل، فإذا انقضى رجعنا إلى المنافسة، فاجتمعا مع أيوب وقالوا : إن العدو قريب منّا، وصاحبنا بعيد عنا، ومتى لم نقدّم رأساً نرجع إليه في أمورنا لم نأمن العدوّ، ونحن نعلم ميل صنهاجة إلى المعزّ، وغيرهم إلى كرامت بن المنصور أخي باديس، فاجتمعوا على تولية كرامت ظاهراً، فإذا وصلوا إلى موضع الأمن، ولّوا المعزّ بن باديس، وينقطع الشرّ .

فأحضروا كرامت وبايعوه، وولّوه في الحال، وأصبحوا وليس عند أحد من العسكر خبر من ذلك، وعزموا أن يقولوا للناس بُكرة إن باديس قد شرب دواء، فلما أصبحوا أغلق أهل مدينة المحمدية أبوابها، وكأنما نودي فيهم بموت باديس، فشاع الخبر، وخاف الناس خوفاً عظيماً، واضطربوا (٢٥٧/٩) لموته، وأظهروا ولاية كرامت، فلما رأى ذلك عبيد باديس ومَن معهم أنكروه، فخلا حبيب بأكابرهم، وعرّفهم الحال فسكنوا .

ومضى كرامت إلى مدينة أشير ليجمع صنهاجة، وتلكاتة، وغيرهم وأعطوهم من الخزائن مائة ألف دينار .

وأما المعزّ فإنه كان عمره ثماني سنين وستّة أشهر وأياماً تقريباً، لأن مولده كان في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، ولما وصل إليه الخبر بموت أبيه أجلسه مَن عنده للعزاء، ثم ركب في الموكب، وبايعه الناس، فكان يركب كل يوم، ويطعم الناس كل يوم بين يدَيْه .

وأما العساكر فإنهم رحلوا من مدينة المحمدية إلى المعزّ، وجعلوا باديس في تابوت بين يدي العسكر، والطبول، والبنود على رأسه، والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة، وكان وصولهم إلى المنصوريّة رابع المحرّم سنة سبع وأربعمائة، ووصلوا إلى المهديّة، والمعزّ بها، ثامن المحرّم، فركب المعزّ، ووقف حبيب يعلمه بهم، ويذكر له أسماءهم، ويعرّفه بقوّادهم وأكابرهم، فرحل المعزّ من المهدية، فوصل إلى المنصوريّة، منتصف المحرّم .

وهذا المعزّ أوّل من حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك، وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة .

وأما كرامت فإنه لما وصل إلى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرهم، فأتاه حمّاد في ألف وخمسمائة فارس، فتقدّم إليه كرامت [في] سبعة آلاف مقاتل، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فرجع بعض أصحاب كرامت إلى بيت المال فانتهبوه وهربوا، فتمّت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، ووصل إلى مدينة أشير فأشار عليه قاضيها وأعيان أهلها بالمقام، ومَنْع حمّاد عنها، (٢٥٨/٩) ففعل، ونازلهم حمّاد، وطلب كرامت ليجتمع به، فخرج إليه، فأعطاه مالاً، وأذن له في المسير إلى المعزّ، وقتل حمّاد من أهل أشير كثيراً حيث أشاروا على كرامت بحفظ البلد ومَنْع حمّاد منه، ووصل كرامت إلى المعزّ في المحرّم هذه السنة، فأكرمه وأحسن إليه .

وفي آخر ذي الحجّة سيّر الحاكم الخِلع من مصر إلى المعزّ، ولقّبه شرف الدولة، ولم يذكر ما كان منه إلى الشيعة من القتل والإحراق، وسار المعزّ إلى حمّاد لثمان بقين من صفر سنة ثمان وأربعمائة بالعساكر لمنعه عن البلاد، فإنه كان يحاصر باغاية وغيرها، فلما قاربه رحل عن باغاية، والتقوا آخر ربيع الأول، فاقتتلوا، فما كان إلاّ ساعة حتى انهزم حمّاد وأصحابه، ووضع أصحاب المعزّ فيهم السيف، وغنموا ما لهم من عُدَد ومال وغير ذلك، فنادى المعزّ : من أتى برأس فله أربعة دنانير ؛ فأُتي بشيء كثير، وأُسر إبراهيم أخو حمّاد، ونجا حمّاد وقد أصابته جراحة، وتفرّق عنه أصحابه، ورجع المعزّ، وورد رسول من حمّاد إليه يعتذر، ويقرّ بالخطأ، ويسأل العفو، فأجابه المعزّ : إن كنتَ على ما قلته فأرسل ولدك القائد إلينا .

واستعمل المعزّ على جميع العرب المجاورة لإبراهيم عمّه كرامت، فعاد جواب حمّاد أنه إذا وصله كتاب أخيه إبراهيم بالعلامات التي بينهم، أنه قد أخذ له عهد المعزّ، بعث ولده القائد، أوحضر هو بنفسه . فحضر إبراهيم وأخذ العهود على المعزّ وأرسل إليه يعرّفه ذلك ويشكر المعزّ على إحسانه إليه، ووصل المعزّ إلى قصره آخر جمادى الأولى، ولما وصل أطلق عمه إبراهيم، وخلع عليه، وأعطاه الأموال والدوّاب وجميع ما يحتاج إليه، فلما سمع (٢٥٩/٩) حمّاد ذلك أرسل ولده القائد إلى المعزّ، وكان وصوله للنصف من شعبان، فأكرمه وأعطاه شيئاً كثيراً، وأقطعه المَسيلة وطُبْنَة وغيرهما، وعاد إلى أبيه في شهر رمضان، ورضي الصلح، وحَلف عليه، واستقرّت الأمور بينهما، وتصاهرا، وزوّج المعزّ أخته بعبد اللّه بن حمّاد، فازدادوا اتّفاقاً وأمناً .

وكان بإفريقية والغرب غلاء بسبب الجراد، واختلاف الملوك، ولما استقرّ الصلح والاتّفاق سيّر المعزّ الجيوش إلى القبائل من

البربر وغيرهم، فإن الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف، كثيرة، والدماء مسفوكة، فلما رأوا عساكر السلطان رجعوا إلى السكون وترك الحرب، ومن أبى قوتل، فقُتل المفسدون، وأُصلح ما بين القبائل .

ووصل من جزيرة الأندلس زاوي بن زيري بن مناد، عمّ أبي المعزّ، وأهله وولده وحشمه، وكان قد أقام بالأندلس مدّة طويلة، وقد ذكرنا سبب دخوله الأندلس، وملك بالأندلس غرناطة وقاس حروب كثيرة، ووصل معه من الأموال والعدد والجواهر شيء كثير لايُحدّ، فأكرمهم المعزّ، وحمل لهم شيئاً عظيماً وإقامات زائدة، وأقاموا عنده .

كان ينبغي أن يُكتب وفاة باديس وما بعده سنة سبع وأربعمائة، وإنما أتبعنا بعض أخبارهم بعضاً .(٩/٢٦٠)

ذكر غزوة محمود إلى الهند

في هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته، فضلّ أدلاّؤه الطريق، ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر، فغرق كثير ممن معه، وخاض الماء بنفسه أياماً حتّى تخلّص وعاد إلى خراسان.

ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

وفيها قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب، وقُتل سلخ ربيع الأوّل، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وأحد عشر شهراً، وكان نظره بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثني عشر يوماً، وكان كافياً، حسن الولاية والآثار، ووُجد له ألف ألف دينار عيناً سوى ما نُهب، وسوى الأعراض، وكان قبضه بالأهواز، ولما مات نُقل إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام، فدُفن هناك.

قيل: كان ابن علمكار، وهو من كبار قوّاده، قد قتل إنساناً ببغداد، فكانت زوجته تكتب إلى فخر الملك أبي غالب تتظلّم منه ولا يلتفت إليها،(٩/٢٦١)فلقيته يوماً، وقالت له: تلك الرقاع التي كنت أكتبها إليك صرتُ أكتبها إلى اللّه تعالى. فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قُبض هو وابن علمكار، فقال له فخر الملك: قد برز جواب رقاع تلك المرأة. ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمّد الحسن بن سهلان، فلُقّب عميد أصحاب الجيوش، وكان مولده برامَهُرمز في شعبان سنة إحدى وستّين وثلاثمائة.

ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر

في هذه السنة أطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر، واستحلفه على الطاعة له، واجتمع معه طوائف فقوي بهم، وحارب أبو الشوك فهزمه، وقُتل سعدي أخو أبي الشوك، ثم انهزم أبو الشوك منه مرةً ثانية، ومضى منهزماً إلى حلوان، وبذل له الحسن بن مَزْيد الأسديّ المعاونة، فلم يكن فيه معاودة للحرب.

وأقام طاهر بالنّهروان، وصالَحَ أبا الشوك، وتزوّج أخته، فلمّا أمنه طاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله بثأر أخيه سعدي، وحمله أصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن.

ذكر عدّة حوادث

فيها توفي الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن، صاحب الديوان المشهور، وشهد جنازته الناس(٩/٢٦٢)كافّة، ولم يشهدها أخوه لأنّه لم يستطع أن ينظر إلى جنازته، فأقام بالمشهد إلى أن أعاده الوزير فخر الملك إلى داره، ورثاه كثير من الشعراء منهم أخوه المرتضى، فقال:

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ... وودتها ذهبت عليّ براسي
ما زلت آبى وردها، حتى أتت ... فحسَوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً، فلمّا صمّمت ... لم يثنها مطلي، وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عَبرة ... فالدمع خير مساعد ومؤاس
واهاً لعمرك من قصير طاهر ... واربّ عُمر طال بالأرجاس

وفيها توفّي أبو طالب أحمد بن بكر العبديّ النحويّ، مصنّف شرح الإيضاح ؛ وأبو أحمد عبد السلام بن أبي مسلم الفرضيّ، والإمام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني إمام أصحاب الشافعيّ، وكان يحضر دراسته أربعمائة متفقّه، وكان يدرّس بمسجد عبد اللّه بن المبارك بقطيعة الفقهاء، وكان عمره إحدى وستين سنة وأشهراً .

وفيها توفّي أبو جعفر أستاذ هُرمُز بن الحسن، والد عميد الجيوش، بشيراز، وكان عمره مائة وخمس سنين ؛ وتوفّي شهاب الدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقرن، وله شعر حسن، منه : (٩/٢٦٣)

وما زلتُ أبكي في الديار تأسّفاً ... لبَينِ خليلٍ، أوفراقِ حبيبِ
فلما عرفتُ الرُّبعَ لاشكَّ أنّه ... هوالرُّبعُ فاضتْ مقلتي بغُروبِ
وجرّبتُ دهري ناسياً، فوجدتُه ... أخا غِيَرٍ لاتنقضي وخطوبِ
وعاشرتُ أبناء الزمان، فلم أجِدْ ... من الناس خِدناً حافظاً لمَغيبِ
ولم يبقَ منهم حافظٌ لذِمامِهِ ... ولا ناصرٌ يُرعَى جِوارَ قريبِ

وفيها توفّي الشار أبو نصر، الذي كان صاحب غَرشِسْتان من خراسان، في قبض يمين الدولة، وقد ذكرنا سبب ذلك .

وفيها، في صفر، قُلّد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو

الرضي نقابة العلويّين، والحجّ، والمظالم، بعد موت أخيه الرضي .

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وبين أهل باب الشعير، ونهبوا القلائين، فأنكر فخر الملك على أهل الكرخ، ومُنعوا من النوح يوم عاشوراء، ومن تعليق المُسُوح .

وفيها وقع بالبصرة وما جاورها وباء شديد عجز [معه] الحفّارون عن حفر القبور .

وفيها، في حزيران، جاء مطر شديد في بلاد العراق وكثيراً من البلاد.(٢٦٤/٩)

سنة سبع وأربعمائة

ذكر قتل خُوارزمشاه وملك يمين الدولة خُوارزم وتسليمها إلى التونتاش

في هذه السنة قُتل خُوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون وملك يمين الدولة خُوارزم .

وسبب ذلك أن أبا العباس كان قد ملك خُوارزم والجُرجانيّة، كما ذكرناه، وخطب إلى يمين الدولة، فزوّجه أخته . ثم إن يمين الدولة أرسل إليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده، فأجابه إلى ذلك، وأحضر أمراء دولته واستشارهم في ذلك، فأظهروا الامتناع، ونهوه عنه، وتهدّدوه بالقتل إن فعله، فعاد الرسول وحكى ليمين الدولة ما شاهده .

ثم إن الأمراء خافوه حيث ردّوا أمره، فقتلوه غيلة، ولم يُعلم قاتلُه، وأجلسوا مكانه أحد أولاده، وعلموا أن يمين الدولة يسوءه ذلك، وربما طالبهم بثأره، فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته .

واتّصل الخبر بيمين الدولة، فجمع العساكر وسار نحوهم، فلما قاربهم (٢٦٥/٩)جمعهم صاحب جيشهم، ويُعرف بالبتكين البخاريّ، وأمرهم بالخروج إلى لقاء مقدّمة يمين الدولة والإيقاع بمن فيها من الأجناد، فساروا معه وقاتلوا مقدّمة يمين الدولة، واشتدّ القتال بينهم.

واتّصل الخبر بيمين الدولة، فتقدّم نحوهم في سائر جيوشه، فلحقهم وهم في الحرب، فثبت الخوارزمية إلى أن انتصف النهار، وأحسنوا القتال، ثم إنّهم انهزموا، وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون، ولم يسلم إلاّ القليل.

ثم إنّ البتكين ركب سفينة لينجو فيها، فجرى بينه وبين من معه منافرة، فقاموا عليه وأوثقوه، وردّوا السفينة إلى ناحية يمين الدولة، وسلّموه إليه، فأخذه وسائر القوّاد المأسورين معه، وصلبهم عند قبر أبي العبّاس خُوارزمشاه، وأخذ الباقين من الأسْرى فسيّرهم إلى غزنة فوجاً بعد فوج، فلمّا اجتمعوا بها أفرج عنهم، وأجرى لهم الأرزاق، وسيّرهم إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء، ويحفظونها من أهل الفساد، وأخذ خُوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش.

ذكر غزوة قشمير وقنّوج وغيرهما

في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند، بعد فراغه من خُوارزم، فسار منها إلى غزنة ومنها إلى الهند عازماً على غزو قشمير، إذ كان قد استولى(٢٦٦/٩)على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير؛ وأتاه من المتطوّعة نحو عشرين ألف مقاتل من ما وراء النهر، وغيره من البلاد، وسار إلى غزنة ثلاثة أشهر سيْراً دائماً، وعبر نهر سيحون، وجيلوم، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذْل الإتاوة.

فلمّا بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده، وسار بين يديه إلى مقصده، فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة، حتّى بلغ حصن هودب، وهو آخر ملوك الهند، فنظر هودب من أعلى حصنه، فرأى من العساكر ما هاله ورعبه، وعلم أنه لا ينجيه إلاّ الإسلام، فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص، طلباً للخلاص، فقبله يمين الدولة، وسار عنه إلى قلعة كلجند، وهو من أعيان الهند وشياطينهم، وكان على طريقه غياض ملتفّة لايقدر السالك على قطعها إلاّ بمشقّة، فسيّر كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلكوها، فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم، وسلك طريقاً مختصرة إلى الحصن، فلم يشعروا به إلاّ وهو معهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، فلم يطيقوا الصبر على حدّ السيوف، فانهزموا، وأخذهم السيف من خلفهم، ولقوا نهراً عميقاً بين أيديهم، فاقتحموه، فغرق أكثرهم وكان القتلى والغرقى قريباً من خمسين ألفاً، وعمد كلجند إلى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه.

ثم سار نحو بيت متعبّد لهم، وهو مهرة الهند، وهو من أحصن الأبنية على نهر، ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر المرصّع(٢٦٧/٩)بالجواهر، وكان فيها من الذهب ستّمائة ألف وتسعون ألفاً وثلاثمائة مثقال، وكان بها من الأصنام المصوغة من النقرة نحو مائتَيْ صنم، فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه، وأحرق الباقي، وسار نحو قنّوج، وصاحبها راجيال، فوصل إليها في شعبان، فرأى صاحبها قد فارقها، وعبر الماء المسمّى كنك، وهو ماء شريف عندهم يرون أنّه من الجنّة، وأنّ من غرّق نفسه فيه طهر من الآثام، فأخذها يمين الدولة، وأخذ قلاعها وأعمالها، وهي سبع على الماء المذكور، وفيها قريب من عشر

آلاف بيت صنم، يذكرون أنها عُملت من مائتيْ ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف كذباً منهم وزوراً، ولما فتحها أباحها عسكره.

ثم سار إلى قلعة البراهمة، فقاتلوه وثبتوا، فلمّا عضّهم السلاح علموا أنه لا طاقة لهم، فاستسلموا للسيف فقُتلوا، و لم ينجُ منهم إلاّ شريد.

ثم سار إلى قلعة آسي، وصاحبها جند بال، فلمّا قاربها هرب جندبال، وأخذ يمين الدولة حصنه وما فيه، ثم سار إلى قلعة شروة، وصاحبها جندرآي، فلمّا قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها، وعمي خبره فلم يُدْرَ أين هو، فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه، وسار في طلب جندرآي جريدة، وقد بلغه خبره، فلحق به في آخر شعبان، فقاتله، فقتل أكثر جند جندرآي، وأسر كثيراً منهم، وغنم ما معه من مالٍ وفيل، وهرب جندرآي في نفر من أصحابه فنجا.

وكان السبي في هذه الغزوة كثيراً حتّى إنّ أحدهم كان يُباع بأقل من (٢٦٨/٩) عشرة دراهم، ثم عاد إلى غزنة ظافراً؛ ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة، فبُني بناء لم يُسمع بمثله، ووسّع فيه، وكان جامعها القديم صغيراً، وأنفق ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه.

ذكر حال ابن فولاذ

في هذه السنة عظمت شوكة ابن فولاذ وكبر شأنه.

وكان ابتداء أمره أنّه كان وضيعاً، فنجم في دولة بني بويه، وعلا صيته، وارتفع قدره، واجتمع إليه الرجال، فلمّا كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له ولمن معه من الرجال، فلم يفعلا، واعتذرا إليه، فقصد أطراف ولاية الريّ، وأظهر العصيان، وجعل يفسد ويغير، ويقطع السبيل، وملك ما يليه من القُرى، فعجزا عنه، فاستعانا بأصبهبذ المقيم بفريَم، فأتاهما في رجال الجيل، وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدّة حروب، وجُرح ابن فولاذ، وولّى منهزماً حتّى بلغ الدامغان، فأقام حتّى عاد أصحابه إليه ورجع أصبهبذ إلى بلاده.

وكتب ابن فولاذ إلى منوجهر بن قابوس يطلب أن يُنفذ له عسكراً ليملك البلاد، ويقيم له الخطبة فيها، ويحمل إليه المال، فأنفذ له ألفيْ رجل، فسار بهم حتّى نزل بظاهر الريّ وأعاد الإغارة، ومنع الميرة عنها، فضاقت(٢٦٩/٩)الأقوات بها، فاضطّر مجد الدولة ووالدته إلى مداراته، وإعطائه ما يلتمسه، فاستقرّ بينهم أن يسلّما إليه مدينة أصبهان، فسار إليها، وأعاد عسكر منوجهر إليه، وزال الفساد، وعاد إلى طاعة مجد الدولة.

ذكر ابتداء الدولة العلوية بالأندلس وقتل سليمان

وفي هذه السنة وليَ الأندلس عليّ بن حمّود بن أبي العيش بن ميمون بن أحمد بن عليّ بن عبد اللّه بن إدريس بن إدريس بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، وقيل في نسبه غير ذلك مع اتّفاق على صحّة نسبه إلى أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام.

وكان سبب ذلك أنّ الفتى خَيران العامريّ لم يكن راضياً بولاية سليمان بن الحاكم الأمويّ لأنّه كان من أصحاب المؤيّد على ما ذكرناه قبلُ، فلمّا ملك سليمان قُرطُبة انهزم خَيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريّين، فتبعهم البربر وواقعهم، فاشتدّ القتال بينهم، وجُرح خَيران عدّة جراحات، وتُرك على أنّه ميّت، فلمّا فارقوه قام يمشي، فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه فبرأ، وأعطاه مالاً، وخرج منها سرّاً إلى شرق الأندلس، فكثر جمعه، وقويت نفسه، وقاتل من هناك من البربر، وملك المرية، واجتمع له الأجناد، وأزال البربر عن البلاد المجاورة له، فغلظ أمره وعظم شأنه.

وكان عليّ بن حمّود بمدينة سَبتة، بينه وبين الأندلس عدوة المجاز مالكاً(٢٧٠/٩)لها، وكان أخوه القاسم بن حمّود بالجزيرة الخضراء مستولياً عليها، وبينهما المجاز، وسبب ملكهما أنّهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحاكم، فقوّدهما على المغاربة، ثم ولاّهما هذه البلاد، وكام خيران يميل إلى دولة المؤيّد، ويرغب فيها، ويخطب له على منابر بلاده التي استولى عليها لأنّه كان يظنّ حياته حيث فُقد من القصر، فحدث لعليّ بن حمّود طمع في ملك الأندلس لِما رأى من الاختلاف، فكتب إلى خيران يذكر له أنّ المؤيّد كان كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره إن هو قُتل، فدعا لعليّ بن حمّود بولاية العهد.

وكان خيران يكاتب الناس، ويأمرهم بالخروج على سليمان. فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيّد، وهو بمالقة،وكاتبوا عليّ بن حمّود، وهو بسبتة، ليعبر إليهم ليقوموا معه ويسيروا إلى قرطبة، فعبر إلى مالقة في سنة خمس وأربعمائة، فخرج عنها عامر بن فتوح، وسلّمها إليه، ودعا له بولاية العهد، وسار خيران ومن أجابه إليه، فاجتمعوا بالمنكّب، وهي ما بين المريّة ومالقة، سنة ستّ وأربعمائة، وقرّروا ما يفعلونه، وعادوا يتجهّزون لقصد قرطُبة، فتجهّزوا وجمعوا من وافقهم، وساروا إلى قُرطُبة، وبايعوا عليّاً على طاعة المؤسّد الأمويّ.

فلمّا بلغوا غرناطة وافقهم أميرها، وسار معهم إلى قُرطُبة، فخرج سليمان والبربر إليهم، فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قُرطُبة، ونشب القتال بينهم، فانهزم سليمان والبربر، وقُتل منهم

خلقٌ كثير، وأُخذ سليمان أسيراً، فحُمل إلى عليّ بن حمّود ومعه أخوه، وأبوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ودخل عليٌّ بن حمّود قرطبة في المحرّم سنة سبع[وأربعمائة](٢٧١/٩)ودخل خيران وغيره إلى القصر طمعاً في أن يجدوا المؤيّد حيّاً، فلم يجدوه، ورأوا شخصاً مدفوناً فنبشوه، وجمعوا له الناس، وأحضروا بعض فتيانه الذين ربّاهم وعرضوه عليه، ففتّشه، وفتّش أسنانه لأنّه كان له سنّ سوداء كان يعرفها ذلك الفتى، فأجمع هو وغيره على أنّه المؤيّد خوفاً على أنفسهم من عليّ، فأخبروا خيران أنه المؤيّد، وكان ذلك الفتى يعلم أن المؤيّد حيّ، فأخذ عليٌّ بن حمّود سليمان وقتله سابع المحرّم سنة سبع[وأربعمائة]، وقتل أباه وأخاه.

ولمّا حضر أبوه بين يدي عليّ بن حمّود قال له: يا شيخ قتلتم المؤيّد؛ فقال: واللّه ما قتلناه، وإنّه لحيّ؛ فحينئذ أسرع في قتله، وكان شيخاً صالحاً منقبضاً لم يتدنّس بشيء من أحوال ابنه. واستولى عليّ بن حمّود على قُرطُبة، ودعا الناس إلى بيعته، فبويع، واجتمع له الملك، ولُقّب المتوكّل على اللّه.

ثم إنّ خيران أظهر الخلاف عليه لأشياء منها أنّه كان طامعاً أن يجد المؤيّد فلم يجده، ومنها أنّه نُقل إليه أنّ علياً يريد قتله فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه.

ذكر ظهور عبد الرحمن الأمويّ

لمّا خالف خيران علياً أرسل يسأل عن بني أميّة، فدُلّ على عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأمويّ، وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً، ونزل بجيّان، وكان أصلح من بقي من بني أميّة، فبايعه خيران وغيره، ولقّبوه المرتضى، وراسل خيران منذرَ بن يحيى التُّجيبيّ أمير سَرَقُسْطَة والثغر الأعلى، وراسل أهل شاطِبة، وبَلَنْسية، وطَرطُوشة،(٢٧٢/٩)والبُنت، فأجابوا كلّهم بيعته، والخلاف على عليّ بن حمّود، فاتّفق عليه أكثر الأندلس، واجتمعوا بموضع يُعرف بالرياحين في الأضحى سنة ثمان وأربعمائة، ومعهم الفقهاء، والشيوخ، وجعلوا الخلافة شُورى، وأصفقوا على بيعته، وساروا معه إلى صنهاجة والنزول على غرناطة.

وأقبل المرتضى على أهل بَلَنْسية، وشَاطبة، وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التُّجيبيّ، ولخيران، ولم يُقبل عليهما، فندما على ما كان منهما، وسار حتّى وصل إلى غَرناطة، فوصل إليها، ونزل عليها، وقاتلوها أيّاماً قتالاً شديداً، فغلبهم أهل غَرناطة، وأميرهم زاوي بن زيري الصنهاجيّ، وانهزم المرتضى وعسكره، واتّبعتهم صنهاجة يقتلون ويأسرون، وقُتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة، وهو أصغر من أخيه هشام، وسار أخوه هشام إلى البُنت، وأقام بها إلى أن خوطب بالخلافة، ولم يزل عليّ بن حمّود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران والعامريّين مرّة أخرى.

ذكر قتل عليّ بن حمّود العلويّ

فلمّا كان ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة تجهّز عليّ بن حمّود للمسير إلى جيّان لقتال من بها من عسكر خيران، فلمّا كان الثامن والعشرون منه برزت العساكر إلى ظاهر قرطبة بالبنود والطُّبول ووقفوا ينتظرون خروجه،(٢٧٣/٩)فدخل الحمام ومعه غلمانه، فقتلوه، فلمّا طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره، فدخلوا عليه، فرأوه مقتولاً، فعاد العسكر إلى البلد.

وكان لقبه المتوكّل على اللّه، وقيل الناصر لدين اللّه، وكان أسمر، أعين، أكحل، خفيف الجسم، طويل القامة، حازماً، عازماً، عادلاً، حسن السيرة، وكان قد عزم على أن يعيد إلى أهل قرطبة أموالهم التي أخذها البربر، فلم تطُلْ أيّامه، وكان يحبّ المديح، ويجزل العطاء عليه.

ثم وليَ بعده أخوه القاسم، وهو أكبر من عليّ بعدّة أعوام، وكان عمر عليّ ثمانياً وأربعين سنة، بنوه يحيى، وإدريس، وأمّه قُرشيّة، وكنيته أبو الحسن، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر.

ذكر ولاية القاسم بن حمّود العلويّ بقرطبة

قد ذكرنا قتل أخيه عليّ بن حمّود سنة سبع وأربعمائة، فلما قُتل بايع الناس أخاه القاسم، ولقّب المأمون، فلمّا وُلّيَ، واستقرّ ملكه، كاتب العامريّين واستمالهم، وأقطع زهيراً جيّان، وقلعة رباح، وبيّاسة، وكاتب خيرانَ واستعطفه، فلجأ إليه واجتمع به، ثم عاد عنه إلى المريّة، وبقي القاسم مالكاً لقرطبة وغيرها إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.(٢٧٤/٩)وكان وادعاً، ليّناً، يحبّ العافية، فأمن الناس معه، وكان يتشيّع إلاّ أنّه لم يُظهر شيئاً من ذلك، فسار عن قرطبة إلى إشبيلية، فخالفه يحيى ابن أخيه فيها.

ذكر دولة يحيى بن عليّ بن حمّود وما كان منه ومن عمّه

لمّا سار ابن أخيه يحيى بن عليّ من مالقةإلى قرطبة، فدخلها بغير مانع، فلمّا تمكّن بقرطبة دعا الناس إلى بيعته، فأجابوه، فكانت البيعة مستهلّ جمادى الأولى من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، ولُقّب بالمعتلي، وبقي بقُرطُبة يُدعَى له بالخلافة، وعمّه القاسم بإشبيلية يُدعى له بالخلافة إلى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. فسار يحيى عن قُرطُبة إلى مالقة.

ووصل الخبر إلى عمّه فركب وجدّ في السّير ليلاً ونهاراً إلى أن وصل إلى قرطبة فدخلها ثامن عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة[وأربعمائة]، وكان، مدّة بقائه بإشبيلية، قد استمال العساكر من البربر فقوي بهم، وبقي القاسم بقُرطُبة شهوراً، ثم اضطرب أمره

بها، وسار ابن أخيه يحيى بن عليّ إلى الجزيرة الخضراء، وغلب عليها، وبها أهل عمّه وماله، وغلب أخوه إدريس بن عليّ، صاحب سَبتة، على طَنجة، وهي كانت عُدّة القاسم التي يلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس، فلمّا ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس، وتسلّط البربر على قُرطُبة فأخذوا أموالهم، فاجتمع أهلها وبرزوا إلى قتاله عاشر جمادى الأولى سنة(٢٧٥/٩)أربع عشرة[وأربعمائة]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم سكنت الحرب، وأمّن بعضهم بعضاً إلى منتصف جمادى الأولى من السنة، والقاسم بالقصر يُظهر التودّد لأهل قُرطُبة، وأنّه معهم، وباطنه مع البربر.

فلمّا كان يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة صلّى الناس الجمعة، فلمّا فرغوا تنادوا: السّلاح! السّلاح! فاجتمعوا ولبسوا السلاح، وحفظوا البلد، ودخلوا قصرالإمارة، فخرج عنها القاسم، واجتمع معه البربر، وقاتلوا أهل البلد وضيّقوا عليهم، وكانوا أكثر من أهله، فبقوا كذلك نيّفاً وخمسين يوماً والقتال متّصل، فخاف أهل قُرطُبة، وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمّنهم على أنفسهم وأهليهم، فأبوا إلاّ أن يقتلوهم، فصبروا حينئذ على القتال، وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان، وقاتلوهم قتال مستقتل، فنصرهم اللّه على البربر، ﴿ومن يعاقب بمثل ما عوقب به ثمّ بُغي عليه لينصرنّه اللّه﴾، [الحج:٦٠]، وانهزم البربر هزيمة عظيمة، ولحق كلّ طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه.

وأمّا القاسم بن حمّود فإنّه سار إلى إشبيلية، وكتب إلى أهلها في إخلاء ألف دار ليسكنها البربر، فعظم ذلك عليهم، وكان بها ابنا محمّد والحسن، فثار بهما أهلها، فأخرجوهما عنهم ومن معهما، وضبطوا البلد، وقدّموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم وكبرائهم وهم: القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل ابن عبّاد اللخمي، ومحمّد بن يريم الألهانيّ، ومحمّد بن محمّد بن الحسن الزبيديّ، وكانوا يدبّرون أمر البلد والناس.

ثم اجتمع ابن يريم والزبيديّ، وسألوا ابن عبّاد أن ينفرد بتدبير أمورهم،(٢٧٦/٩)فامتنع وألحّوا عليه، فلمّا خاف إلى البلد بامتناعه أجابهم إلى ذلك، وانفرد بالتدبير وحفظ البلد.

فلمّا رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد، ثم إنّه نزل بشريش، فزحف إليه يحيى ابن أخيه عليّ، ومعه جمع من البربر، فحصروه ثم أخذوه أسيراً، فحبسه يحيى، فبقي في حبسه إلى أن توفّي يحيى، وملك أخوه إدريس، فلمّا ملك قتله، وقيل: بل مات حتف أنفه، وحُمل إلى ابنه محمّد، وهو بالجزيرة الخضراء، فدفنه.

وكانت مدّة ولاية القاسم بقرطبة، مذ تسمّى بالخلافة إلى أن أسره ابن أخيه، ستّة أعوام، وبقي محبوساً ستّ عشرة سنة إلى أن قُتل سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وكان له ثمانون سنة، وله من الولد محمّد والحسن، أمّهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بفتّون بن إبراهيم بن محمّد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، وكان أسمر، أعين، أكحل، مصفرّ اللون، طويلاً، خفيف العارضين.

ذكر عود بني أميّة إلى قُرطُبة وولاية المستظهر

لمّا انهزم البربر والقاسم بن عليّ من أهل قُرطُبة، على ما ذكرناه، اتّفق رأي أهل قرطبة على ردّ بني أميّة، فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن الناصر الأمويّ، فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة، وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة، وتلقّب بالمستظهر باللّه، فكانت ولايته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً وقُتل.

وكان سبب قتله أنّه أخذ جماعة من أعيان قُرطُبة فسجنهم لميلهم إلى (٢٧٧/٩)سليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وأخذ أموالهم، فسعوا عليه من السجن، وألّبوا الناس، فأجابهم صاحب الشُّرطة وغيره، واجتمعوا وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه.

وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمّد بن عبد الرحمن الأمويّ في جماعة كثيرة، فظفروا بالمستظهر، فقتلوه في ذي القعدة، ولم يعقب، وكنيته أبو المطرّف، وأمّه أم ولد، وكان أبيض أشقر، أعين، شثن الكفّين، رحب الصدر، وكان أديباً خطيباً، بليغاً، رقيق الطبع، له شعر جيّد. وكان وزيره أبا محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم، وكان سليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيّام.

ذكر ولاية محمّد بن عبد الرحمن

لمّا قُتل المستظهر بايع الناس بقُرطُبة محمّد بن عبد الرحمن بن عبيد اللّه ابن الناصر، وخطبوا له بالخلافة، ولقّبوه المستكفي باللّه، وهمّه لا يعدو فرجه وبطنه، وليس له همّ ولا فكر في سواهما، وبقي بها ستّة عشر شهراً وأيّاماً، وثار عليه أهل قُرطُبة في ربيع الأوّل سنة ستّ عشرة وأربعمائة، فخلعوه وخرج عن قُرطُبة ومعه جماعة من أصحابه، حتّى صار إلى أعمال مدينة سالم، فضجر منه بعض أصحابه، فشوى له دجاجة، وعمل فيها شيئاً من البيش،(٢٧٨/٩)فأكلها فمات في ربيع الآخر من هذه السنة.

وكان في غاية التخلّف، وله أخبار يقبح ذكرها، وكان رَبْعَةً، أشقر، أزرق، مدوّر الوجه، ضخم الجسم، وكان عمره نحو خمسين سنة. ولمّا توفّي أعاد أهل قُرطُبة دعوة المعتلي باللّه يحيى بن عليّ بن حمّود العلويّ بها.

ذكر عود يحيى العلويّ إلى قُرطُبة وقتله

لما مات أبو عبد الرحمن الأمويُّ،وصحّ عند أهل قُرطُبة خبر موته،سعى معهم بعض أهلها ليحيى بن عليّ بن حمّود العلويّ ليُعيدوه إلى الخلافة،وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة، فكتبوا إليه وخاطبوه بالخلافة،وخطبوا له في رمضان سنة ستّ وأربعمائة،فأجابهم إلى ذلك، وأرسل إليهم عبد الرحمن بن عطّاف اليفرني والياً عليهم،ولم يحضر هو باختياره، فبقي عبد الرحمن فيها إلى محرّم سنة سبع عشرة، فسار إليه مجاهد وخيران العامريّان، في ربيع الأوّل منها، في جيش كثير، فلمّا قاربوا قُرطُبة ثار أهلها بعبد الرحمن فأخرجوه، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة، ونجا الباقون.

وأقام خيران ومجاهد بها نحو شهر، ثم اختلفا، فخاف كل واحد منهما صاحبه، فعاد خيران عن قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة المريّة، وبقي بها إلى سنة ثمان عشرة وتوفّي، وقيل سنة تسع عشرة، وصارت المريّة بعده لصاحبه زهير العامريّ، فخالف حبّوس بن ماكسن الصنهاجيّ البربريّ(٢٧٩/٩)وأخوه على طاعة يحيى بن عليّ العلويّ، وبقي مجاهد مدّةً ثم سار إلى دانية، وقطعت خطبة يحيى منها، وأُعيدت خطبة الأمويّين، على ما نذكره في ما بعد إن شاء اللّه، وبقي يتردّد عليها بالعساكر، واتّفق البربر على طاعته، وسلّموا إليه ما بأيديهم من الحصون والمدن، فقوي وعظم شأنه وبقي كذلك مدّة.

ثم سار إلى قرمونة، فأقام بها محصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها، فأتاه الخبر يوماً أنّ خيلاً لأهل إشبيلية قد أخرجها القاضي أبو القاسم بن عبّاس إلى نواحي قرمونة، فركب إليهم ولقيهم وقد كمنوا له، فلم يكن بأسرع من أن قتل، وذلك في المحرّم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وخلّف من الولد الحسن وإدريس لأمّيْ ولد، وكان أسمر، أعين، أكحل، طويل الظهر، قصير الساقين، وقوراً، هيّناً، ليّناً، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وأمّه بربرية.

ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمّار

نذكر ها هنا ما كان من أخبار أولاده، وأولاد أخيه، وغيرهم من العلويين متتابعاً، لئلاّ ينقطع الكلام، وليأخذ بعضه ببعض.

لمّا قتل يحيى بن عليّ رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف بابن بقيّة، ونجا الخادم الصقلبيّ وهما مدبّرا دولة العلويين، فأتيا مالقة، وهي دار(٢٨٠/٩)مملكتهم، فخاطبا أخاه إدريس بن عليّ، وكان له سَبْتة وطنجة، وطلباه فأتى إلى مالقة، وبايعاه بالخلافة على أن يجعل حسن بن يحيى المقتول مكانه بسبتة، فأجابهما إلى ذلك، فبايعاه، وسار حسن بن يحيى ونجا إلى سبتة وطنجة، وتلقّب إدريس بالمتأيّد باللّه، فبقي كذلك إلى سنة ثلاثين، أو إحدى وثلاثين وأربعمائة.

فسيّر القاضي أبو القاسم بن عبّاد ولده إسماعيل في عسكر ليتغلّب على تلك البلاد، فأخذ قرمونة، وأخذ أيضاً اشبونة، واستجة، فأرسل صاحبها إلى إدريس وإلى باديس بن حبّوس، صاحب صنهاجة، فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه، وأمدّه إدريس بعسكر يقوده ابن بقيّة مدبّر دولته، فلم يجسر على إسماعيل بن عبّاد، فعادوا عنه، فسار إسماعيل مجدّاً ليأخذ على صنهاجة الطريق، فأدركهم وقد فارقهم عسكر إدريس قبل ذلك بساعة، فأرسلت صنهاجة من ردّهم فعادوا، وقاتلوا إسماعيل بن عبّاد، فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه، فقُتل وحُمل رأسه إلى إدريس.

وكان إدريس قد أيقن بالهلاك، وانتقل عن مالقة إلى جبل يحتمي به وهو مريض، فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين، ومات وترك من الولد يحيى، ومحمّداً، وحسناً، وكان يحيى بن عليّ المقتول قد حبس ابنيْ عمّه محمّداً والحسن ابنيْ القاسم بن حمّود بالجزيرة، فلمّا مات إدريس أخرجهما الموكّل بهما، ودعا الناس إليهما، فبايعهما السودان خاصّة قبل الناس لميل أبيهما إليهم، فملك محمد الجزيرة، ولم يتّسم بالخلافة.

وأما الحسن بن القاسم فإنّه تنسّكَ وتركَ الدنيا وحجّ. وكان ابن بقيّة قد أقام يحيى بن إدريس بعد موت والده بمالقة، فسار إليها نجا الصّقلبيّ من سبتة(٢٨١/٩)هو والحسن بن يحيى، فهرب ابن بقيّة، ودخلها الحسن ونجا، فاستمالا ابن بقيّة حتّى حضر، فقتله الحسن، وقتل ابن عمّه يحيى بن إدريس، وبايعه الناس بالخلافة، ولُقّب بالمستنصر باللّه، ورجع نجا إلى سبتة، وترك مع الحسن المستنصر نائباً له يُعرف بالشطيفيّ، فبقي حسن كذلك نحواً من سنتيْن، ثم مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، فقيل إن زوجته ابنة عمّه إدريس سمّته أسفاً على أخيها يحيى، فلمّا مات المستنصر اعتقل الشطيفيّ إدريس بن يحيى، وسار نجا من سبتة إلى مالقة، وعزم على محو أمر العلويّين، وأن يضبط البلاد لنفسه، وأظهر البربر على ذلك، فعظم عندهم، فقتلوه، وقتلوا الشطيفيّة وأخرجوا إدريس بن يحيى، وبايعوه بالخلافة، وتسمّى بالعالي، وكان كثير الصدقة يتصدّق كلّ جمعة بخمس مائة دينار، وردّ كلّ مطرود عن وطنه، وأعاد عليهم أملاكهم.

وكان متأدّباً، حسن اللقاء، له شعر جيّد إلاّ أنّه كان يصحب الأرذال، ولا يحجب نساءه عنهم، وكل من طلب منهم حصناً من بلاده أعطاه، فأخذ منه صنهاجة عدّة حصون، وطلبوا وزيره ومدبّر أمره صاحب أبيه موسى بن عفّان يقتلوه، فسلّمه إليهم فقتلوه. وكان قد اعتقل ابنيْ عمّه محمّداً والحسن ابنيْ إدريس بن عليّ في حصن ايرش، فلما رأى ثقته بايرش اضطراب آرائه خالف عليه وبايع ابن عمّه محمد بن إدريس بن عليّ، وثار بإدريس بن يحيى من عنده من السودان، وطلبوا محمّداً فجاء إليهم فسلّم إليه إدريس الأمر، وبايع

له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فاعتقله محمّد، وتلقّب بالمهديّ، وولّى أخاه الحسن عهده، ولقّبه الساميّ.

وظهرت من المهديّ شجاعة وجرأة، فهابه البربر وخافوه، فراسلوا(٢٨٢/٩)الموكّل بإدريس بن يحيى، فأجابهم إلى إخراجه، وأخرجه وبايع له، وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة، وبقي إلى أن توفّي سنة ستّ وأربعين [وأربعمائة].

ثم إن المهدي رأى من أخيه الساميّ ما أنكره، فنفاه عنه، فسار إلى العدوة إلى جبال غمارة، وأهلها ينقادون للعلويين ويعظّمونهم، فبايعوه. ثم إن البربر خاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة، واجتمعوا إليه وبايعوه بالخلافة، وتسمّى بالمهديّ أيضاً، فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة، أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً، فرجعت البرابر عنه، وعاد إلى الجزيرة، فمات بعد أيام، فولّي الجزيرة ابنه القاسم، ولم يتّسم بالخلافة، وبقي محمد بن إدريس بمالقة إلى أن مات سنة خمس وأربعين [وأربعمائة]، وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني يفرن بتاكرنا، فلما توفي محمد بن إدريس بن عليّ قصد إدريس بن يحيى مالقة فملكها، ثم انتقلت إلى صنهاجة.

ذكر ولاية هشام الأمويّ قرطبة

لما قطعت دعوة يحيى بن عليّ العلويّ عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة، على ما ذكرناه قبل، أجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم إلى البربر، وإعادة الخلافة بالأندلس إلى بني أميّة، وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جَهْوَر بن محمد بن جَهْوَر، فراسلوا أهل الثغور والمتغلّبين هناك في هذا، فاتّفقوا معهم، فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي، وكان مقيماً بالبُنت مذ قُتل أخوه المرتضى، فبايعوه في ربيع الأول سنة ثماني (٢٨٣/٩) عشرة، وتلقّب بالمعتدّ بالله، وكان أسنّ من المرتضى، ونهض إلى الثغور فتردّد فيها، وجرى له هناك فتن واضطراب شديد من الرؤساء إلى أن اتّفق أمرهم على أن يسير إلى قرطبة دار الملك، فسار إليها ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين [وأربعمائة] وبقي بها حتّى خُلع ثاني ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين.

وكان سبب خلعه أن وزيره أبا عاصم سعيداً القزّاز لم يكن له قديم رئاسة، وكان يخالف الوزراء المتقدّمين، ويتسبّب إلى أخذ أموال التجّار وغيرهم، وكان يصل البربر، ويحسن إليهم ويقرّبهم فنفر عنه أهل قرطبة، فوضعوا عليه من قتله، فلمّا قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه. فلما خلع هشام قام أميّة بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، وتسوّر القصر مع جماعة من الأحداث، ودعا إلى نفسه، فبايعه من سواد الناس كثير، فقال له بعض أهل قرطبة: نخشى عليك أن تُقتل في هذه الفتنة، فإن السعادة قد ولّت عنكم؛ فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غداً. فأنفذ أهل قرطبة وأعيانهم إليه وإلى المعتدّ بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة، فودّع المعتد أهله وخرج إلى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة، فبقي معه إلى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور فقتلوه وأخرجوا المعتدّ إلى حصن آخر حبسوه فيه، فاحتال في الخروج منه ليلاً وسار إلى سليمان بن هود الجذاميّ، فأكرمه وبقي عنده إلى أن مات في صفر سنة ثمان وعشرين[وأربعمائة]، ودفن بناحية لاردة، وهو(٢٨٤/٩)آخر ملوك بني أميّة بالأندلس.

وأما أمية فإنه اختفى بقرطبة، فنادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض أن لا يبقى أحد من بني أميّة بها، ولا يتركهم عنده أحد، فخرج أميّة فيمن خرج، وانقطع خبره مدّة، ثم أراد العود إليها، فعاد طمعاً في أن يسكنها، فأرسل إليه شيوخ قرطبة من منعه عنها، وقيل قُتل وغُيّب، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين[وأربعمائة]، ثم انحلّ عقد الجماعة وانتشر وافترقت البلاد، على ما نذكره.

ذكر تفرّق ممالك الأندلس

ثم إنّ الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء، فتغلّب كل إنسان على شيء منه، فصاروا مثل ملوك الطوائف، وكان ذلك أضرّ شيء على المسلمين فطمع بسببه العدوّ الكافر، خذله الله فيهم، ولم يكن لهم اجتماع إلى أن ملكه أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين، على ما نذكره إن شاء الله.

فأما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، المقدّم ذكره، وكان من وزراء الدولة العامريّة، قديم الرئاسة، موصوفاً بالدهاء والعقل، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها. فلما خلا له الجوّ، وأمكنته الفرصة، وثب عليها فتولّى أمرها وقام بحمايتها، ولم يتنقّل إلى رتبة الإمارة ظاهراً، بل دبّرها تدبيراً لم يُسبق إليه، وأظهر أنه حامٍ للبلد إلى أن يجيء من يستحقّه، ويتّفق عليه الناس، فيسلّمه إليه. ورتّب (٢٨٥/٩)البوّابين والحشم على أبواب قصور الإمارة، ولم يتحوّل هو عن داره إليها، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانيّة بأيدي رجال رتّبهم لذلك، وهو المشرف عليهم، وصيّر أهل الأسواق جنداً، وجعل أرزاقهم ربح أموال تكون بأيديهم دَيْناً عليهم، فيكون الربح لهم، ورأس المال باقياً عليهم، وكان يتعهده في الأوقات المتفرقة لينظر كيف حفظهم لها، وفرّق السلاح عليهم، فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يعجل حضوره إن احتاج إليه.

وكان جَهْوَر يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويحضر الأفراح على طريقة الصالحين، وهو مع ذلك يدبّر الأمر تدبير الملوك،

وكان مأمون الجانب، وأمن الناس في أيامه، وبقي كذلك إلى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات، فغلب عليها الأمير الملقّب بالمأمون، صاحب طليْطلة، فدبّرها إلى أن مات بها.

وأما إشبيلية فاستولى عليها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللخميّ، وهو من ولد النعمان بن المنذر، وقد ذكرنا سبب ذلك في دولة يحيى بن عليّ بن حمّود قبل هذا. وفي هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم، وكان قد اختفى وانقطع خبره، وكان ظهوره بمالقة، ثم سار منها إلى المريّة، فخافه صاحبها زهير العامري فأخرجه منها، فقصد قلعة رباح، فأطاعه أهلها فسار إليهم صاحبه إسماعيل بن ذي النون وحاربهم، فضعفوا عن مقاومته، فأخرجوه، فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد إليه بإشبيلية، وأذاع أمره، وقام بنصره، وكان رؤساء الأندلس في طاعته، فأجابه إلى ذلك صاحب بَلَنْسية ونواحيها، وصاحب قرطبة، وصاحب (٢٨٦/٩)دانية والجزائر، وصاحب طرطوشة، وأقروا بخلافته، وخطبوا له، وجدّدت بيعته بقرطبة، في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ثم إن ابن عبّاد سيّر جيشاً إلى زهير العامريّ لأنه لم يخطب للمؤيد، فاستنجد زهير حبّوس بن ماكسن الصنهاجيّ صاحب غَرناطة، فسار إليه بجيشه، فعادت عساكر ابن عبّاد، ولم يكن بين العسكرين قتال، وأقام زهير في بيّاسة، وعاد حبّوس إلى مالقة، فمات في رمضان من هذه السنة، وولي بعده ابنه باديس، واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحبّوس، فلم تستقر بينهما قاعدة، واقتتلا، فقُتل زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين[وأربعمائة].

ثم في سنة إحدى وثلاثين [وأربعمائة] التقى عسكر ابن عبّاد وعليهم ابنه إسماعيل مع باديس بن حبّوس، وعسكر إدريس العلويّ، على ما ذكرناه عند أخبار العلويين فيما تقدّم، إلاّ أنهم اقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل إسماعيل، ثم مات بعده أبوه القاضي أبو القاسم سنة ثلاث وثلاثين، وولي بعده ابنه أبو عمرو عبّاد بن محمد، ولقّب بالمعتضد باللّه، فضبط ما ولي، وأظهر موت المؤيّد.

هذا قول ابن أبي الفيّاض في المؤيد، وقال غيره إن المؤيد لم يظهر خبره منذ عدم من قرطبة عند دخول علي بن حمّود إليها، وقتله سليمان، وإنما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره، وأعجب من اختفاء حال المؤيد، ثم تصديق الناس ابن عبّاد في ما أخبر به من حياته، أن إنساناً حضريّاً(٢٨٧/٩)ظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادّعى أنه المؤيد، فبويع بالخلافة، وخطب له على منابر جميع بلاد الأندلس في أوقات متفرّقة، وسفكت الدماء بسببه، واجتمعت العساكر في أمره.

ولما أظهر ابن عبّاد موت هشام المؤيد، واستقلّ بأمر إشبيلية وما انضاف إليها، بقي كذلك إلى أن مات من ذُبحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة، وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عبّاد ابن القاضي أبي القاسم، ولقّب بالمعتمد على اللّه، فاتّسع ملكه، وشمخ سلطانه، وملك كثيراً من الأندلس، وملك قرطبة أيضاً، وولّى عليها ابنه الظافر باللّه، فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن ذي النون، صاحب طليطلة، فحسده عليها، فضمن له جرير بن عكاشة أن يجعل ملكها له، وسار إلى قرطبة، وأقام بها يسعى في ذلك وهو ينتهز الفرصة.

فاتفق أن في بعض الليالي جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق، فثار جرير فيمن معه، ووصل إلى قصر الإمارة، فلم يجد من يمانعه، فدخل صاحب الباب إلى الظافر وأعلمه، فخرج بمن معه من العبيد والحرس، وكان صغير السن، وحمل عليهم، ودفعهم عن الباب، ثم إنه عثر في بعض كرّاته فسقط، فوثب بعض من يقاتله وقتله، ولم يبلغ الخبر إلى الأجناد وأهل البلد إلاّ والقصر قد مُلك، وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه، وترك الظافر ملقىً على الأرض عرياناً، فمرّ عليه بعض أهل قرطبة، فأبصره على تلك الحال، فنزع رداءه وألقاه عليه، وكان أبوه إذا ذكره يتمثّل:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... على أنه قد سلّ عن ماجد محض

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها، حتى عاد ملكها، وترك ولده المأمون (٢٨٨/٩) فيها، فأقام بها حتّى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقُتل فيها بعد حروب كثيرة يأتي ذكرها إن شاء اللّه تعالى سنة أربع وثمانين[وأربعمائة].

وأخذت إشبيلية من أبيه المعتمد في السنة المذكورة، وبقي محبوساً في اغمات إلى أن مات بها، رحمه اللّه، وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد، والمأمون، والراضي، والمعتمد، وأبوه، وجدّه، علماء فضلاء شعراء.

وأما بَطْلَيوس فقام بها سابور الفتى العامريّ، وتلقّب بالمنصور، ثم انتقلت بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد اللّه بن سلمة، المعروف بابن الأفطس، أصله من بربر مكناسة، لكنه ولد أبوه بالأندلس، ونشأوا بها، وتخلّقوا تخلّق أهلها، وانتسبوا إلى تجيب، وشاكلهم الملك، فلما توفي صارت بعده إلى ابنه أبي محمد عمر بن محمد واتّسع ملكه إلى أقصى المغرب، وقُتل صبراً مع ولدين له عند تغلّب أمير المسلمين على الأندلس.

وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش، فلم تطل مدّته، وصارت

رئاسته إلى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرّف بن ذي النون، ولقبه الظافر بحول اللّه، وأصله من البربر وولد بالأندلس، وتأدّب بآداب أهلها، وكان مولد إسماعيل سنة تسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب، وله شعر جيّد، وصنّف كتاباً في الآداب والأخبار.

وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون، وأكثر مهاداة الفرنج ومصانعتهم ليتلذّذ باللعب، وامتدّت يده إلى أموال الرعيّة، ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شيء، حتى أخذت طليطلة في سنة سبع وسبعين(٢٨٩/٩)وأربعمائة، وصار هو بَلَنْسية، وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن جحاف الأحنف، وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر:

أيها الأحنف مَهلاً ... فلقد جئت عويصا
إذ قتلتَ الملك يحيى ... وتقمّصت القميصا
ربّ يوم فيه تجري ... إن تجد فيه محيصا

وأما سَرَقُسطة والثغر الأعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبيّ، ثم توفي وولّي بعده ابنه يحيى، ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذاميّ وكان يلقّب بالمستعين باللّه، وكان من قوّاد منذر على مدينة لاردة، وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

ثم توفي وولي بعده ابنه المقتدر باللّه، وولي بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن، ثم ولي بعده ابنه أحمد المستعين باللّه على لقب جدّه، ثم ولي بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة، ثم ولي بعده ابنه المستنصر باللّه، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمس مائة، فصارت بلادهم جميعاً لابن تاشفين.

ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة، وهو فقير جدّاً، وهو قيّم الرّبوة، فسبحان من لا يزول، ولا تغيّره الدهور.

وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامريّ.

وأما بَلَنْسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبي عامر المعافريّ. ثم انضاف إليه المريّة وما كان إليها، وبعده ابنه محمد ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذي (٢٩٠/٩) النون، وأخذ منه رئاسة بَلَنسية في ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فانتزح إلى المريّة، وأقام بها إلى أن خُلع، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

وأما السهلة فملكها عبّود بن رزين، وأصله بربريّ، ومولده بالأندلس، فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك، وكان أديباً شاعراً، ثم ولي بعده ابنه عزّ الدولة، ومنها ملكها الملثّمون.

وأما دانية والجزائر فكانت بيد الموفّق أبي الحسن مجاهد العامريّ؛ وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد اللّه المعيطيّ ومعه خلق كثير، فأقامه مجاهد شبه خليفة يصدر عن رأيه، وبايعه في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة، فأقام المعيطيّ بدانية مع مجاهد ومن انضمّ إليه نحو خمسة أشهر، ثم سار هو ومجاهد في البحر إلى الجزائر التي في البحر، وهي ميورقة بالياء، ومنورقة بالنون، ويابسة.

ثم بعث المعيطيّ بعد ذلك مجاهداً إلى سردانية في مائة وعشرين مركباً بين كبير وصغير ومعه ألف فارس، ففتحها في ربيع الأول سنة ستّ وأربعين وأربعمائة، وقتل بها خلقاً كثيراً من النصارى، وسبى مثلهم، فسار إليه الفرنج والروم من البر في آخر هذه السنة، فأخرجوه منها، ورجع إلى الأندلس والمعيطيّ قد توفي، فغاص مجاهد في تلك الفتن إلى أن توفي، وولي بعده ابنه عليّ بن مجاهد، وكانا جميعاً من أهل العلم والمحبّة لأهله والإحسان إليهم، وجلباهم من أقاصي البلاد وأدانيها، ثم مات ابنه عليّ فولي بعده ابنه أبو عامر، (٢٩١/٩) ولم يكن مثل أبيه وجدّه. ثم إن دانية وسائر بلاد بني مجاهد صارت إلى المقتدر باللّه أحمد بن سليمان بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

وأما مرسية فولّيها بنو طاهر، واستقامت رئاستها لأبي عبد الرحمن منهم، المدعوّ بالرئيس، ودامت رئاسته إلى أن أخذها منه المعتمد بن عبّاد على يد وزيره أبي بكر بن عمّار المهريّ، فلما ملكها عصى على المعتمد فيها، فوجّه إليه عسكراً مقدّمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيريّ، فحصروه وضيّقوا عليه، حتى هرب منها، فلما دخلها القشيريّ عصى فيها أيضاً على المعتمد، إلى أن دخل في طاعة الملثّمين، وبقي أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية إلى أن مات بها سنة سبع وخمسمائة، ودفن بمرسية، وقد نيّف على تسعين سنة.

وأما المريّة فملكها خيران العامريّ، وتوفي كما ذكرنا، ووليها بعده زهير العامريّ، واتّسع ملكه إلى شاطبة، إلى ما يجاور عمل طليطلة، ودام إلى أن قُتل، كما تقدّم، وصارت مملكته إلى المنصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، فولي بعده ابنه محمد، فلما توفي عبد العزيز ببلنسية أقام ابنه محمد بالمريّة، وهو يدبّر بلنسية، فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون وأخذها منه، وبقي بالمريّة إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبيّ، ودانت له لورقة، وبيّاسة، وجيّان، وغيرها إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين[وأربعمائة]، وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن وهو ابن أربع عشرة سنة، فكفله عمّه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفي سنة ست(٢٩٢/٩)وأربعين، فبقي أبو يحيى مستضعَفاً

لصغره، وأخذت بلاده البعيدة عنه، ولم يبق له غير المريّة وما يجاورها.

فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم، ومكارم الأخلاق، فامتدّ صيته، واشتهر ذكره، وعظم سلطانه، والتحق بأكابر الملوك، ودام بها إلى أن نازله جيش الملثّمين، فمرض في أثناء ذلك، وكان القتال تحت قصره، فسمع يوماً صياحاً وجلبةً، فقال: نغّص علينا كل شيء حتى الموت! وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ودخل أولاده وأهله البحر في مركب إلى بجاية، قاعدة مملكة بني حمّاد من إفريقية، وملك الملثّمون المريّة وما معها.

وأما مالقة فملكها بنو عليّ بن حمّود، فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها إلى أن أخذها منهم إدريس بن حبّوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين[وأربعمائة]، وانقضى أمر العلويين بالأندلس.

وأما غرناطة فملكها حبّوس بن ماكسن الصنهاجيّ، ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وولي بعده ابنه باديس، فلمّا توفي ولي بعده ابن أخيه عبد اللّه بن بُلكّين، وبقي إلى ان ملكها منه الملثّمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وانقرضت دول جميعهم، وصارت الأندلس جميعها للملثّمين، وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، واتّصلت مملكته من المغرب الأقصى إلى آخر بلاد المسلمين بالأندلس؛ نعود إلى سنة سبع وأربعمائة. (٢٩٣/٩)

ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس

قد ذكرنا أن الملك سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس بن بهاء الدولة كَرْمان، فلما وليها اجتمع إليه الديلم، وحسّنوا له محاربة أخيه وأخْذ البلاد منه، فتجهّز وتوجّه إلى شيراز، فجمع عساكره وسار إليه فحاربه، فانهزم أبو الفوارس، وعاد إلى كَرْمان، فتبعه إليها، فخرج منها هارباً إلى خُراسان، وقصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين، وهو ببُستَ، فأكرمه وعظّمه، وحمل إليه شيئاً كثيراً، وأجلسه فوق دارا بن قابوس بن وشمكير، فقال دارا : نحن أعظم محلاً منهم لأن أباه وأعمامه خدموا آبائي ؛ فقال محمود : لكنّهم أخذوا المُلك بالسيف ؛ أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانيّة، ووعد محمود أن ينصره.

ثم إن أبا الفوارس باع جوهرتَيْن كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار، فاشتراهما محمود وحملهما إليه، فقال له : من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس، وقيمتهما ستّون ألف دينار . ثم إن محموداً سيّر جيشاً مع أبي الفوارس إلى كرمان، مقدّمهم أبو سعد الطائيّ، وهو من أعين قوّاده، فسار إلى كرمان فملكها، وقصد بلاد فارس وقد فارقها سلطان الدولة إلى بغداد، فدخل شيراز .

فلما سمع سلطان الدولة عاد إلى فارس، فالتقوا هناك واقتتلوا، فانهزم أبو الفوارس، وقُتل كثير من أصحابه، وعاد بأسوأ حال، وملك سلطان (٢٩٤/٩) الدولة بلاد فارس، وهرب أبو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة إلى كرمان، فسيّر سلطان الدولة الجيوش في أثره، فأخذوا كرمان منه، فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه، صاحب همذان، ولم يمكنه العود إلى يمين الدولة، لأنه أساء السيرة مع أبي سعد الطائيّ .

ثم فارق شمس الدولة، ولحق بمهذّب الدولة، صاحب البطيحة، فأكرمه وأنزله داره، وأنفذ إليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالاً وثياباً، وعرض عليه الانحدار إليه فلم يفعله، وتردّدت الرسل بينه وبين سلطان الدولة، فأعاد إليه كرمان، وسُيّرت إليه الخِلع والتقليد بذلك، وحُملت إليه الأموال، فعاد إليها .

ذكر قتل الشيعة بإفريقية

في هذه السنة، في المحرّم، قُتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقية .

وكان سبب ذلك أن المعزّ بن باديس ركب ومشى في القيروان والناس يسلّمون عليه ويدعون له، فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم، فقيل : هؤلاء رافضة يسبّون أبابكر وعمر ؛ فقال : رضي اللّه عن أبي بكر وعمر ! فانصرفت العامّة من فورها إلى درب المقلى من القيروان، وهو [مكان] تجتمع به الشيعة، فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم، طمعاً في النهب، وانبسطت أيدي العامّة في الشيعة، وأغراهم عامل القيروان وحرّضهم .

وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد، فبلغه أن المعزّ بن باديس يريد (٢٩٥/٩) عزله، فأراد فساده، فقُتل من الشيعة خلق كثير، وأُحرقوا بالنار، ونُهبت ديارهم، وقُتلوا في جميع إفريقيّة، واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان، فتحصّنوا به، فحصرهم العامّة وضيّقوا عليهم، فاشتدّ عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قُتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمَهديّة إلى الجامع فقتلوا كلّهم .

وكانت الشيعة تُسمّى بالمغرب المشارقة نسبة إلى أبي عبد اللّه الشيعيّ، وكان من المشرق، وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة، فمن فرِحٍ مسرورٍ ومن باكٍ حزينٍ .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأول، احترقت قبّة مشهد الحسين والأزْوقة، وكان سببه أنهم أشعلوا شمعتَيْن كبيرتَيْن في الليل على التازير فاحترق، وتعدّت النار ؛ وفيه أيضاً احترق نهر طابق، ودار القطن، وكثير من باب البصرة، واحترق جامع سُرّ من رأى .

وفيها تشعّث الركن اليمانيّ من البيت الحرام، وسقط حائط بين يدي حُجرة النبيﷺ ووقعت القبّة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدّس .

وفيها كانت فتنة كبيرة بين السُّنّة والشيعة بواسط، فانتصر السُّنّة وهرب وجوه الشيعة والعلويّين إلى علي بن مَزْيد فاستنصروه. (٢٩٦/٩)

وفيها، في رجب، مات محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل أبو الحسين الضَّبّيّ القاضي المعروف بابن المحامليّ ؛ وكان من أعيان الفقهاء الشافعيّة وكبار المحدّثين ؛ مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ؛ ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطاميّ، الواعظ، الفقيه، الشافعيّ، وليَ قضاء نيسابور . (٢٩٧/٩)

سنة ثمان وأربعمائة

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

في هذه السنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة ألف خركاة من أجناس الترك، منهم الخطابيّة الذين ملكوا ما وراء النهر، وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى .

وكان سبب خروجهم أن طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضاً شديداً، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد لذلك، فساروا إليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام، فلما بلغه الخبر كان بها مريضاً، فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة، ويحمي البلاد منهم، ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد، فاستجاب الله له وشفاه، فجمع العساكر، وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس، فاجتمع إليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفاً، فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة، فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتَيْ ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الأواني الذهبية والفضيّة، ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله، وعاد إلى بلاساغون، فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه .

وكان عادلاً، خيّراً، ديّناً، يحب العلم وأهله، ويميل إلى أهل الدين، ويصلهم ويقرّبهم، وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الأنصاريّ، وقد (٢٩٨/٩) تقدّمت في غزوة الخندق، وقيل : كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان، أخي طغان خان، وإنها كانت سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر ملك أخيه أرسلان خان

لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفّر أرسلان خان،ولقبه شرف الدولة، فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان الذي ملك بخارى، وقد تقدّم ذكره، وكان ينوب عن طغان خان بسَمَرْقند، فكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان خان، فعقد على جَيْحون جسراً من السفن، وضبطه بالسلاسل، فعبر عليه، ولم يكن يُعرف هناك قبل هذا، وأعانه على أرسلان خان .

ثم إن يمين الدولة خافه، فعاد إلى بلاده، فاصطلح قدر خان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة واقتسامها، وسارا إلى بلخ .

وبلغ الخبر إلى يمين الدولة، فقصدهما، واقتتلوا، وصبر الفريقان، ثم انهزم الترك وعبروا جَيحون، فكان مَن غرق منهم أكثر ممّن نجا .

وورد رسول متولّي خُوارزم إلى يمين الدولة يهنّئه بالفتح عُقَيْب الوقعة، فقال له : مِنْ أين علمتم ؟ فقال :من كثرة القلانس التي جاءت على الماء ؛ وعبر يمين الدولة، فشكا أهل تلك البلاد إلى قدر خان ما يلقون من عسكر يمين الدولة، فقال : قد قرب الأمر بيننا وبين عدونا، فإن ظفرنا منَعنا عنكم، وإن ظفر عدوّنا فقد استرحتم منّا . ثم اجتمع هو وقدر خان، وأكلا طعاماً. وكان قدر خان عادلاً (٢٩٩/٩) حسن السيرة، كثير الجهاد، فمن فتوحه خُتَن، وهي بلاد بين الصين وتركستان وهي كثيرة العلماء والفضلاء، وبقي كذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفّي فيها، وكان يديم الصلاة في الجماعة .

ولما توفّي خلّف ثلاثة بنين [منهم] أبو شجاع أرسلان خان، وكان له كاشغر، وخُتَن، وبلاساغون، وخُطِبَ له على منابرها، وكان لقبه شرف الدولة، ولم يشرب الخمر قطّ، وكان ديّناً، مكرما للعلماء وأهل الدين، فقصدوه من كل ناحية، فوصلهم وأحسن إليهم، وخلّف أيضا بغراخان ابن قدر خان، وكان له طراز واسبيجاب فقدم أخوه أرسلان وأخذ مملكته، فتحاربا، فانهزم أرسلان خان وأخذ أسيراً، فأودعوه الحبس، وملك بلاده .

ثم إن بغراخان عهد بالملك لولده الأكبر، واسمه حسين جغري تكين، وجعله وليّ عهده، وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير، فغاظها ذلك، فعمدت إليه وسمّته فمات هو وعدة من أهله، وخنقتْ أخاه أرسلان خان بن قدر خان، وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وقتلت وجوهَ أصحابه، وملّكت ابنه، واسمه إبراهيم، وسيّرته في جيش إلى مدينة تُعرف ببرسُخان، وصاحبها يُعرف بيَنالتَكين، فظفر به ينالتكين وقتله، وانهزم عسكره إلى أمه،

واختلف أولاد بغراخان، فقصدهم طُغْفاج خان صاحب سمرقند. (٣٠٠/٩)

ذكر ملك طُغْفاج خان وولده

وكان طُغفاج خان أبو المظفّر إبراهيم بن نصر ايلك يلقّب عماد الدولة، وكان بيده سمرقند، فلما مات ورثه ابنه طغفاج، وملك بعده، وكان طغفاج متديّناً لا يأخذ مالاً حتى يستفتي الفقهاء، فورد عليه أبو شجاع العلويّ الواعظ، وكان زاهداً، فوعظه وقال له : إنك لا تصلح للملك . فأغلق طغفاج بابه، وعزم على ترك الملك، فاجتمع عليه أهل البلد وقالوا : قد أخطأ هذا، والقيام بأمورنا متعيّن عليه . فعند ذلك فتح بابه، ومات سنة ستّين وأربعمائة .

وكان السلطان ألب أرسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغرلبك، فلم يقابل الشرّ بمثله، وأرسل رسولاً إلى القائم بأمر اللّه سنة ثلاث وخمسين [وأربعمائة] يهنّئه بعوده إلى مستقرّه، ويسأل التقدّم إلى ألب أرسلان بالكفّ عن بلاده، فأجيب إلى ذلك، وأرسل إليه الخِلع والألقاب، ثم فلج سنة ستّين .

وكان في حياته قد جعل الملك في ولده شمس الملك، فقصده أخوه طغان خان بن طغفاج، وحصره بسمرقند، فاجتمع أهلها إلى شمس الملك، وقالوا له : قد خرّب أخوك ضياعنا وأفسدها، ولو كان غيره لساعدناك، ولكنّه أخوك فلا ندخل بينكما؛ فوعدهم المناجزة، وخرج من البلد نصف الليل في خمسمائة غلام مُعَدّين، وكبس أخاه، وهو غير محتاطٍ، فظفر به، فهزمه، وكان هذا وأبوهما حيّ .

ثم قصده هارون بغراخان بن يوسف قدر خان، وطغرل قراخان، وكان طغفاج قد استولى على ممالكهما، وقاربا سمرقند، فلم يظفرا بشمس الملك،(٣٠١/٩) فصالحاه وعادا فصارت الأعمال المتاخمة لجَيحون لشمس الملك، وأعمال الخاهر في أيديهما، الحدّ بينهما خُجَندة .

وكان السلطان ألب أرسلان قد تزوّج ابنة قدر خان، وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين، وتزوّج شمس الملك ابنة ألب أرسلان، وزوّج بنت عمّه عيسى خان من السلطان ملكشاه، وهي خاتون الجلاليّة أمّ الملك محمود الذي وليَ السلطنة بعد أبيه، وسنذكر ذلك إن شاء اللّه تعالى .

ثم اختلف ألب أرسلان وشمس الملك، وسنذكره سنة خمس وستّين [وأربعمائة] عند قتل ألب أرسلان ؛ ثم مات شمس الملك، فولي بعده أخوه خضر خان، ثم مات، فولي ابنه أحمد خان، وهو الذي قبض عليه ملك شاه، ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته سنة خمس وثمانين، وسنذكره هناك إن شاء اللّه تعالى.

ثم إنّ جنده ثاروا به فقتلوه وملك بعده محمود خان، وكان جدّه من ملوكهم، وكان أصمّ، فقصده طغان خان بن قارخان، صاحب طراز، فقتله واستولى على الملك، واستناب بسمرقند أبا المعالي محمّد بن زيد العلويّ البغداديّ، فولي ثلاث سنين، ثم عصى عليه، فحاصره طغان خان، وأخذه وقتله، وقتل خلقاً كثيراً معه.

ثم خرج طغان خان إلى ترمذ يريد خراسان، فلقيه السلطان سنجر وظفر به وقتله وصارت أعمال ما وراء النهر له، فاستناب به محمد خان بن كمشتكين بن إبراهيم بن طغفاج خان، فأخذها منه عمر خان، وملك سمرقند، ثم هرب(٣٠٢/٩)من جنده وقصد خُوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله ووليَ سمرقندَ محمّد خان ووليَ بخارى محمّد تكين بن طغانتكين.

ذكر كاشغر وتركستان

وأما كاشغر، وهي مدينة تركستان، فإنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدرخان، كما ذكرنا، ثم صارت بعده لمحمود بغراخان، صاحب طراز والشاش، خمسة عشر شهراً، ثم مات فوليَ بعده طغرل خان بن يوسف قدر خان، فاستولى على الملك، وملك بلاساغون، وكان ملكه ستّ عشرة سنة ثم توفّي.

وملك ابنه طغرلتكين، وأقام شهريْن، ثم أتى هارون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طُغفاج بغراخان، وعبر كاشغر، وقبض على هارون، وأطاعه عسكره، وملك كاشغر، وختُن، وما يتّصل بهما إلى بلاساغون، وأقام مالكاً تسعاً وعشرين سنة، وتوفي سنة ستّ وتسعين وأربعمائة، فوليَ ابنه أحمد ابن أرسلان خان، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المستظهر باللّه يطلب منه الخِلع والألقاب، فأرسل إليه ما طلب، ولقّبه نور الدولة.

ذكر وفاة مهذّب الدولة وحال البطيحة بعده

في هذه السنة، في جمادى الأولى، توفّي مهذّب الدولة أبو الحسن عليّ بن نصر، ومولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وهو الذي نزل عليه القادر باللّه.(٣٠٣/٩)

وكان سبب موته أنّه افتصد، فانتفخ ساعده، ومرض منه، واشتدّ مرضه. فلمّا كان قبل وفاته بثلاثة أيّام تحدّث الجند بإقامة ولده أبي الحسين أحمد مقامه، فبلغ ابنَ أخت مهذّب الدولة، وهو أبو محمد عبد اللّه بن ينّي، فاستدعى الديلم والأتراك، ورغّبهم ووعدهم، واستحلفهم لنفسه، وقرّر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذّب الدولة وتسليمه إليه، فمضوا إليه ليلاً وقالوا له: أنت ولد الأمير، ووارث الأمر من بعده، فلو قمت معنا إلى دار الإمارة ليظهر

أمرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسناً.

فخرج من داره معهم، فلمّا فارقها قبضوا عليه وحملوه إلى أبي محمّد، فسمعت والدته فدخلت على مهذّب الدولة قبل موته بيوم فأعلمته الخبر، فقال: أيّ شيء أقدر أن أعمل وأنا على هذه الحال؟ وتوفي من الغد، وولي الأمر أبو محمّد، وتسلّم الأموال والبلد، وأمر بضرب أبي الحسين بن مهذّب الدولة، فضرب ضرباً شديداً توفي منه بعد ثلاثة أيّام من موت أبيه.

وبقي أبو محمّد أميراً إلى منتصف شعبان، وتوفّي بالذّبحة، وكان قد قال قبل موته: رأيت مهذّب الدولة بالمنام وقد مسك حلقي ليخنقني، ويقول: قتلتَ ابني أحمد، وقابلتَ نعمتي عليك بذاك. فمات بعد أيّام فكان ملكه أقلّ من ثلاثة أشهر.

فلما توفي اتّفق الجماعةُ على تأمير أبي عبد اللّه الحسين بن بكر الشرابيّ، وكان من خواصّ مهذّب الدولة فصار أمير البطيحة، وبذل للملك سلطان الدولة بذولاً، فأقرّه عليها، وبقي إلى سنة عشر وأربعمائة، فسيّر إليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياريّ، فملك البطيحة، وأسر أبا عبد اللّه الشرابيّ، فبقي عنده أسيراً إلى أن توفّي صدقة وخلص، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.(٣٠٤/٩)

ذكر وفاة عليّ بن مَزيد وإمارة ابنه دُبَيْس

في هذه السنة، في ذي القعدة، توفّي أبو الحسن عليّ بن مَزْيد الأسديّ، وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغرّ دُبَيْس، وكان أبوه قد جعله وليّ عهده في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة، وأذن في ولايته، فلمّا توفي والده اختلفت العشيرة على دبيس فطلب أخوه المقلّد بن أبي الحسن عليّ الإمارة، وسار إلى بغداد، وبذل للأتراك بذولاً كثيرة ليعاضدوه، فسار معه منهم جمع كثير، وكبسوا دُبَيْساً بالنعمانيّة ونهبوا حلّته، فانهزم إلى نواحي واسط، وعاد الأتراك إلى بغداد، وقام الأثير الخادم بأمر دُبيس، حتّى ثبت قدمه، ومضى المقلّد أخوه إلى بني عُقيل، ونذكر باقي أخباره في موضعها إن شاء اللّه تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامّة، فانحدروا إلى واسط، فخرج إليهم عامّتها وأتراكها، فقاتلوهم، فدفع الديلم عن أنفسهم، وقتلوا من أتراك واسط وعامّتها خلقاً كثيراً، وعظم أمر العيّارين ببغداد، فأفسدوا ونهبوا الأموال.

وفيها توفي الحاجب أبو طاهر سباشي المشطب، وكان كثير المعروف؛ وأبو الحسن الهُمانيّ، وكان متولّي البصرة وغيرها، وهو الذي مدحه مهيار بقوله:

أستنجد الصبر فيكم، وهو مغلوب (٣٠٥/٩)

وفيها قدم سلطان الدولة ببغداد، وضُرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تجرِ به عادة إنّما كان عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات.

وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة إلى هَيت وأقام عند قرواش، وولّى سلطان الدولة موضعه أبا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس، ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم من السُّنة اشتدّت.

وفيها استتاب القادر باللّه المعتزلة والشيعة وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لم يعتقده من مذاهبهم، ونهى من المناظرة في شيء منها، ومَن فعل ذلك نُكّل به وعوقب.(٣٠٦/٩)

سنة تسع وأربعمائة

ذكر ولاية ابن سهلان العراق

في هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرُخّجيّ ولاية العراق، فقال: ولاية العراق تحتاج إلى مَنْ فيه عسف وخُرق، وليس غير ابن سهلان، وأنا أخلفه هنا. فولاّه سلطان الدولة العراق في المحرّم، فسار من عند سلطان الدولة، فلمّا كان ببعض الطريق ترك ثَقَله، والكتّاب، وأصحابه، وسار إلى جريدة في خمسمائة فارس مع طراد دُبَيْس الأسديّ، يطلب مهارش ومُضَراً ابنَي دُبيس، وكان مُضر قد قبض قديماً عليه بأمر فخر الملك، فكان يبغضه لذلك، وأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ويسلّمها إلى طراد.

فلما علم مضر ومهارش قصده لهما سارا عن المَذار، فتبعهما، والحرّ شديد، فكاد يهلك هو ومن معه عطشاً، فكان من لطف اللّه به أنّ بني أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وإبعادها، وبقي الحسن بن دبيس فقاتل قتالا شديداً، وقُتل جماعة من الديلم والأتراك، ثم انهزموا ونهب ابن سهلان أموالهم، وصان حُرَمهم ونساءهم، فلمّا نزل في خيمته قال: الآن ولدتْني أمّي؛ وبذل الأمان لمهارش ومُضر وأهلهما، وأشرك بينهم وبين طراد في الجزيرة ورحل.

وأنكر على سلطان الدولة فعله ذلك، ووصل إلى واسط والفتن بها قائمة،(٣٠٧/٩)فأصلحها، وقتل جماعة من أهلها.

وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد، فسار إليها، فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر، فهرب منه العيّارون، ونفى جماعة من العبّاسيين وغيرهم، ونفى أبا عبد اللّه بن النّعمان فقيه الشيعة، وأنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة، ولم يكن قبل ذلك، ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله.

فمن ذلك أنّ رجلاً من المستورين أغلق بابه عليه خوفاً منهم، فلما كان أول يوم من رمضان خرج لحاجته، فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد، فأراد الرجوع إلى بيته، فأكرهوه على الدخول معهم إلى دار نزلوها، وألزموه بشرب الخمر فامتنع، فصبّوها في فيه قهراً، وقالوا له: قم إلى هذه المرأة فافعل بها، فامتنع فألزموه، فدخل معها إلى بيت في الدار، وأعطاها دراهم، وقال: هذا أول يوم رمضان، والمعصية فيه تتضاعف، وأُحبّ أن تخبريهم أنني قد فعلت. فقالت: لا كرامة ولا عزازة، أنت تصون دينك عن الزّنى، وأنا أريد أن أصون أمانتي في هذا الشهر عن الكذب! فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد.

ثمّ إن أبا محمد بن سهلان أفسد الأتراك والعامّة، فانحدر الأتراك إلى واسط، فلقوا بها سلطان الدولة، فشكوا إليه، فسكّنهم، ووعدهم الإصعاد إلى بغداد وإصلاح الحال.

واستحضر سلطان الدولة ابن سهلان، فخافه ومضى إلى بني خَفاجة، ثم أصعد إلى الموصل فأقام بها مدّة، ثم انحدر إلى الأنبار ومنها إلى البطيحة.(٣٠٨/٩)فأرسل سلطان الدولة إلى البطيحة رسولاً يطلبه من الشرابيّ، فلم يسلّمه، فسيّر إليها العساكر، فانهزم الشرابيّ، وانحدر ابن سهلان إلى البصرة، فاتّصل بالملك جلال الدولة، وكان الرُّخْجيّ قد خرج مع ابن سهلان إلى الموصل، ففارقه بها، وأصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد إليه.

ذكر غزوة يمين الدولة إلى الهند والأفغانيّة

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند غازياً، واحتشد وجمع، واستعدّ وأعدّ أكثر ممّا تقدّم.

وسبب هذا الاهتمام أنّه لمّا فتح قَنّوج، وهرب صاحبها منه، ويلقّب رآي قنّوج، ومعنى رآي هو لقب الملك كقيصر وكسْرى، فلمّا عاد إلى غزنة أرسل بيدا اللعين، وهو أعظم ملوك الهند مملكةً، وأكثرهم جيشاً، وتُسمّى مملكته كجوراهة، رُسُلاً إلى رآي قنّوج، واسمه راجيال، يوبّخه على انهزامه، وإسلام بلاده للمسلمين وطال الكلام بينهما، وآل أمرهما إلى الاختلاف.

وتأهّب كلّ واحد منهما لصاحبه، وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا، فقُتل راجيال، وأتى القتل على أكثر جنوده، فازداد بيدا بما اتّفق له شراً وعُتُوّاً، وبُعد صيتٍ في الهند، وعلوّاً، وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده، وهزمه وأباد أجناده، وصار في جملته وخدمه والتجأ إليه، فوعده(٣٠٩/٩)بإعادة ملكه إليه، وحفظ ضالّته عليه، واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الأنداء. فنمت هذه الأخبار إلى يمين الدولة فأزعجته، وتجهّز للغزو، وقصد بيدا، وأخذ ملكه منه، وسار عن غزنة، وابتدأ في طريقه بالأفغانيّة، وهم كفّار يسكنون الجبال، ويفسدون في الأرض، ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه، فقصد بلادهم، وسلك مضايقها، وفتح مغالقها، وخرّب عامرها، وغنم أموالهم، وأكثر القتل فيهم والأسر، وغنم المسلمون من أموالهم الكثير.

ثم استقلّ على المسير، وبلغ إلى مكان لم يبلغه فيما تقدّم من غزواته، وعبر نهر كنك، ولم يعبره قبلها، فلمّا جازه رأى قفلاً قد بلغت عدّة أحمالهم ألف عدد، فغنمها، وهي من العُود، والأمتعة الفائقة، وجدّ به السير، فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له تروجنْبال قد سار من بين يديه ملتجئاً إلى بيدا ليحتمي به عليه، فطوى المراحل، فلحق تروجنبال ومن معه، رابع عشر شعبان، وبينه وبين الهنود نهر عميق، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم، فاقتتلوا عامّة نهارهم وانهزم تروجنبال ومن معه، وكثر القتل والأسر، وأسلموا أموالهم وأهليهم، فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذ ما يزيد على مائتيْ فيل، وسار المسلمون يقتصون آثارهم، وانهزم ملكهم جريحاً، وتحيّر في أمره، وأرسل إلى يمين الدولة يطلب الأمان فلم يؤمنه، ولم يقنع منه إلاّ بالإسلام وقتل من عساكره ما لا يُحصى.

وسار تروجنبال ليلحق ببيدا فانفرد[به]بعض الهنود فقتله. فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والإتاوة. وسار(٣١٠/٩) يمين الدولة بعد الوقعة إلى باري، وهي من أحصن القلاع والبلاد وأقواها، فرآها من سكّانها خالية، وعلى عروشها خاوية، فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسار يطلب بيدا الملك، فلحقه وقد نزل إلى جانب نهر، وأجرى الماء بين يديه فصار وحلاً، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل معه إذا أراد القتال، وكان عدّة من معه، ستة وخمسين ألف فارس، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل، وسبع مائة وستة وأربعين فيلاً. فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال، فأخرج بيدا إليه مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمدّ أصحابه، حتّى كثر الجمعان واشتدّ الضرب والطّعان، فأدركهم الليل وحجز بينهم.

فلما كان الغد بكّر يمين الدولة إليهم، فرأى الديار منهم بلاقع، وركب كلّ فرقة منهم طريقاً مخالفاً للطريق الأخرى. ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنموا الجميع، واقتفى آثار المنهزمين، فلحقوهم في الغياض والآجام، وأكثروا فيهم القتل والأسر، ونجا بيدا فريداً وحيداً، وعاد يمين الدولة إلى غزنة منصوراً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس وإخوته، وولّى وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور،

ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.(٣١١/٩)

وفيها توفي الغالب باللّه وليّ عهد أبيه القادر باللّه في شهر رمضان؛ وتوفي أيضاً أبو أحمد بن محمد بن أبي علاّن، قاضي الأهواز، ومولده سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وله تصانيف حسنة، وكان معتزليّاً.

وفيه هذه السنة مات عبد الغنيّ بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصريّ، صاحب المؤتلف والمختلف، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

وتوفي رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصناويّ، وأنصنا من قرى مصر، وهو من الفقهاء المالكيّة وسمع الحديث الكثير.(٣١٢/٩)

سنة عشر وأربعمائة

في هذه السنة قبض الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة على وزيره أبي سعد عبد الواحد بن عليّ بن ماكولا، وكان ابن عمّه أبو جعفر محمد بن مسعود كاتباً فاضلاً، وكان يعرض الديلم لعضد الدولة، ولأبي سعد شعر منه:

وإنّ لقائي للشجاع لهيّن ولكنّ حمل الضيم منه شديد
إذا كان قلب القرن ينبو عن الوغى فإنّ جناني جلمد وحديد

وفيها توفي وثاب بن سابق النميريّ، صاحب حرّان؛ وأبو الحسن بن أسد الكاتب؛ وأبو بكر محمد بن عبد السلام الهاشميّ القاضي بالبصرة؛ وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميميّ، الفقيه الحنبليّ البغداديّ، عمّ أبي محمد.

قال أبو الفضل: سمعت أبا الحسن بن القصاب الصوفيّ قال: دخلت أنا وجماعة إلى البيمارستان ببغداد، فرأينا شابّاً مجنوناً شديد الهوس، فولعنا به، فردّ بفصاحة، وقال: انظروا إلى شعور مطرّرة. وأجساد معطّرة...وقد جعلوا اللّهو صناعة. واللعب بضاعة. وجانبوا العلم رأساً. فقلت: أتعرف شيئاً من العلم فنسألك؟ قال: نعم[إنّ]عندي علماً جمّاً، فاسألوني. قال بعضنا: من الكريم في الحقيقة؟ قال: من رزق أمثالكم وأنتم لا(٣١٣/٩)تساوون ثومة. فضحكنا. فقال آخر: من أقل الناس شكراً؟ فقال: من عوفيَ من بليّة ثم رآها في غيره فترك الاعتبار، فإن الشكر عليها واجب.فأبكانا بعد أن أضحكنا.فقلنا: ما الظّرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه. ثم قال: اللهمّ إن لم تردّ عقلي، فردّ يدي لأصفع كلّ واحد منهم صفعة! فتركناه وانصرفنا.

وفيها مات الأُصَيْفِر المتفقيّ الذي كان يُؤذي الحاجّ في طريقهم؛ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ الأصبهانيّ؛ وعبد الصمد بن بابَك أبو القاسم الشاعر، قدم على الصاحب بن عبّاد فقال: أنت ابن بابك؟ فقال: أنا ابن بابِك؛ فاستحسن قوله.(٣١٤/٩)

سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر

في هذه السنة، ليلة الاثنين لثلاث بقين من شوّال، فُقد الحاكم بأمر اللّه أبو عليّ المنصور بن العزيز باللّه نزار بن المعزّ العلويّ، صاحب مصر بها، ولم يُعرف له خبر.

وكان سبب فقْده أنّه خرج يطوف ليلة على رسمه، وأصبح عند قبر الفُقّاعيّ، وتوجّه إلى شرقيّ حُلوان ومعه ركابيّان، فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب إلى بيت المال، وأمر لهم بجائزة، ثم عاد الركابيّ الآخر، وذكر أنّه خلّفه عند العين والمقصبة.

وبقي الناس على رسمهم يخرجون كلّ يوم يلتمسون رجوعه إلى سلخ شوّال، فلما كان ثالث ذي القعدة خرج مظفر الصقلبيّ، صاحب المظلّة، وغيره من خواصّ الحاكم، ومعهم القاضي، فبلغوا عُسفان، ودخلوا في الجبل، فبصروا بالحمار الذي كان عليه راكباً، وقد ضُربت يداه بسيف فأثّر فيهما، وعليه سرجه ولجامه، فاتّبعوا الأثر، فانتهوا به إلى البركة التي شرقيّ حُلوان، فرأوا ثيابه، وهي سبع قطع صوف، وهي مُزوّرة بحالها لم تُحلّ، (٣١٥/٩)وفيها أثر السكاكين، فعادوا ولم يشكّوا في قتله.

وقيل: كان سبب قتله أنّ أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله، فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبُّه، وسبّ أسلافه، والدعاء عليه، حتّى إنّهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة، فلمّا رآها ظنّ أنّها امرأة تشتكي، فأمر بأخذ الرقعة منها، فقرأها، وفيها كلّ لعن وشتيمة قبيحة، وذكر حُرمه بما يكره، فأمر بطلب المرأة، فقيل إنّها من قراطيس، فأمر بإحراق مصر ونهبها، ففعلوا ذلك، وقاتل أهلها أشدّ قتال، وانضاف إليهم في اليوم الثالث الأتراك والمشارقة، فقويت شوكتهم وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون، فلم يقبل، فصاروا إلى التهديد، فلمّا رأى قوّتهم أمر بالكفّ عنهم، وقد أحرق بعض مصر ونهب بعضها، وتتبّع المصريّون مَن أخذ نساءهم وأبناءهم، فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهنّ، فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه.

ثم إنّه أوحش أُختَهُ، وأرسل إليها مراسلات قبيحة يقول فيها: بلغني أن الرجال يدخلون إليك؛ وتهدّدها بالقتل، فأرسلت إلى قائد كبير من قوّاد الحاكم يقال له ابن دوّاس، وكان أيضاً يخاف الحاكم، وتقول له: إنّني أريد أن ألقاك؛ فحضرتْ عنده وقالت له: قد جئتُ إليك في أمر تحفظ فيه نفسَك ونفسي، وأنت تعلم ما يعتقده أخي

فيك، وأنّه متى تمكّن منك لا يُبْقي عليك، وأنا كذلك، وقد انضاف إلى هذا ما تظاهر به ممّا يكرهه المسلمون، ولا يصبرون عليه، وأخاف أن يثوروا به فيهلك هو ونحن معه، وتنقلع(٣١٦/٩)هذه الدولة. فأجابها إلى ما تريد، فقالت: إنّه يصعد إلى الجبل غداً، وليس معه غلام إلاّ الركابيّ وصبيّ، وينفرد بنفسه، فتقيم رجلَيْن تثق بهما يقتلانه، ويقتلان الصبيّ، وتقيم ولده بعده، وتكون أنت مدبّر الدولة، وأزيد في إقطاعك مائة ألف دينار.

فأقام رجلَيْن، وأعطتْهما هي ألف دينار، ومضيا إلى الجبل، وركب الحاكم على عادته، وسار منفرداً إليه، فقتلاه، وكان عمره ستّاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة وعشرين يوماً، وكان جواداً بالمال، سفّاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل دولته وغيرهم، فكانت سيرته عجيبة.

منها: أنّه أمر في صدر خلافته بسبّ الصحابة، رضي اللّه عنهم، وأن تُكتب على حيطان الجوامع والأسواق، وكتب إلى سائر عمّاله بذلك، وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

ثم أمر بعد ذلك بمدّة بالكفّ عن السبّ، وتأديب مَنْ يسبّهم، أو يذكرهم بسوء، ثم أمر في سنة تسع وتسعين[وثلاثمائة] بترك صلاة التراويح، فاجتمع الناس بالجامع العتيق، وصلّى بهم إمام جميع رمضان، فأخذه وقتله، ولم يصلّ أحد التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة، فرجع عن ذلك، وأمر بإقامتها على العادة. وبنى الجامع براشدة، وأخرج إلى الجوامع والمساجد من الآلات،(٣١٧/٩)والمصاحف، والستور، والحُصر، ما لم ير الناس مثله، وحمل أهل الذمّة على الإسلام، أو المسير إلى مأمنهم أو لبس الغيار، فأسلم كثير منهم، ثم كان الرجل منهم، بعد ذلك، يلقاه فيقول له: إنّني أُريد العود إلى ديني، فيأذن له.

ومنع النساء من الخروج من بيوتهنّ، وقتل من خرج منهن، فشكت إليه من لا قيم لها يقوم بأمرها، فأمر الناس أن يحملوا كل ما يباع في الأسواق إلى الدروب ويبيعوه على النساء، وأمر من يبيع أن يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمدّه إلى المرأة وهي من وراء الباب، وفيه ما تشتريه، فإذا رضيت وضعت الثمن في المغرفة وأخذت ما فيها لئلاّ يراها، فنال الناس من ذلك شدّة عظيمة.

ولما فقد الحاكم وليّ الأمر بعده ابنه أبو الحسن عليّ، ولُقّب الظاهر لإعزاز دين اللّه، وأخذت له البيعة، وردّ النظر في الأمور جميعها إلى الوزير أبي القاسم عليّ بن أحمد الجرجرائيّ.

ذكر ملك مشرّف الدولة العراق

في هذه السنة، في ذي الحجّة، عظم أمر أبي عليّ مشرّف الدولة بن بهاء الدولة، وخوطب بأمير الأمراء، ثم ملك العراق، وأزال عنه أخاه سلطان الدولة وكان سببه أن الجند شغبوا على سلطان الدولة، ومنعوه من الحركة، وأراد(٣١٨/٩) ترتيب أخيه مشرّف الدولة في الملك، فأشير على سلطان الدولة بالقبض عليه، فلم يمكّنه من ذلك، وأراد سلطان الدولة الانحدار إلى واسط، فقال الجند: إما أن تجعل عندنا ولدك أو أخاك مشرّف الدولة، فراسل أخاه بذلك فامتنع، ثم أجاب بعد معاودة، ثم إنهما اتّفقا، واجتمعا ببغداد، واستقرّ بينهما أنهما لا يستخدمان ابن سهلان، وفارق سلطان الدولة ببغداد، وقصد الأهواز واستخلف أخاه مشرّف الدولة على العراق.

فلما انحدر سلطان الدولة ووصل إلى تُستَر استوزر ابن سهلان، فاستوحش مشرّف الدولة، فأنفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه مشرّف الدولة من العراق، فجمع مشرّف الدولة عسكراً كثيراً منهم أتراك واسط، وأبو الأغر دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيد، ولقي ابن سهلان عند واسط، فانهزم ابن سهلان وتحصّن بواسط، وحاصره مشرّف الدولة وضيّق عليه، فغلت الأسعار حتى بلغ الكرّ من الطعام ألف دينار قاسانيّة، وأكل الناس الدوابّ حتى الكلاب، فلما رأى ابن سهلان إدبار أموره سلّم البلد، واستحلف مشرّف الدولة وخرج إليهن وخوطب حينئذ مشرّف الدولة بشاهنشاه، وكان ذلك في آخر ذي الحجّة، ومضت الديلم الذي كانوا بواسط في خدمته، وساروا معه، فحلف لهم وأقطعهم، واتّفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر. فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الأهواز إلى أرّجان، وقطعت خطبته من العراق، وخطب لأخيه ببغداد آخر المحرّم سنة اثنتيّ عشرة وأربعمائة، وقبض على ابن سهلان وكحل.

ولما سمع سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه، وسار إلى الأهواز في أربعمائة فارس، فقلّت عليهم الميرة، فنبّهوا السّواد في طريقهم، فاجتمع الأتراك الذين(٣١٩/٩)بالأهواز وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة، ونادوا بشعار مشرّف الدولة، وساروا منها فقطعوا الطريق على قافلة وأخذوها وانصرفوا.

ذكر ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه

لما قتل الحاكم، على ما ذكرناه، بقي الجند خمسة أيّام، ثم اجتمعوا إلى أخته، واسمها ستّ الملك، وقالوا: قد تأخّر مولانا، ولم تجرِ عادته لذلك. فقالت: جاءتني رقعته بأنه يأتي بعد غد. فتفرقوا، وبعثت بالأموال إلى القوّاد على يد ابن دوّاس، فلما كان اليوم السابع البست أبا الحسن عليّاً ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس، وكان الجند قد حضروا للميعاد، فلم يرهم إلاّ وقد أخرج أبو الحسن، وهو صبيٌّ، والوزير بين يديه، فصاح: يا عبيد الدولة، مولانا تقول لكم: هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلّموا عليه! فقبّل

ابن دوّاس الأرض، والقوّاد الذين أرسلت إليهم الأموال، ودعوا له. فتبعهم الباقون ومشوا معه، ولم يزل راكباً إلى الظهر، فنزل، ودعا الناس من الغد فبايعوا له، ولقّب الظاهر لإعزاز دين اللّه، وكتبت الكتب إلى البلاد بمصر والشام بأخذ البيعة له.

وجمعت أخت الحاكم الناس، وودّعتهم، وأحسنت إليهم، ورتّبت الأمور ترتيباً حسناً، وجعلت الأمر بيد ابن دوّاس، وقالت له: إنّا نريد أن نردّ جميع أحوال المملكة إليك، ونزيد في إقطاعك، ونشرّفك بالخلع، فاختر يوماً يكون ذلك. فقبّل الأرض ودعا، وظهر الخبر به بين الناس، ثم(٣٢٠/٩)أحضرته، وأحضرت القوّاد معه، وأغلقت أبواب القصر، وأرسلت إليه خادماً وقالت له: قُل للقوّاد إنّ هذا قتل سيّدكم، واضربه بالسيف، ففعل ذلك وقتله، فلم يختلف رجلان، وباشرت الأمور بنفسها، وقامت هيبتها عند الناس، واستقامت الأمور، وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت.

ذكر الفتنة بين الأتراك والأكراد بهمذان

في هذه السنة زاد شغب الأتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة، وكان قد تقدّم ذلك منهم غير مرة، وهو يحلم عنهم بل يعجز، فقوي طمعهم، فزادوا في التوثّب والشغب، وأرادوا إخراج القوّاد القوهيّة من عنده، فلم يجبهم إلى ذلك، فعزموا على الإيقاع بهم بغير أمره، فاعتزل الأكراد مع وزيره تاج الملك أبي نصر بن بهرام إلى قلعة برجين، فسار الأتراك إليهم فحصروهم، ولم يلتفتوا إلى شمس الدولة، فكتب الوزير إلى جعفر بن كاكَوَيْه، صاحب أصبهان، يستنجده، وعيّن له ليلة يكون قدوم العساكر إليه فيها بغتةً، ليخرج هو أيضاً تلك الليلة ليكسبوا الأتراك. ففعل أبو جعفر ذلك، وسيّر ألفيْ فارس، وضبطوا الطرق لئلاّ يسبقهم الخبر، وكبسوا الأتراك سَحَراً على غفلة، ونزل الأمير والقوهيّة من القلعة، فوضعوا فيهم السيف، فأكثروا القتل، وأخذوا المال، ومَن سلم من الأتراك نجا فقيراً.

وفعل شمس الدولة بمن عنده في همذان كذلك، وأخرجهم، فمضى ثلاثمائة منهم إلى كَرْمان، وخدموا أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها.(٣٢١/٩)

ذكر القبض على أبي القاسم المغربيّ وابن فهد

في هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلّد على وزيره أبي القاسم المغربيّ، وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد بالموصل، وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابيّ، وخدم المقلّد بن المسيّب، وأصعد إلى الموصل، واقتنى بها ضياعاً، ونظر فيها لقرواش، فظلم أهلها وصادرهم، ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما، وطولب سليمان بالمال، فادّعى الفقر فقُتل .

وأما المغربيّ فإنه خدع قرواشاً، ووعده بمال له في الكوفة وبغداد، فأمر بحمله وتُرك. وفي قرواش وابن فهد يقول الشاعر، وهو ابن الزمكدم:

وليل كوجه البرقعيديّ ظلمة ... وبردٍ أغانيه، وطول قرونهِ
سريتُ، ونومي فيه نوم مشرّدٌ ... كعَقل سليمانَ بن فهدٍ ودينهِ
على أولقٍ فيه التفاتٌ كأنّه ... أبو جابرٍ في خطبهِ وجنونهِ
إلى أن بدا ضوءُ الصباحِ كأنّه ... سنا وجهِ قرواشٍ وضوء جبينهِ

وهذه الأبيات قد أجمع أهل البيان على أنها غاية في الجودة لم يُقل خير منها في معناها.

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن

في هذه السنة، في ربيع الأول، اجتمع غريب بن مقن، ونور الدولة دبيس بن عليّ بن مَزْيد الأسديّ، وأتاهم عسكر من بغداد، فقاتلوا قرواشاً، ومعه (٣٢٢/٩) رافع بن الحسين، عند كرخ سرّ من رأى، فانهزم قرواش ومن معه، وأُسر في المعركة، ونهبت خزائنه وأثقاله، واستجار رافع بغريب، وفتحوا تكريت عنوة، وعاد عسكر ببغداد إليها بعد عشرة أيّام.

ثم إن قرواشاً خلص، وقصد سلطان بن الحسين بن ثمال، أمير خفاجة، فسار إليهم جماعة من الأتراك، فعاد قرواش وانهزم ثانياً هو وسلطان، وكانت الوقعة بينهم غربيّ الفرات. ولما انهزم قرواش مدّ نوّاب السلطان أيديهم إلى أعماله فأرسل يسأل الصفح عنه، ويبذل الطاعة.

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت زناتة بإفريقية على دوابّ المعزّ بن باديس، صاحب البلاد، ليأخذوها، فخرج إليهم عمال مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم.

وفيها، في ربيع الآخر، نشأت سحابة بإفريقية أيضاً شديدة البرق والرعد، فأمطرت حجارة كثيرة ما رأى الناس أكبر منها، فهلك كلّ من أصابه شيء منها.

وفيها توفي أبو بكر محمّد بن عمر العنبريّ الشاعر، وديوانه مشهور، ومن قوله:

فنبي إلى الدهر أني لم أمُدّ يَدي ... في الراغبينَ، ولم أطلُبْ ولم أسَلِ
وأنّني كلّما نابت نوائبه ... ألفيتني بالرّزايا غيرَ مُحتفلِ
(٣٢٣/٩)

سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

ذكر الخطبة لمشرّف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبي غالب

في هذه السنة، في المحرّم، قُطعت خُطبة سلطان الدولة من

العراق، وخُطب لمشرّف الدولة، فطلب الديلم من مشرّف الدولة، أن ينحدروا إلى بيوتهم بخوزستان، فأذن لهم، وأمر وزيره أبا غالب بالانحدار معهم، فقال له: إني إن فعلتُ خاطرتُ بنفسي، ولكن أبذلها في خدمتك.

ثم انحدر في العساكر، فلمّا وصل إلى الأهواز نادى الديلم بشعار سلطان الدولة، وهجموا على أبي غالب فقتلوه، فسار الأتراك الذين كانوا معه إلى طراد بن دُبَيْس الأسديّ بالجزيرة التي لبني دُبَيْس، ولم يقدروا[أن] يدفعوا عنه، فكانت وزارته ثمانية عشر شهراً وثلاثة أيّام، وعُمره ستين سنة وخمسة أشهر، فأخذ ولده أبو العبّاس، وصودر على ثلاثين ألف دينار، فلمّا بلغ سلطان الدولة قتله واطمأنّ، وقويت نفسه، وكان قد خافه، وأنفذ ابنه أبا كاليجار إلى الأهواز فملكها.(٣٢٤/٩)

ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة

في هذه السنة مرض صدقة صاحب البطيحة، فقصدها أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين، في صفر، ليملكها، وكان أبو الهيجاء بعد موت أبيه قد تمزّق في البلاد تارة بمصر، وتارةً عند بدر بن حسنويه، وتارةً بينهما، فلمّا ولي الوزير أبو غالب أنفق عليه لأدب كان فيه، فكاتبه بعض أهل البطيحة ليسلموا إليه، فسار إليهم، فسمع به صدقة قبل موته بيومَيْن، فسيّر إليه جيشاً، فقاتلوه، فانهزم أبو الهيجاء وأخذ أسيراً، فأراد استبقاءه فمنعه سابور بن المرزبان بن مروان، وقتله بيده.

ثم توفي صدقة، بعد قتله، في صفر، فاجتمع أهل البطيحة على ولاية سابور بن المرزبان، فوليهم، وكتب إلى مشرّف الدولة يطلب أن يقرّر عليه ما كان على صدقة من الحمل، ويُستعمل على البطيحة، فأجابه إلى ذلك، وزاد في القرار عليه، واستقرّ في الأمر.

ثم إن أبا نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان زاد في المقاطعة، فلم يدخل سابور في الزيادة، فولي أبو نصر البطيحة، وسار إليها، وفارقها سابور إلى جزيرة بني دُبَيْس، واستقرّ أبو نصر في الولاية، وأمنت به الطرق.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب، الكاتب المشهور، وإليه انتهى الخطّ، ودُفن بجوار أحمد بن حَنْبَل، وكان يقصّ بجامع بغداد (٣٢٥/٩)، ورثاه المرتضى، وقيل كان موته سنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

وفيها حجّ الناس من العراق، وكان قد انقطع سنة عشر وسنة إحدى عشرة، فلمّا كان هذه السنة قصد جماعة من أعيان خراسان السلطان محمود بن سبكتكين وقالوا له: أنت أعظم ملوك الإسلام، وأثرك في الجهاد مشهور، والحجّ قد انقطع كما ترى، والتشاغل به واجب، وقد كان بدر بن حسنويه، وفي أصحابك كثير أعظم منه، يسيّر الحاجّ بتدبيره، وما له عشرون، فاجعل لهذا الأمر حظاً من اهتمامك.

فتقدّم إلى أبي محمد الناصحيّ قاضي قضاة بلاده بأن يسير بالحاجّ، وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب سوى النفقة في الصدقات، ونادى في خراسان بالتأهّب للحجّ، فاجتمع خلق عظيم، وساروا، وحجّ بهم أبو الحسن الأقساسيّ، فلمّا بلغوا فَيْد حصرهم العرب، فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم يقنعوا، وصمموا العزم على أخذ الحاجّ، وكان مقدّمهم رجل يقال له حمار بن عديّ، بضمّ العين، من بني نبهان، فركب فرسه، وعليه درعه وسلاحه، وجال جولة يُرهب بها، وكان من سمرقند شابّ يوصف بجودة الرميّ، فرماه بسهم فقتله، وتفرّق أصحابه، وسلم الحاج فحجّوا، وعادوا سالمين.

وفيها قُلّد أبو جعفر السمنانيّ الحسبة، والمواريث، ببغداد، والموتى.

وتوفي هذه السنة أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد اللّه الماليني، الصوفيّ بمصر، في شوّال، وهو من المكثرين في الحديث؛ ومحمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزّاز، المعروف بابن رزقَوَيْه، شيخ الخطيب أبي بكر، ومولده (٣٢٦/٩) سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان فقيهاً شافعيّاً، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلميّ الصوفي، النيسابوريّ، صاحب طبقات الصوفيّة؛ وأبو عليّ الحسن بن عليّ الدقّاق النّيسابوريّ الصوفيّ، شيخ أبي القاسم القشيريّ؛ وأبو الفتح بن أبي الفوارس. (٣٢٧/٩)

سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرّف الدولة

في هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرّف الدولة وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه،وكان الصُّلح بسعي من أبي محمّد بن مُكرَم، ومؤيّد الملك الرُّخجيّ، وزير مشرّف الدولة، على أن يكون العراق جميعه لمشرّف الدولة، وفارس وكَرمان لسلطان الدولة.

ذكر قتل المعزّ وزيرَهُ وصاحب جيشه

في هذه السنة قتل المعزُّ بن باديس، صاحب أفريقية، وزيره وصاحب جيشه أبا عبد اللّه محمّد بن الحسين .

وسبب ذلك أنّه أقام سبع سنين لم يحمل إلى المعزُّ من الأموال شيئًا بل يجبيها ويرفعها عنده، وطمع طمعاً عظيماً، لا يُصبر على مثله، بكثرة أتباعه، ولأنّ أخاه عبد اللّه بطرابلس الغرب

مجاورٌ لزناتة، وهم أعداء دولته، فصار المعزّ لا يكاتب ملكاً، ولا يراسله، إلاّ ويكتب أبو عبد اللّه معه عن نفسه،(٣٢٨/٩)فعظم ذلك على المعزّ وقتله.

يحكى عن أبي عبد اللّه أنّه قال: سهرتُ ليلةً أفكر في شيء أحدّثه في الناس وأخرجه عليهم من الخدم التي التزمتها، فنمتُ فرأيت عبد اللّه بن محمد الكاتب، وكان وزيراً لباديس، والد هذا المعزّ، وكان عظيم القدر والمحلّ، وهو يقول لي: اتّق اللّه، أبا عبد اللّه، في الناس كافّة، وفي نفسك خاصّة، فقد أسهرتَ عينيْك، وأبرمت حافظَيْك، وقد بدا لي منك ما خفي عليك، وعن قليل تَرِد على ما وردنا، وتقدّم على ما قدمنا. فاكتب عنّي ما أقول، فإنني لا أقول إلاّ حقّاً. فأملى عليّ هذه الأبيات:

وليتَ وقد رأيتَ مصيرَ قومٍ ... هُمُ كانوا السماء وكنتَ أرضاً

سَموا درجَ العُلى حتّى اطمأنّوا ... وهُدّ بهم، فعاد الرّفعُ خَفْضاً

وأعظمُ أسوةً لك بي لأنّي ... ملكتُ ولم أعش طُولاً وعَرضاً

فلا تغترّ بالدنيا وأقصِرْ ... فإنّ أوانَ أمرِك قد تقضّى

قال: فانتبهتُ مرعوباً، ورسخت الأبيات في حفظي، فلم يبق بعد هذا المنام غير شهرين حتى قُتل.

ولمّا وصل خبر قتله إلى أخيه عبد اللّه بطرابلس بعث إلى زناتة فعاهدهم، وأدخلهم مدينة طرابلس، فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش، وأخذوا المدينة. فلمّا سمع المعزّ ذلك أخذ أولاد عبد اللّه ونفراً من أهلهم فحبسهم، ثم قتلهم بعد أيّام، لأنّ نساء المقتولين بطرابلس استغثن إلى المعزّ في قتلهم فقتلهم.(٣٢٩/٩)

ذكر عدّة حوادث

وفيها كان بإفريقية غلاء شديد، ومجاعة عظيمة لم يكن مثلها في تعذّر الأقوات، إلاّ أنّه لم يمت فيها أحد بسبب الجوع، ولم يجد الناسُ كبير مشقّة.

وفيها، في شهر رمضان، استوزر مشرّف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرُّخّجيّ، ولُقّب مؤيّد الملك، وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء، وبنى مارستاناً بواسط، وأكثر فيه من الأدوية والأشربة، ورتّب له الخزّان والأطبّاء، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها، فلمّا قُتل أبو غالب ألزمه بها مشرّف الدولة فلم يقدر على الامتناع.

وفيها توفّي أبو الحسن عليّ بن عيسى السكريّ شاعر السُّنّة، ومولده ببغداد في صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وكان قد قرأ الكلام على القاضي أبي بكر بن الباقلانيّ، وإنّما سُمّي شاعر السنّة لأنّه أكثر مدح الصحابة، ومناقضات شعراء الشيعة.

وفيها توفي أبو عليّ عمر بن محمد بن عمر العلويّ، وأخذ السلطان ماله جميعه.

وفيها توفّي أبو عبد اللّه بن المعلّم، فقيه الإماميّة، ورثاه المرتضى.(٣٣٠/٩)

سنة أربع عشرة وأربعمائة

ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان

في هذه السنة استولى أبو جعفر بن كاكوَيْه على همذان وملكها وكذلك غيرهما ممّا يقاربها.

وسببُ ذلك أنّ فرهاذ بن مرداويج الديلميّ، مُقطَع بَرُوجِرْد، قصده سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة بن بويه، صاحب همذان، وحصره فالتجأ فرهاذ إلى علاء الدولة،فحماه ومنع عنه،وسارا جميعاً إلى همذان فحاصراها وقطعا الميرة عنها،فخرج إليهما من بها من العسكر، فاقتتلوا فرحل علاء الدولة إلى جَرْباذَقان، فهلك من عسكره ثلاثمائة رجل من شدّة البرد.

فسار إليه تاج الملك القهوئُ، مقدّم عسكر همذان، فحصره بها، فصانع علاء الدولة الأكراد الذين مع تاج الملك، فرحلوا عنه،فخلص من الحصار،وشرع بالتجهيز ليعاود حصار همذان، فأكثر من الجموع،وسار إليها،فلقيه سماء الدولة في عساكره ومعه تاج الملك، فاقتتلوا، فانهزم عسكر همذان،ومضى تاج الملك إلى قلعة فاحتمى بها، وتقدم علاء الدولة إلى سماء الدولة، (٣٣١/٩) فترجّل له وخدمته،وأخذه وأنزله في خيمته، وحمل إليه المال وما يحتاج إليه، وسار وهو معه إلى القلعة التي بها تاج الملك، فحصره وقطع الماء عن القلعة، فطلب تاج الملك الأمان فأمّنه، فنزل إليه، ودخل معه همذان.

ولما ملك علاء الدولة همذان سار إلى الدِّينور فملكها، ثم إلى سابور خُواست فملكها أيضاً، وجمع تلك الأعمال، وقبض على أمراء الديلم الذين بهمذان،وسجنهم بقلعة عند أصبهان، وأخذ أموالهم وأقطاعهم، وأبعد كل من فيه شرّ من الديلم، وترك عنده من يعلم أنه لا شرّ فيه، وأكثر القتل، فقامت هيبته، وخافه الناس . وقصد حسام الدولة أبا الشوك، فأرسل إليه مشرف الدولة يشفع فيه، فعاد عنه .

ذكر وزارة ابي القاسم المغربيّ لمشرف الدولة

في هذه السنة قبض مشرف الدولة على وزيره مؤيّد الملك الرُّخّجيّ في شهر رمضان، وكانت وزارته سنتيْن وثلاثة أيّام .

وكان سبب عزله أن الأثير الخادم تغيّر عليه لأنه صادر ابن شعيا اليهوديّ على مائة ألف دينار، وكان متعلقاً على الأثير، فسعى

وعزله، واستوزر بعده أبا القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين المغربيّ، ومولده بمصر سنة سبعين وثلاثمائة، وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن همذان، فسار إلى مصر، فتولى بها،فقتله الحاكم، فهرب ولده أبو القاسم إلى الشام، وقصد حسان بن المفرّج بن الجرّاح الطائيّ، وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته،ففعل ذلك،(٣٣٢/٩) وحسّن له أن يبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلويّ، أمير مكة، فأجابه إليه، واستقدمه إلى الرملة، وخوطب بأمير المؤمنين .

فأنفذ الحاكم إلى حسّان مالاً جليلاً، وأفسد معه حال أبي الفتوح، فأعاده حسّان إلى وادي القرى، وسار أبو الفتوح منه إلى مكة . ثم قصد أبو القاسم العراق، واتصل بفخر الملك، فاتهمه القادر باللّه لأنه من مصر، فأبعده فخر الملك، فقصد قرواشاً بالموصل، فكتب له، ثمّ عاد عنه،وتنقلت به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملكّ الرُّخّجيّ .

وكان خبيثاً، محتالاً، حسوداً، إذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله.

وفيها، في المحرّم، قدم مشرّف الدولة إلى بغداد، ولقيه القادر باللّه في الطيّار وعليه السواد، ولم يلقَ قبله أحداً من ملوك بني بويه .

وفيها قتل أبو محمّد بن سهلان، قتله نبكير بن عياض عند إيذَج.

ذكر الفتنة بمكة

في هذه السنة كان يوم النَّفْر الأول يوم الجمعة، فقام رجل من مصر، بإحدى يديه سيف مسلول، وفي الأخرى دبُّوس، بعدما فرغ الإمام من الصلاة، فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدّبّوس، وقال : إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمّد وعليّ؟ فليمنعني مانع من هذا، فإني أريد [أن] أهدم البيت. فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه، (٣٣٣/٩) وكاد يفلت، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله، وقطعه الناس وأحرقوه، وقُتل ممّن اتّهم بمصاحبته جماعةً وأُحرقوا، وثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلاً غير من اختفى منهم .

وألحّ الناس، ذلك اليوم، على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب، وعلى غيرهم في طريق مِنى إلى البلد . فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا، وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل، فقالوا: نحن مائة رجل؛ فضربت أعناق هؤلاء الأربعة، وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات، فأُخذ ذلك الفتات وعجن بلكّ وأعيد إلى موضعه.

ذكر فتح قلعة من الهند

في هذه السنة أوغل يمين الدولة محمود بن سبكتكين في بلاد الهند، فغنم وقتل، حتى وصل إلى قلعة على رأس جبل منيع، ليس له مصعد إلاّ من موضع واحد، وهي كبيرة تسَعُ خلقاً، وبها خمسمائة فيل، وفي رأس الجبل من الغلاّت، والمياه، وجميع ما يحتاج الناس إليه،فحصرهم يمين الدولة، وأدام الحصار،وضيّق عليهم، واستمرّالقتال، فقُتل منهم كثير.

فلماّ رأوا ما حلّ بهم أذاعوا له، وطلبوا الأمان،فأمّنهم وأقرّ ملكهم فيها على خراج يأخذ منه، وأهدى له هدايا كثيرة، منها طائر على هيئة القُمريُّ(٣٣٤/٩)من خاصيته إذا أُحضر الطعام وفيه سمٌّ دمعت عينا هذا الطائر وجرى منهما ماء وتحجّر، فإذا حُكّ وجعل على الجراحات الواسعة ألحمها.

ذكر عدّة حوادث

فيها تُوفّي القاضي عبد الجبّار بن أحمد المعتزليُّ الرّازي،صاحب التصانيف المشهورة في الكلام وغيره، وكان موته بمدينة الرّيّ، وقد جاوز تسعين سنة؛ وأبو عبد اللّه الكَشْغَليُّ، الفقيه الشافعيُّ، وأبو جعفر محمّد بن أحمد الفقيه الحنفيُّ النسفيُّ، وكان زاهداً مصنّفاً؛ وهلال بن محمّد بن جعفر أبو الفتح الحفّار، ومولده سنة اثنتين وعشرون وثلاثمائة، وكان عالِماً بالحديث، عالي الإسناد.(٣٣٥/٩)

سنة خمس عشرة وأربعمائة

ذكر الخلف بين مشرّف الدولة و الأتراك وعزل الوزير المغربيّ

في هذه السنة تأكّدت الوحشة بين الأتراك عنبر الخادم، ومعه الوزير ابن المغربيّ، وبين الأتراك، فاستأذن الأتراك والوزير ابن المغربيّ الملك مشرّف الدولة في الانتزاح إلى بلد يأمنان فيه على أنفسهما، فقال :أنا أسير معكما. فساروا جميعاً ومعهم جماعة من مقدّمي الديلم إلى السنديّة، وبها قرواش، فأنزلهم، ثمّ ساروا كلهم إلى أوانا .

فلماّ علم الأتراك ذلك عظم عليهم، وانزعجوا منه، وأرسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبيّ وجماعة من قوّاد الأتراك يعتذرون، ويقولون : نحن العبيد؛ فكتب إليهم أبو القاسم المغربيّ: إنني تأمّلتُ ما لكم من الجامكيّات، فإذا هي ستمائة ألف دينار، وعملتُ دخْل بغداد، فإذا هو أربعمائة ألف دينار، فإن أسقطتم مائة ألف دينار تحمّلتُ بالباقي؛ فقالوا: نحن نسقطها ؛ فاستشعر منهم أبو القاسم المغربيّ، فهرب إلى قرواش، فكانت وزارته عشرة أشهر

وخمسة أيام، فلمّا أبعد خرج الأتراك فسألوا الملك والأثير الانحدار معهم، فأجابهم إلى ذلك وانحدروا جميعهم .(٣٣٦/٩)

ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبي القاسم المغربيّ لابن مروان

في هذه السنة وقعت فتنة الكوفة بين العلويين والعباسيين.

وسببها أنّ المختار أبا عليّ بن عبد اللّه العلويّ وقعت بينه وبين الزكي أبي عليّ النهرسابسيّ، وبين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب بن عمر مباينة، فاعتضد المختار بالعباسيين، فساروا إلى بغداد، وشكوا ما يفعل بهم النهرسابسي، فتقدم الخليفة القادر باللّه بالإصلاح بينهم مراعاة لأبي القاسم الوزير المغربيّ لأنّ النهرسابسيّ كان صديقه، وابن أبي طالب كان صهره، فعادوا، واستعان كلّ فريق بخفاجة، فأعان كل فريق من الكوفيين طائفة، فجرى بينهم قتال، فظهر العلويّون، وقُتل من العباسيين ستّة نفر، وأُحرقت دورهم ونُهبت، فعادوا إلى بغداد، ومُنعوا من الخطبة يوم الجمعة، وثاروا، وقتلوا ابن العبّاس العلويّ وقالوا: إنّ أخاه كان في جملة الفَتَكة بالكوفة.

فبرز أمر الخليفة إلى المرتضى يأمره بصرف ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة، وردّها إلى المختار، فأنكر الوزير المغربي ما يجري على صهره ابن أبي طالب من العزل، وكان عند قرواش بسُرّ من رأى، فاعترض أرحاء كانت للخليفة بدَرزيجان، فأرسل الخليفة القاضي أبا جعفر السمنانيّ في رسالة إلى قرواش يأمره بإبعاد المغربيّ عنه، ففعل، فسار المغربيّ إلى ابن مروان بديار بكر، وغضب الخليفة على النهرسابسي، وبقي تحت السخط إلى سنة ثماني عشرة وأربعمائة، فشفع فيه الأتراك وغيرهم فرضي عنه، وحلّفه على الطاعة، فحلف .(٣٣٧/٩)

ذكر وفاة سلطان الدولة ومُلك ولده أبي كاليجار وقتل ابن مُكرم

في هذه السنة، في شوّال، توفيّ الملك سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بشيراز، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر . وكان ابنه أبو كاليجار بالأهواز، فطلبه الأوحد أبو محمّد بن مُكرَم ليملك بعد أبيه، وكان هواه معه، وكان الأتراك يريدون عمّه أبا الفوارس ابن بهاء الدولة،صاحب كَرمان، فكاتبوه يطلبون إليهم أيضاً، فتأخّر أبو كاليجار عنها، فسبقه عمّه أبو الفوارس إليها فملكها.

وكان أبو المكارم بن أبي محمّد بن مُكرَم قد أشار على أبيه، لما رأى الاختلاف، أن يسير إلى مكان يأمن فيه على نفسه،فلم يقبل قوله، فسار وتركه وقصد البصرة، فندم أبوه حيث لم يكن معه، فقال له العادل أبو المنصور ابن مافنّة : المصلحة أن تقصد سيرافَ، وتكون مالك أمرك، وابنك أبو القاسم بعُمان فتحتاج الملوك إليك. فركب سفينة ليمضي فيها، فأصابه برد، فبطل عن الحركة، وأرسل العادل بن مافنّة إلى كرمان لإحضار أبي الفوارس، فسار إليه العادل وأبلغه رسالة ابن مكرم باستدعائه، فسار مجدّاً ومعه العادل، فوصلوا إلى فارس، وخرج ابن مُكرم يلتقي أبا الفوارس ومعه الناس، فطالبه الأجناد بحقّ البيعة، فأحالهم على ابن مكرم، فتضجّر ابن مكرم، فقال له العادل: الرأي أن تبذل مالك وأموالنا حتّى تمشي الأمور؛ فانتهره فسكت، وتلوّم ابن مُكرَم بإيصال المال إلى الأجناد، فشكوه إلى أبي الفوارس، فقبض عليه وعلى العادل بن مافنّة، ثم قتل ابنَ مُكرَم واستبقى ابن مافنّة.(٣٣٨/٩)

فلما سمع ابنه أبو القاسم بقتله صار مع الملك أبي كاليجار وأطاعه، وتجهّز أبو كاليجار، وقام بأمره أبو مزاحم صندل الخادم، وكان مربّيه، وساروا بالعساكر إلى فارس، فسيّر عمّه أبو الفوارس عسكراً مع وزيره أبي منصور الحسن بن عليّ الفسويّ لقتاله، فوصل أبو كاليجار والوزير متهاون به لكثرة عسكره، فأتوه وهو نائم، وقد تفرّق عسكره في البلد يبتاعون ما يحتاجون إليه، وكان جاهلاً بالحرب، فلما شاهدوا أعلام أبي كاليجار شرع الوزير يرتّب العسكر، وقد داخلهم الرعب، فحمل عليهم أبو كاليجار وهم على اضطراب، فانهزموا، وغنم أبو كاليجار وعسكره أموالهم، ودوابّهم، وكلّ مالهم، فلما انتهى خبر الهزيمة إلى عمه أبي الفوارس سار إلى كرمان، وملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز.

ذكر عود أبي الفوارس وإخراجه عنها

ولمّا ملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز جرى على الديلم الشيرازيّة من عسكره ما أخرجه عن طاعته، وتمنّوا معه أنّهم كانوا قُتلوا مع عمّه.

وكان جماعة من الديلم بمدينة فَسا في طاعة أبي الفوارس، وهم يريدون أن يصلحوا حالهم مع أبي كاليجار ويصيروا معه، فأرسل إليهم الديلم الذين بشيراز يعرّفونهم ما يلقَون من الأذى، ويأمرونهم بالتمسّك بطاعة أبي الفوارس، ففعلوا ذلك.(٣٣٩/٩)

ثم إن عسكر أبي كاليجار طالبوه بالمال، وشغبوا عليه، فأظهر الديلم الشيرازيّة ما في نفوسهم من الحقد، فعجز عن المقام معهم، فسار عن شيراز إلى النُوبَندَجان، ولقي شدّة في طريقه، ثم انتقل عنها لشدّة حرّها، ووخامة هوائها، ومرض أصحابه، فأتى شِعب بوّان فأقام به.

فلما سار عن شيراز أرسل الديلم الشيرازيّة إلى عمّه أبي الفوارس يحثّونه على المجيء إليهم، ويعرّفونه بُعد أبي كاليجار عنهم، فسار إليهم، فسلّموا إليه شيراز، وقصد إلى أبي كاليجار بشِعب بوّان ليحاربه ويخرجه عن البلاد، فاختار العسكران الصُلح،

فسفروا فيه، فاستقرّ لأبي الفوارس كَرمان وفارس، ولأبي كاليجار خُوزستان، وعاد أبو الفوارس إلى شيراز، وسار أبو كاليجار إلى أرّجان.

ثم إن وزير أبي الفوارس خبّط الناس، وأفسد قلوبهم، وصادرهم، وجاز به مال لأبي كاليجار، والديلم الذين معه، فأخذه، فحينئذ حثّ العادل ابن مافنّة صندلاً الخادم على العود إلى شيراز، وكان قد فارق بها نعمة عظيمة، وصار مع أبي كاليجار، وكان الديلم يطيعونه، فعادت الحال إلى أشدّ مما كانت عليه، فسار كلّ واحد من أبي كاليجار وعمّه أبي الفوارس إلى صاحبه، والتقوا واقتتلوا، فانهزم أبو الفوارس إلى دارابجرد وملك أبو كاليجار فارس، وعاد أبو الفوارس فجمع الأكراد فأكثر، فاجتمع معه منهم نحو عشرة آلاف مقاتل، فالتقوا بين البيضاء وإصطَخْر فاقتتلوا أشد من القتال الأول، فعاود أبو الفوارس الهزيمة، فسار إلى كرمان، واستقر ملك أبي كاليجار بفارس سنة سبع عشرة وأربعمائة، وكان أهل شيراز يكرهونه.(٣٤٠/٩)

ذكر خروج زناتة والظفر بهم

في هذه السنة خرج بإفريقية جمع كثير من زناتة، فقطعوا الطريق، وأفسدوا بقَسْطيلية ونفزاوة، وأغاروا وغنموا، واشتدت شوكتهم، وكثر جمعهم. فسيّر إليهم المعزّ بن باديس جيشاً جريدة، وأمرهم أن يجدّوا السير ويسبقوا أخبارهم، ففعلوا ذلك وكتموا خبرهم، وطووا المراحل حتى أدركوهم وهم آمنون من الطلب، فوضعوا فيهم السيف، فقُتل منهم خلق كثير، وعلّق خمسمائة رأس بأعناق الخيول، وسُيّرت إلى المعزّ، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً.

ذكر عود الحاج على الشام وما كان من الظاهر إليهم

في هذه السنة عاد الحجّاج من مكة إلى العراق على الشام لصعوبة الطريق المعتاد، فلما وصلوا إلى مكة بذل لهم الظاهر العلويّ، صاحب مصر، أموالاً جليلة وخلعاً نفيسة، وتكلّف شيئاً كثيراً، وأعطى لكلّ رجل في الصحبة جملة من المال ليظهر لأهل خُراسان ذلك.

وكان على تسيير الحجاج الشريف أبو الحسن الأقساسيّ، وعلى حجاج خراسان حسنك نائب يمين الدولة بن سبكتكين، فعظم ما جرى على الخليفة القادر باللّه، وعبر حَسنَك دجلة عند أوانا، وسار إلى خراسان، وتهدّد القادر باللّه ابن الأقساسيّ، فمرض فمات، ورثاه المرتضى وغيره، وأرسل إلى يمين الدولة في المعنى، فسيّر يمين الدولة الخلع التي خلعت على صاحبه حسنك إلى بغداد فأحرقت.(٣٤١/٩)

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تزوج السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه، وكان الصداق خمسين ألف دينار، وتولّى العقد المرتضى.

وفيها قلّد القاضي أبو جعفر السمنانيّ قضاء الرصافة وباب الطاق.

وفيها توفي أبو الحسن عليّ بن محمّد السِّمسِميّ الأديب؛ وابن الدقّاق النحويّ؛ وأبو الحسين بن بشران المحدّث، وعمره سبع وثمانون سنة؛ والقاضي أبو محمد بن أبي حامد المَرْوَرُوذيّ قاضي البصرة بها؛ وأبو الفرج أحمد بن عمر المعروف بابن المسْلمة، الشاهد، وهو جدّ رئيس الرؤساء؛ وأحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم أبو الحسن المحامليّ، الفقيه الشافعيّ، تفقّه على أبي حامد، وصنّف المصنفات المشهورة؛ وعبيد اللّه بن عمر بن عليّ بن محمد بن الأشرس أبو القاسم المقرئ، الفقيه الشافعي.(٣٤٢/٩)

سنة سِت عشرة وأربعمائة

ذكر فتح سومَنات

في هذه السنة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدّة حصون ومدن، وأخذ الصنم المعروف بسومنات، وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند، وهم يحجّون إليه كل ليلة خسوف، فيجتمع عنده ما ينيّف على مائة ألف إنسان، وتزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على مذهب التناسخ، فينشئها فيمن شاء، وأن المدّ والجزر الذي عنده إنما هو عبادة البحر على قدر استطاعته.

وكانوا يحملون إليه كل عِلق نفيس، ويعطون سدنته كلّ مال جزيل، وله من الموقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية، وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر ما لا تحصى قيمته.

ولأهل الهند نهر كبير يسمّى كنك يعظمونه غاية التعظيم، ويُلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم، ويعتقدون أنها تساق إلى جنّة النعيم.

وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتيْ فرسخ، وكان يحمل من مائه كلّ يوم إلى سومنات ما يغسل به، ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف(٣٤٣/٩)رجل لعبادته وتقديم الوفود إليه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زوّاره ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنّون ويرقصون على باب الصنم، ولكل واحد من

هؤلاء شيء معلوم كلّ يوم.

وكان يمين الدولة كلّما فتح من الهند فتحاً وكسر صنماً، يقول الهنود: إنّ هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راضٍ عنها لأهلك من تقصّدها بسوء، فلمّا بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه، ظناً منه أنّ الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادّعائهم الباطل دخلوا في الإسلام، فاستخار اللّه تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان من هذه السنة، في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوّعة، وسلك سبيل المُلتان، فوصلها منتصف شهر رمضان.

وفي طريقه إلى الهند بريّة قفْر، لا ساكن فيها، ولا ماء، ولا ميرة، فتجهّز هو وعسكره على قدرها، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة، وقصد أنْهَلْوَارة، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصوناً مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوّروها ليتعذّر عليه حصرها، فيسّر اللّه تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم، وتسلّمها، وقتل سكّانها وأهلك أوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون إليه.

وسار إلى أنْهَلْوارة فوصلها مستهلّ ذي القعدة، فرأى صاحبها المدعو بَهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصناً له يحتمي به، فاستولى يمين الدولة على المدينة، وسار إلى سومنات، فلقي في طريقه عدّة(٣٤٤/٩)حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجّاب والنقباء لسومنات، على ما سوّل لهم الشيطان، فقاتل من به، وفتحها وخرّبها، وكسر أصنامها، وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك، فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم، فهزموهم وغنموا مالهم، وامتاروا من عندهم، وساروا حتى بلغوا دُبُولْوَارة، وهي على مرحلتين من سومنات، وقد ثبت أهلها له ظنّاً منهم أنّ سومنات يمنعهم ويدفع عنهم، فاستولى عليها، وقتل رجالها، وغنم أموالها، وسار عنها إلى سومنات، فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه، وأهله على الأسوار يتفرّجون على المسلمين، واثقين أنّ معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم.

فلمّا كان الغد، وهو الجمعة، زحف وقاتل من به، فرأى الهنود من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور، فنصب المسلمون عليه السلاليم، وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الإخلاص، وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتدّ القتال، وعظم الخطب، وتقدّم جماعة الهنود إلى سومنات، فعفّروا له خدودهم، وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكفّ بعضهم عن بعض.

فلمّا كان الغد بكّر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا في الهنود القتل، وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم سومنات، فقاتلوا على بابه أشدّ قتال، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى سومنات فيعتقونه ويبكون، ويتضرّعون إليه، ويخرجون فيقاتلون إلى أن يُقتلوا، حتّى كاد الفناء يستوعبهم، فبقي منهم القليل، فدخلوا البحر إلى مركبَيْن لهم لينجوا فيهما، فأدركهم(٣٤٥/٩)المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعض.

وأمّا البيت الذي فيه سومنات فهو مبنيّ على ست وخمسين سارية من الساج المصفّح بالرصاص، وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع: ثلاثة مدوّرة ظاهرة، وذراعان في البناء، وليس بصورة مصوّرة، فأخذه يمين الدولة فكسره، وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة، فجعله عتبة الجامع.

وكان بيت الصنم مظلماً، وإنّما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس، وزنها مائتا منّ، كلّما مضى طائفة معلومة من الليل حرّكت السلسلة فيصوّت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين إلى عبادتهم؛ وعنده خزانة فيها عدّة من الأصنام الذّهبيّة والفضيّة، وعليها الستور المعلّقة المرصّعة بالجوهر، كلّ واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم، وقيمة ما في البيوت تزيد على عشرين ألف ألف دينار، فأخذ الجميع، وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل.

ثم إنّ يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب أنهلوارة قد قصد قلعة تسمّى كندهَة في البحر، بينها وبين البرّ من جهة سومنات أربعون فرسخاً، فسار إليها يمين الدولة من سومنات، فلمّا حاذى القلعة رأى رجلَيْن من الصيّادين، فسألهما عن خوض البحر هناك، فعرّفاه أنّه يمكن خوضه لكن إن تحرّك الهواء يسيراً غرق من فيه. فاستخار اللّه تعالى، وخاضه هو ومن معه، فخرجوا سالمين، فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها، وقصد المنصورة، وكان صاحبها قد ارتدّ عن الإسلام، فلمّا بلغه خبر مجيء يمين الدولة (٣٤٦/٩)فارقها واحتمى بغياض أشِبّة، فقصده يمين الدولة من موضعَيْن، فأحاط به وبمن معه، فقتل أكثرهم، وغرق منهم كثير، ولم ينج منهم إلاّ القليل.

ثم سار إلى بَهاطِيَة، فأطاعه أهلها، ودانوا له، فرحل إلى غزنة، فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة.

ذكر وفاة مشرّف الدولة وملك أخيه جلال الدولة

في هذه السنة، في ربيع الأول، توفّي الملك مشرّف الدولة أبو عليّ بن بهاء الدولة بمرض حادّ، وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر، ومُلكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوماً، وكان كثير الخير، قليل الشر، عادلاً، حسن السيرة، وكانت والدته في الحياة، وتوفّيت سنة خمس وعشرين[وأربعمائة].

ولمّا توفّي مشرّف الدولة خُطب ببغداد، بعد موته، لأخيه أبي الطاهر جلال الدولة، وهو بالبصرة، وطُلب إلى بغداد، فلم يصعد إليها، وإنّما بلغ إلى واسط، وأقام بها، ثم عاد إلى البصرة، فقُطعت خطبته، وخُطب لابن أخيه الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة في شوّال، وهو حينئذ صاحب خوزستان، والحرب بينه وبين عمّه أبي الفوارس، صاحب كَرمان بفارس، فلمّا سمع جلال الدولة بذلك أصعد إلى بغداد، فانحدر عسكرها ليردّوه عنها، فلقوه بالسِّيب من أعمال النّهروان، فردّوه فلم يرجع، فرموه بالنشّاب، ونهبوا بعض خزائنه، فعاد إلى البصرة، وأرسلوا إلى الملك أبي كاليجار ليصعد(٣٤٧/٩)إلى بغداد ليملّكوه، فوعدهم الإصعاد، ولم يمكنه لأجل صاحب كرمان، ولمّا أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد بن ماكولا.

ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرُّها

وفي هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر، مدينة الرُّها.

وكان سبب ملكها أنّ الرُّها كانت لرجل من بني نُمير يسمّى عُطيْراً، وفيه شرّ وجهل، واستخلف عليها نائباً له اسمه أحمد بن محمّد، فأحسن السيرة، وعدل في الرعيّة، فمالوا إليه.

وكان عُطير يقيم بحلّته، ويدخل البلد في الأوقات المتفرّقة، فرأى أنّ نائبه يحكم البلد، ويأمر وينهى، فحسده، فقال له يوماً: قد أكلتَ مالي، واستوليت على بلدي، وصرت الأمير وأنا النائب؛ فاعتذر إليه، فلم يقبل عذره وقتله. فأنكرت الرعية قتله، وغضبوا على عُطير، وكاتبوا نصر الدولة ابن مروان ليسلّموا إليه البلد، فسيّر إليهم نائباً كان له بآمد يسمّى زنك، فتسلّمها وأقام بها ومعه جماعة من الأجناد، ومضى عُطَير إلى صالح بن مرداس، وسأله الشفاعة له إلى نصر الدولة، فشفع فيه، فأعطاه نصف البلد، ودخل عُطَير إلى نصر الدولة بميّافارقين، فأشار أصحاب نصر الدولة بقبضه، فلم يفعل وقال: لا أغدر به وإن كان أفسد، وأرجو أن أكفّ شرّه بالوفاء. وتسلّم عُطَير نصف البلد ظاهراً وباطناً، وأقام فيه مع نائب نصر الدولة.(٣٤٨/٩) ثم إن نائب نصر الدولة عمل طعاماً ودعاه، فأكل وشرب، واستدعى ولداً كان لأحمد الذي قتله عُطَير، وقال: تريد أن تأخذ بثأر أبيك؟ قال: نعم! قال: هذا عُطَيرٌ عندي في نفر يسير، فإذا خرج فتعلّق به في السوق وقلْ له: يا ظالم قتلتَ أبي، فإنّه سيجرّد سيفه عليك، فإذا فعل فاستنفر الناس عليه واقتله وأنا من ورائك. ففعل ما أمره، وقتل عُطَيراً ومعه ثلاثة نفر من العرب. فاجتمع بنو نُمير وقالوا: هذا فعل زنك، ولا ينبغي لنا أن نسكُت عن ثأرنا، ولئن لم نقتله ليُخرجنا من بلادنا. فاجتمعت نمير، وكمنوا له بظاهر البلد كميناً، وقصد فريق منهم البلد، فأغاروا على ما يقاربه. فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر، وطلب القوم، فلمّا جاوز الكمناء خرجوا عليه، فقاتلهم، فأصابه حجر مقلاع، فسقط وقُتل، وكان قتله سنة ثماني عشرة وأربعمائة في أوّلها، وخلصت المدينة لنصر الدولة.

ثم إن صالح بن مرداس شفع في ابن عُطَير وابن شبل النُّميريّين ليردّ الرُّها إليهما، فشفّعه وسلّمها إليهما، وكان فيها بُرجان أحدهما أكبر من الآخر، فأخذ ابن عطير البرج الكبير، وأخذ ابن شبل البُرج الصغير، وأقاما في البلد إلى أن باعه ابن عطير من الروم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر غرق الأسطول بجزيرة صقليّة

في هذه السنة خرج الروم إلى جزيرة صِقليّة في جمع كثير، وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قِلُّوريّة، وهي مجاورة لجزيرة صِقليّة، وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن أُخت الملك. فبلغ ذلك(٣٤٩/٩)المعزّ بن باديس، فجهّز أسطولاً كبيراً: أربعمائة قطعة، وحشد فيها، وجمع خلقاً كثيراً، وتطوّع جمع كثير بالجهاد، رغبة في الأجر، فسار الأسطول في كانون الثاني، فلمّا قرب من جزيرة قَوصَرة، وهي قريب من برّ إفريقية، خرج عليهم ريح شديدة، ونوء عظيم، فغرق أكثرهم، ولم ينج إلاّ يسير.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ظهر أمر العيّارين ببغداد، وعظم شرّهم، فقتلوا النفوس، ونهبوا الأموال، وفعلوا ما أرادوا، وأحرقوا الكرخ، وغلا السعر بها حتّى بيع كرّ الحنطة بمائتي دينار قاسانيّة.

وفيها قبض جلال الدولة على وزيره أبي سعد بن ماكولا، واستوزر ابن عمّه أبا عليّ بن ماكولا.

وفيها أرسل القادر بالله القاضي أبا جعفر السمنانيّ إلى قرواش يأمره بإبعاد الوزير أبي القاسم المغربيّ، وكان عنده، فأبعده، فقصد نصر الدولة بن مروان بميّافارقين وقد تقدّم السبب فيه.

وفيها توفي الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان، وزير مشرّف الدولة أبي الفوارس، وعمره ستّ وسبعون سنة.(٣٥٠/٩)

وقاضي القضاة أبو الحسن أحمد بن أبي الشوارب، ومولده في ذي القعدة سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكان عفيفاً، نزهاً، وقيل توفّي سنة سبع عشرة.

وبسيل ملك الروم، وملك بعد أخوه قُسْطنطين.

وفيها ورد رسول محمود بن سبكتكين إلى القادر بالله ومعه

خِلع قد سيّرها له الظاهر لإعزاز دين اللّه العلويّ، صاحب مصر، ويقول: أنا الخادم الذي أرى الطاعة فرضاً؛ ويذكر إرسال هذه الخلع إليه، وأنّه سيّرها إلى الديوان ليرسم فيها بما يرى، فأُحرقت على باب النُّوبي، فخرج منها ذهب كثير تصدّق به على ضعفاء بني هاشم.

وفيها توفّي سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة، وكان كاتباً سديداً، وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلّد، وبقيت إلى أن احترقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد سنة خمسين وأربعمائة.

وفيها توفّي عثمان الخركوشيّ، الواعظ النّيسابوريّ، وكان صالحاً، خيّراً، وكان إذا دخل على محمود بن سبكتكين يقوم ويلتقيه، وكان محمود قد قسّط على نيسابور مالاً يأخذه منهم، فقال له الخركوشيّ: بلغني أنك تكدّي الناس، وضاق صدري؛ فقال: وكيف؟ قال: بلغني أنّك تأخذ أموال الضعفاء، وهذه كدية. فترك القسط وأطلقه.

وفيها بطل الحجّ من العراق وخراسان.(٣٥١/٩)

سنة سبع عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الأكراد الجوزقان .

وكان سببها أن علاء الدولة استعمل أبا جعفر ابن عمّه على سابور خُواست وتلك النواحي، فضمّ إليه الأكراد الجوزقان، وجعل معه على الأكراد أبا الفرج البابويّ، منسوب إلى بطن منهم، فجرى بين أبي جعفر وأبي الفرج مشاجرة أدّت إلى المنافرة، فأصلح بينهما علاء الدولة، وأعادهما إلى عملهما .

فلم يزل الحقد يقوى، والشرّ يتجدّد، فضرب أبو جعفر أبا الفرج بلُتّ كان في يده فقتله، فنفر الجوزقان بأسرهم، ونهبوا وأفسدوا، فطلبهم علاء الدولة، وسيّر عسكراً، واستعمل عليهم أبا منصور ابن عمّه أخا أبي جعفر الأكبر، وجعل معه فرهاذ بن مرداويج، وعلي بن عمران .

فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا إلى علي بن عمران يسألونه أن يصلح حالهم مع علاء الدولة، وقصده جماعة منهم، فشرع في الإصلاح، فطالبه أبوجعفر وفرهاذ بالجماعة الذين قصدوه ليسلّمهم إليهما، وأرادا أخذهم منه قهراً، (٣٥٢/٩) فانتقل إلى الجوزقان، واحتمى كل منهم بصاحبه، وجرى بين الطائفتين قتال غير مرّة كان في آخره لعلي بن عمران والجوزقان، فانهزم فرهاذ، وأُسر أبو منصور وأبو جعفر، ابنا عمّ علاء الدولة . فأما أبو جعفر فقُتل قصاصاً بأبي الفرج ؛ وأما أبو منصور فسُجن. فلما قُتل أبو جعفر علم علي بن عمران أن الأمر قد فسد مع علاء الدولة، ولا يمكن إصلاحه، فشرع في الاحتياط.

ذكر الحرب بين قرواش وبني أسد وخفاجة

في هذه السنة اجتمع دُبيس بن علي بن مَزْيد الأسديّ وأبو الفتيان منيع بن حسان، أمير بني خفاجة، وجمعا عشائرهما وغيرهم، وانضاف إليهما عسكر بغداد على قتال قرواش بن المقلّد العُقيليّ .

وكان سببه أن خفاجة تعرّضوا إلى السواد ما بيد قرواش منه، فانحدر من الموصل لدفعهم، فاستعانوا بدُبيس،فسار إليهم، واجتمعوا، فأتاهم عسكر بغداد فالتقوا بظاهر الكوفة، وهي لقرواش، فجرى بين مقدّمته ومقدّمتهما مناوشة .

وعلم قرواش أنه لا طاقة له بهم، فسار ليلا جريدة في نفر يسير، وعلم أصحابه بذلك، فتبعوه منهزمين، فوصلوا إلى الأنبار، وسارت أسد وخفاجة خلفهم، فلما قاربوا الأنبار فارقها قرواش إلى حلله، فلم يمكنهم الإقدام عليه، واستولوا على الأنبار، ثم تفرّقوا.(٣٥٣/٩)

ذكر الفتنة ببغداد وطمع الأتراك والعيّارين

في هذه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد، فأكثروا مصادرات الناس، وأخذوا الأموال، حتى إنهم قسّطوا على الكرخ خاصّة مائة ألف دينار، وعظم الخطب، وزاد الشرّ، وأُحرقت المنازل، والدروب، والأسواق، ودخل في الطمع العامّة والعيّارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره، كما يفعل السلطان بمن يصادره، فعمل الناس الأبواب على الدروب، فلم تغن شيئا، ووقعت الحرب بين الجند والعامّة، فظفر الجند، ونهبوا الكرخ وغيره، فأُخذ منه مال جليل، وهلك أهل السُّتر والخير .

فلما رأى القوّاد وعقلاء الجند أن الملك أبا كاليجار لا يصل إليهم، وأن البلاد قد خربت، وطمع فيهم المجاورون، من العرب والأكراد، راسلوا جلال الدولة في الحضور إلى بغداد، فحضر، على ما نذكره سنة ثماني عشرة وأربعمائة .

ذكر إصعاد الأثير إلى الموصل والحرب الواقعة بين بني عُقَيْل

في هذه السنة أصعد الأثير عنبر إلى الموصل من بغداد .

وكان سببه أن الأثير كان حاكما في الدولة البويهيّة، ماضي الحكم، نافذ الأمر، والجند من أطوع الناس له، وأسمعهم لقوله . فلما كان الأن زال ذلك، (٣٥٤/٩) وخالفه الجند،فزالت طاعته

عنهم، فلم يلتفتوا إليه، فخافهم على نفسه، فسار إلى قرواش، فندم الجند على ذلك، وسألوه أن يعود، فلم يفعل وأصعد إلى الموصل مع قرواش، فأُخذ ملكه وإقطاعه بالعراق .

ثم إن نجدة الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا جمعاً كثيراً من عُقيل، وانضم إليهم بدران أخو قرواش، وساروا يريدون حرب قرواش، وكان قرواش لما سمع خبرهم قد اجتمع هو وغريب بن مقن، والأثير عنبر، وأتاه مدد من ابن مروان، فاجتمع في ثلاثة عشر ألف مقاتل، فالتقوا عند بَلَد واقتتلوا، وثبت بعضهم لبعض، وكثر القتل، ففعل ثروان بن قراد فعلاً جميلا، وذاك أنه قصد غريباً في وسط المصافّ واعتنقه وصالحه، وفعل أبو الفضل بدران بن المقلّد بأخيه قرواش كذلك، فاصطلح الجميع، وأعاد قرواش إلى أخيه بدران مدينة نَصيبين .

ذكر إحراق خفاجة الأنبار وطاعتهم لأبي كاليجار

في هذه السنة سار منيع بن حسّان أمير خفاجة إلى الجامعين، وهي لنور الدولة دُبيس، فنهبها، فسار دبيس في طلبه إلى الكوفة، ففارقها وقصد الأنبار، وهي لقرواش كان استعادها بعد ما ذكرناه قبل، فلما نازلها منيع قاتله أهلها، فلم يكن لهم بخفاجة طاقة، فدخل خفاجة الأنبار ونهبوها، وأحرقوا أسواقها، فانحدر قرواش إليهم ليمنعهم، وكان مريضاً، ومعه غريب والأثير عنبر، إلى الأنبار ثم تركها ومضى إلى القصر، فاشتد طمع خفاجة وعادوا إلى الأنبار فأحرقوها مرة ثانية . (٣٥٥/٩)

وسار قرواش إلى الجامعَيْن، فاجتمع هو ونور الدولة دبيس بن مَزْيد في عشرة آلاف مقاتل، وكانت خفاجة في ألف، فلم يقدم قرواش في ذلك الجيش العظيم على هذه الألف، وشرع أهل الأنبار في بناء سور على البلد، وأعانهم قرواش وأقام عندهم الشتاء، ثم إن منيع بن حسان سار إلى الملك أبي كاليجار، فأطاعه، فخلع عليه، وأتى منيع الخفاجيّ إلى الكوفة فخطب فيها لأبي كاليجار، وأزال حكم عُقيل عن سَقي الفرات .

ذكر الصلح بإفريقية بين كتامة وزناتة وبين المعزّ بن باديس

في هذه السنة وردت رسل زناتة وكتامة إلى المعز بن باديس، صاحب إفريقية، يطلبون منه الصلح، وأن يقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه، وشرطوا أنهم يحفظون الطريق، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم، فأجابهم إلى ما سألوا، وجاءت مشيخة زناتة وكتامة إليه، فقبلهم وأنزلهم ووصلهم، وبذل لهم أموالاً جليلة .

ذكر وفاة حمّاد بن المنصور وولاية ابنه القائد

في هذه السنة توفّي حماد بن بُلَكّين، عمّ المعز بن باديس، صاحب إفريقية، وكان خرج من قلعته متنزّهاً، فمرض ومات وحُمل إلى القلعة فدُفن (٣٥٦/٩) بها، ووليَ بعده ابنه القائد، وعظم على المعز موته، لأن الأمر بينهما كان قد صلح، واستقامت الأمور للمعز بعده، وأذعن له أولاد عمه حماد بالطاعة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء في دجلة والأنهار الكبيرة، فأما السواقي فإنها جمدت كلّها، وتأخر المطر وزيادة دجلة، فلم يُزرع في السواد إلاّ القليل .

وفيها بطل الحج من خراسان والعراق .

وفيها انقضّ كوكب عظيم استنارت له الأرض، فسمع له دويّ عظيم، كان ذلك في رمضان.

وفيها مات أبو أسعد بن ماكولا، وزير جلال الدولة، في محبسه ؛ وأبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدويّ النّيسابوري الحافظ، وهو من مشايخ خطيب بغداد ؛ وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمّاميّ المُقرئ، مولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.(٣٥٧/٩)

سنة ثماني عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين علاء الدولة وأصبهبذ ومن معه وما تبع ذلك من الفتن

في هذه السنة، في ربيع الأول، كانت حرب شديدة بين علاء الدولة بن كاكوَيْه وبين الأصبهبذ ومن معه .

وكان سببها ما ذكرناه من خروج علي بن عمران عن طاعة علاء الدولة . فلما فارقه اشتد خوفه من علاء الدولة، فكاتب أصبهبذ صاحب طبرستان، وكان مقيما بالرّي مع ولكين بن وندرين، وحثه على قصد بلاد الجبل، وكاتب أيضا منوجهر بن قابوس بن وشمكير، واستمدّه، وأوهم الجميع أن البلاد في يده لا دافع له عنها .

وكان أصبهبذ معاديا لعلاء الدولة، فسار هو وولكين إلى همذان فملكاها وملكا أعمال الجبل، وأجليا عنها عمّال علاء الدولة، وأتاهم عسكر منوجهر وعلي بن عمران، فازدادوا قوة، وساروا كلهم إلى أصبهان، فتحصن علاء الدولة بها، وأخرج الأموال، فحصروه، وجرى بينهم قتال استظهر فيه علاء الدولة، وقصده كثير من ذلك العسكر، وهو يبذل لمن يجيء إليه المال الجزيل ويحسن إليهم، فأقاموا أربعة أيام، وضاقت عليهم الميرة، فعادوا عنها.

وتبعهم علاء الدولة، واستمال الجوزقان، فمال إليه بعضهم، وتبعهم (٣٥٨/٩) إلى نهاوند، فالتقوا عندها، واقتتلوا قتالاً كثر فيه القتلى والأسرى، فظفر علاء الدولة، وقتل ابنَيْن لولكين في المعركة، وأُسر الأصبهبذ وابنان له ووزيره، ومضى ولكين في نفر يسير إلى علاء الدولة، فحصره بها، وبقي أصبهبذ محبوساً عند علاء الدولة إلى أن توفي في رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة .

ثم إن ولكين بن وندرين سار بعد خلاصه من الوقعة إلى منوجهر بن قابوس، وأطمعه في الرّي وملكها، وهون عليه أمر البلاد لاسيّما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة علي بن عمران، وانضاف إلى ذلك أن ولد ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته، وقد أقطعه علاء الدولة مدينة قُمّ، فعصى عليه وصار مع أبيه،وأرسل إليه يحثّه على قصد البلاد، فسار إليها ومعه عساكره، وعساكر منوجهر، حتى نزلوا على الرّي، وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومَن معه، وجرى بين الفريقين وقائع استظهر فيها أهل الريّ . فلما رأى علاء الدولة ذلك صالح علي بن عمران .

فلما بلغ ولكين الصلح بين علاء الدولة وعلي بن عمران رحل عن الرّيّ من غير بلوغ غرض، فتوجه علاء الدولة إلى الرّي، وراسل منوجهر، وبّخه وتهدده، وأظهر قصد بلاده، فسمع أن علي بن عمران قد كاتب منوجهر، وأطمعه، ووعده النصرة، وحثه على العود إلى الري، فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر، وتجهّز لقصد علي بن عمران، فأرسل ابن عمران إلى منوجهر يستمدّه، فسيّر إليه ستّمائة فارس وراجل مع قائد من قواده، وتحصّن ابن عمران، وجمع عنده الذخائر بكِنْكِوَر، وقصده علاء الدولة وحصره وضيّق عليه، ففني ماعنده، فأرسل يطلب الصلح، فاشترط علاء الدولة أن(٣٥٩/٩) يسلم قلعة كِنْكِوَر والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه، والقائد الذي سيّره إليه منوجهر، فأجابه إلى ذلك وسيّرهم إليه، فقتل قَتَلَة ابن عمّه، وسجن القائد، وتسلّم القلعة، وأقطع عليّاً عوضاً عنها مدينة الدِّينور، وأرسل منوجهر إلى علاء الدولة فصالحه، فأطلق صاحبه .

ذكر عصيان البطيحة على أبي كاليجار

في هذه السنة عصى أهل البطيحة على الملك أبي كاليجار، ومقدّمهم أبو عبد اللّه الحسين بن بكر الشرابيّ، الذي كان قديماً صاحب البطيحة، وقد تقدّم خبره.

وكان سبب هذا الخلاف أن الملك أبا كاليجار سيّر وزيره أبا محمد بن بابشاذ إلى البطيحة، فعسف الناس، وأخذ أموالهم، وأمر الشرابيّ فوضع على كلّ دار بالصليق قسطاً، وكان في صحبته، ففعل ذلك، فتقرقوا في البلاد، وفارقوا أوطانهم، فعزم من بقي على أن يستدعوا من يتقدّم عليهم في العصيان على أبي كاليجار، وقتل الشرابيّ، وكانوا ينسبون كل ما يجري عليهم إلى الشرابيّ. فعلم الشرابي بذلك، فحضر عندهم واعتذر إليهم، وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه، فرضوا به، وحلفوا له، وحلف لهم، وأمرهم بكتمان الحال.(٣٦٠/٩)

وعاد إلى الوزير فأشار عليه بإرسال أصحابه إلى جهات ذكرها ليحصّلوا الأموال، فقبل منه، ثم أشار عليه بإحدار سفنه إلى مكان ذكره ليصلح ما فسد منها، ففعل. فلما تمّ له ذلك وثب هو وأهل البطيحة عليه، وأخرجوه من عندهم، وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة في الحبس، فأخرجوهم، واستعانوا بهم، واتّفقوا معهم، وفتحوا السواقي، وعادوا إلى ما كانوا عليه أيام مهذب الدولة، وقاتلوا كلّ من قصدهم، وامتنعوا فتم لهم ذلك. ثم قصده ابن المعبرانيّ فاستولى على البطيحة، وفارقها الشرابيّ إلى دُبَيْس بن مزيد، فأقام عنده مكرّماً.

ذكر صلح أبي كاليجار مع عمه صاحب كرمان

في هذه السنة استقر الصلح بين أبي كاليجار وبين عمّه أبي الفوارس، صاحب كرمان، وكان أبو كاليجار قد سار إلى كرمان لقتال عمه وأخذ كرمان منه، فاحتمى منه بالجبال، وحَمِيَ الحرّ على أبي كاليجار وعسكره، فكثرت الأمراض، فتراسلا في الصلح، فاصطلحا على أن تكون كرمان لأبي الفوارس، وبلاد فارس لأبي كاليجار، ويحمل إلى عمّه كل سنة عشرين ألف دينار.

ولمّا عاد أبو كاليجار إلى الأهواز جعل أمور دولته إلى العادل بن مافنّة، فأجابه بعد امتناع؛ وكان مولد العادل بكازرون سنة ستين وثلاثمائة، وشرط العادل أن لا يعارض في الذي يفعله، فأُجيب إلى ذلك.(٣٦١/٩)

ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد وإصعاده إليها

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، خُطب للملك جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة ببغداد، وأصعد إليها من البصرة فدخلها ثالث شهر رمضان، وكان سبب ذلك أن الأتراك لما رأوا أن البلاد تخرب، وأن العامة والعرب والأكراد قد طمعوا، وأنهم ليس عندهم سلطان يجمع كلمتهم، قصدوا دار الخلافة، وأرسلوا يعتذرون إلى الخليفة من انفرادهم بالخطبة لجلال الدولة أوّلاً، ثم بردّه ثانياً، وبالخطبة لأبي كاليجار، ويشكرون الخليفة حيث لم يخالفهم في شيء من ذلك، وقالوا: إن أمير المؤمنين صاحب الأمر، ونحن العبيد، وقد أخطأنا ونسأل العفو، وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا، ونسأل أن ترسل إلى جلال الدولة ليصعد إلى بغداد، ويملك الأمر، ويجمع الكلمة ويخطب له فيها، ويسألون أن يحلفه الرسول السائر لإحضاره لهم. فأجابهم الخليفة إلى ما سألوا، وراسله هو وقوّاد الجند في الإصعاد واليمين للخليفة والأتراك،

فحلف لهم، وأصعد إلى بغداد، وانحدر الأتراك إليه، فلقوه في الطريق، وأرسل الخليفة إليه القاضي أبا جعفر السمنانيّ، فأعاد تجديد العهد عليه للخليفة والأتراك، ففعل.

ولما وصل إلى بغداد نزل النجميّ، فركب الخليفة في الطيار وانحدر يتقيه، فلما رآه جلال الدولة قبّل الأرض بين يديه، وركب في زيزبه، ووقف قائماً، فأمره الخليفة بالجلوس، فخدم وجلس ودخل إلى دار المملكة، بعد أن مضى إلى مشهد موسى بن جعفر فزار، وقصد الدار فدخلها، وأمر بضرب الطبل أوقات الصلوات الخمس، فراسله الخليفة في منعه، فقطعه غضباً، حتى(٣٦٢/٩) أذن له في إعادته ففعل .

وأرسل جلال الدولة مؤيّد الملك أبا علي الرُّخّجي إلى الأثير عنبر الخادم . وهو عند قرواش، وقد ذكرنا ذلك، يعرفه اعتضاده به، واعتماده عليه، ومحبته له، ويعتذر إليه من الأتراك، فعذرهم وقال : هم أولاد وإخوة.

ذكر وفاة أبي القاسم بن المغربي وأبي الخطاب

أما أبو القاسم بن المغربي فتوفي هذه السنة بميافارقين، وكان عمره ستّاً وأربعين سنة، ولما أحس بالموت كتب كتباً عن نفسه إلى كل من يعرفه من الأمراء والرؤساء الذين بينه وبين الكوفة، ويعرفهم أن حظية له توفّيت، وأنه قد سيّر تابوتها إلى مشهد أمير المؤمنين علي، عليه السلام،وخاطبهم في المراعاة لمن في صحبته . وكان قصده أن لا يتعرّض أحد لتابوته بمنع، وينطوي خبره . فلما توفي سار به أصحابه، كما أمرهم، وأوصلوا الكتب، فلم يعرض أحد إليه، فدُفن بالمشهد، ولم يعلم به أحد إلاّ بعد دفنه .

ولأبي القاسم شعر حسن، فمنه هذه الأبيات :

وما ظَبْيَةٌ أدماء تحنو على طَلاً ... ترى الإنس وَحشاً وهي تأنسُ بالوحشِ
غدَتْ فارتعَتْ ثمّ انثنتْ لرضاعِه ... فلم تُلفِ شيئاً من قوائمه الحُمْشِ
فطافَتْ بذاك القاعِ وَلْهَى،فصادفتْ ... سباعَ الفلا يَنهَشْنَه أيّما نَهْشِ
(٣٦٣/٩)

بأوجعَ منّي يومَ ظلّتْ أنامِلٌ ... تودّعني بالدُّرّ من شَبَكِ النُّقْشِ
وأجمالُهم تُحدى وقد خيَّلَ الهَوى ... كأنّ مطاياهم على ناظري تَمشي
وأعجبُ ما في الأمر أن عشتُ بعدَهم ... على أنّهم ما خلّفوا ليَ من بَطْشِ

وأما أبو الخطّاب حمزة بن إبراهيم فإنّه مات بكرخ سامرّا مفلوجاً، غريباً، قد زال عنه أمره وجاهه، وكان مولده سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ورثاه المرتضى، وكان سبب اتّصاله ببهاء الدولة معرفة النجوم، وبلغ منه منزلة لم يبلغها أمثاله، فكان الوزراء يخدمونه، وحمل إليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلّها، وصار أمره إلى ما صار من الضيق والفقر والغُربة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سقط في العراق جميعه بَرَد كبار يكون في الواحدة رطل أو رطلان، وأصغره كالبيضة، فأهلك الغلات، ولم يصحّ منها إلاّ القليل.

وفيها، في آخر تشرين الثاني هبّت ريح باردة بالعراق جمد منها الماء والخلّ، وبطل دوران الدواليب على دجلة.

وفيها انقطع الحجّ من خراسان والعراق.

وفيها نُقضت الدار المعزّيّة، وكان معزّ الدولة بن بويه بناها وعظّمها، وغرم عليها ألف ألف دينار، وأوّل من شرع في تخريبها بهاء الدولة، فإنّه لمّا عمر داره بسوق الثلاثاء نقل إليها من أنقاضها، وأخذ سقفاً منها وأراد(٢٦٤/٩)أن ينقله إلى شيراز، فلم يتم له ذلك، فبذل فيه من يحكّ ذهبه ثمانية آلاف دينار، ونُقضت الآن، وبيع أنقاضها.

وفيها توفي هبة اللّه بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائيّ الرازيّ، سمع الحديث الكثير، وتفقه على أبي حامد الأسفراييني، وصنّف كتباً؛ وأبو القاسم طَباطَبا الشريف العلويّ، وله شعر جيد، فمنه أنّ صديقاً له كتب إليه رقعة، فأجابه على ظهرها هذه الأبيات:

وقرأتُ الذي كتبتَ، وما زا ... ل نَجيّي ومُؤنسي وسَميري
وغَدا الفألُ بامتزاجِ السّطور ... حاكماً بامتزاج ما في الضمير
واقترانُ الكلام لَفْظاً وخطّاً ... شاهداً باقتران ودّ الصدور
وتبركتُ باجتماع الكلامي ... ن رجاء اجتماعِنا في سُرور
وتفاءلتُ بالظهور على الوا ... شي، فصارتْ إجابتي في الصدور
(٣٦٥/٩)

سنة تسع عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة

في هذه السنة، في جمادى الأولى، سار بدران بن المقلّد العقيليّ في جمع من العرب إلى نصيبين وحصرها، وكانت لنصر الدولة بن مروان، فخرج إليه عسكر نصر الدولة الذين بها، وقاتلوه، فهزمهم، واستظهر عليهم، وقتل جماعة من أهل نصيبين والعسكر، فسيّر نصر الدولة عسكراً آخر نجدة لمن بنصيبين، فأرسل إليهم بدران عسكراً، فلقوهم، فقاتلوهم وهزموهم، وقتلوا أكثرهم. فأزعج ذلك ابن مروان، وأقلقه، فسيّر عسكراً آخر ثلاثة آلاف فارس، فدخلوا نصيبين، واجتمعوا بمن فيها، وخرجوا إلى بدران فاقتتلوا، فانهزم بدران ومن معه بعد قتال شديد، وقت الظهر، وتبعهم عسكر ابن مروان.

ثم عطف عليهم بدران وأصحابه، فلم يثبتوا له، فأكثر فيهم القتل والأسر، وغنم الأموال، فعاد عسكر ابن مروان مفلولين، فدخلوا نصيبين، فاجتمعوا بها واقتتلوا مرّة أخرى، وكانوا على السواء، ثم سمع بدران بأن أخاه قرواشاً قد وصل إلى الموصل، فرحل خوفاً منه لأنهما كانا مختلفين.(٣٦٦/٩)

ذكر شغب الأتراك ببغداد على جلال الدولة

في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد على جلال الدولة، وشغبوا، وطالبوا الوزير أبا عليّ بن ماكولا بما لهم من العلوفة والادرار، ونهبوا داره ودور كتّاب الملك وحواشيه حتى المغنّين والمخنثين، ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم، وتفرّق فيهم، وحصروا جلال الدولة في داره، ومنعوه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر، وأكلوا ثمرة البستان. فسألهم أن يمكنوه من الانحدار، فاستأجروا له ولأهله وأثقاله سفناً فجعل بين الدار والسفن سرادقاً لتجتاز حرمه فيه، لئلاّ يراهم العامّة والأجناد، فقصد بعض الأتراك السرادق، فظنّ جلال الدولة أنهم يريدون الحرم، فصاح بهم يقول لهم: بلغ أمركم إلى الحرم! وتقدّم إليهم، وبيده طَبَرٌ، فصاح صغار الغلمان والعامّة: جلال الدولة يا منصور؛ ونزل أحدهم عن فرسه وأركبه إياه وقبّلوا الأرض بين يديه.

فلما رأى قوّاد الأتراك ذلك هربوا إلى خيامهم بالرملة، وخافوا على نفوسهم، وكان في الخزانة سلاح كثير، فأعطاه جلال الدولة أصاغر الغلمان وجعلهم عنده، ثمّ أرسل إلى الخليفة ليصلح الأمر مع أولئك القوّاد، فأرسل إليهم الخليفة القادر باللّه، فأصلح بينهم وبين جلال الدولة، وحلفوا، فقبّلوا الأرض بين يديه، ورجعوا إلى منازلهم، فلم يمض غير أيّام حتّى عادوا إلى الشغب، فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه وفرّق ثمنه فيهم حتّى سكنوا.(٣٦٧/٩)

ذكر الاختلاف بين الديلم والأتراك بالبصرة

في هذه السنة ولي النفيس أبو الفتح محمد بن أردشير البصرة، استعمله عليها جلال الدولة، فلما وصل إلى المَشان منحدراً إليها وقع بينه وبين الديلم الذين بالمشان وقعة فاستظهر عليهم وقتل منهم.

وكانت الفتن بالبصرة بين الأتراك والديلم، وبها الملك العزيز المنصور[بن]جلال الدولة، فقوي الأتراك بها، فأخرجوا الديلم، فمضوا إلى الأبُلّة، وصاروا مع بختيار بن عليّ، فسار إليهم الملك العزيز بالأبُلّة ليعيدهم ويصلح بينهم وبين الأتراك، فكاشفوه وحملوا عليه، ونادوا بشعار أبي كاليجار، فعاد منهزماً في الماء إلى البصرة، ونهب بختيار نهر الدير والأبُلّة وغيرهما من السواد، وأعانه الديلم ونهب الأتراك أيضاً، وارتكبوا المحظور، ونهبوا دار بنت الأوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة .

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البصرة

لمّا بلغ الملك أبا كاليجار ما كان بالبصرة سيّر جيشاً إلى بختيار، وأمره أن يقصد البصرة فيأخذها. فساروا إليها، وبها الملك العزيز بن جلال الدولة، فقاتلهم ليمنعه، فلم يكن له بهم قوّة، فانهزم منهم، وفارق البصرة، وكاد يهلك هو ومن معه عطشاً، فمنّ اللّه عليهم بمطر جودٍ، فشربوا منه، وأصعدوا إلى واسط.

وملك عسكر أبي كاليجار البصرة، ونهب الديلم وأسواقها، وسلم منها(٣٦٨/٩)البعض بمال بذلوه لمن يحميهم، وتتبعوا أموال أصحاب جلال الدولة من الأتراك وغيرهم. فلمّا بلغ جلال الدولة الخبر أراد الانحدار إلى واسط، فلم يوافقه الجند، وطلبوا منه مالاً يفرّق فيهم، فلم يكن عنده، فمدّ يده في مصادرات الناس وأخذ أموالهم لا سيّما أرباب الأموال، فصادر جماعة.

ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبي كاليجار عليها

في هذه السنة، في ذي القعدة، توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة، صاحب كرمان، وكان قد تجهّز لقصد بلاد فارس، وجمع عسكراً كثيراً، فأدركه أجله. فلمّا توفي نادى أصحابه بشعار الملك كاليجار، وأرسلوا إليه يطلبوه إليهم، فسار مجدّاً، وملك البلاد بغير حرب ولا قتال، وأمن الناس معه، وكانوا يكرهون عمّه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته، وكان إذا شرب ضرب أصحابه، وضرب وزيره يوماً مائتيْ مقرعة، وحلّفه بالطلاق أنه لا يتأوّه، ولا يخبر بذلك أحداً، فقيل إنهم سمّوه فمات.

ذكر استيلاء المنصور بن الحسين على الجزيرة الدُّبيسيّة

كان منصور بن الحسين الأسديّ قد ملك الجزيرة الدبيسية، وهي تجاور خوزستان، ونادى بشعار جلال الدولة، وأخرج صاحبها طراد بن دُبَيْس الأسديّ سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فمات طراد عن قريب، فلمّا مات طراد(٣٦٩/٩) سار ابنه أبو الحسن إلى بغداد يسأل أن يُرسل جلال الدولة معه عسكراً إلى بلده ليُخرج منصوراً منه ويسلّمه إليه، وكان منصور قد قطع خطبة جلال الدولة وخطب للملك أبي كاليجار، فسيّر معه جلال الدولة طائفة من الأتراك، فلما وصلوا إلى واسط لم يقف علي بن طراد حتى تجتمع معه طائفة من عسكر واسط، وسار عجلاً.

واتفق أن أبا صالح كوركير كان قد هرب من جلال الدولة، وهو يريد اللحاق بأبي كاليجار، فسمع هذا الخبر، فقال لمن معه : المصلحة أننا نعين منصوراً، ولا نمكّن عسكر جلال الدولة من إخراجه، ونتّخذ بهذا الفعل يداً عند أبي كاليجار . فأجابوه إلى ذلك، فسار إلى منصور واجتمع معه، والتقوا هم وعسكر جلال الدولة الذين مع علي بن طراد بِبَسبرُوذ، فاقتتلوا، فانهزم عسكر

جلال الدولة، وقُتل علي بن طراد وجماعة كثيرة من الأتراك، وهلك كثير من المنهزمين بالعطش، واستقرّ ملك منصور بها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار الدزبريّ وعساكر مصر إلى الشام، فأوقعوا بصالح بن مرداس وابن الجرّاح الطائيّ، فهزمهما، وقتل صالحاً وابنه الأصغر، وملك جميع الشام ،وقيل سنة عشرين [وأربعمائة].

وفيها توفّيت أم مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، وهي التي تدبّر المملكة وترتب الأمور.(٣٧٠/٩)

وفيها عزل الحسن بن عليّ بن جعفر أبو عليّ بن ماكولا من وزارة جلال الدولة، وولي الوزارة بعده أبو طاهر المحسّن بن طاهر، ثم عزل بعد أربعين يوماً، ووليَ بعده أبو سعد بن عبد الرحيم.

وفيها توفي قسطنطين ملك الروم، وانتقل الملك إلى بنت له، وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها، وهو ابن خالها.

وفيها توفي الوزير أبو القاسم جعفر بن محمد بن فسانجس بأربَق.

وفيها عدمت الأرطاب بالعراق للبرد الذي تقدّم في السنة قبلها، وكان يُحمل من الأماكن البعيدة الشيء اليسير منه.

وفيها انقطع الحجّ من العراق، فمضى بعض حجّاج خراسان إلى كرمان، وركبوا في البحر إلى جدّة، وحجّوا.

وتوفي في هذه السنة محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد أبو الحسن التاجر، وهو آخر من حدّث عن إسماعيل بن محمد الصفّار، ومحمد بن عمر الرزّاز، وعمر بن الحسن الشيبانيّ، وكان له مال كثير، فسافر إلى مصر خوف المصادرة، فأقام بها سنة، ثم عاد إلى بغداد، فأُخذ ماله في التقسيط على الكرخ الذي ذكرناه سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فافتقر، فلمّا مات لم يوجد له كفن، فأرسل له القادر باللّه ما يكفّن فيه.(٣٧١/٩)

سنة عشرين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة الرّيّ وبلد الجبل

في هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الرّيّ، فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه، وهو صاحب جُرجان وطَبَرستان، وحمل إليه أربعمائة ألف دينار وأنزالاً كثيرة.

وكان مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، صاحب الرّيّ، قد كاتبه يشكو إليه جنده، وكان متشاغلاً بالنساء، ومطالعة الكتب ونسخها، وكانت والدته تدبّر مملكته، فلمّا توفّيت طمع جنده فيه، واختلّت أحواله، فحين وصلت كتبه إلى محمود سيّر إليه جيشاً، وجعل مقدمّهم حاجبه، وأمره أن يقبض على مجد الدولة، فلمّا وصل العسكر إلى الرّيّ ركب مجد الدولة يلتقيهم، فقبضوا عليه وعلى أبي دلف ولده.

فلمّا انتهى الخبر إلى يمين الدولة بالقبض عليه سار إلى الرّيّ، فوصلها في ربيع الآخر، ودخلها، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستّة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى، وأحضر مجد الدولة، وقال له: أما قرأت شاهنامه، وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبريّ، وهو تاريخ المسلمين؟ قال: بلى! قال: (٣٧٢/٩)ما حالك حال من قرأها؛ أما لعبت الشطرنج؟ قال: بلى! قال: فهل رأيت شاهاً يدخل على شاه؟ قال: لا، قال: فما حملك على أن سلّمت نفسك إلى من هو أقوى منك؟ ثمّ سيّره إلى خراسان مقبوضاً، ثم ملك قزوين وقلاعها، ومدينة ساوة وآبة، ويافت، وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين، وسيّره إلى خراسان.

ولمّا ملك محمود الريّ كتب إلى الخليفة القادر باللّه يذكر أنّه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة، ولدن له نيّفاً وثلاثين ولداً، ولمّا سُئل عن ذلك قال: هذه عادة سَلَفي. وصلب من أصحابه الباطنيّة خلقاً كثيراً،ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم، وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل.

وتحصّن منه منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة، وعرة المسالك، فلم يشعر إلاّ وقد أطلّ عليه يمين الدولة، فهرب منه إلى غياض حصينة، وبذل خمسمائة ألف دينار ليصلحه، فأجابه إلى ذلك، فأرسل المال إليه، فسار عنه إلى نيسابور.

ثم توفّي منوجهر عُقَيْب ذلك، وولّي بعده ابنه أنوشروان، فأقرّه محمود على ولايته، وقرّر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى، وخطب لمحمود أكثر بلاد الجبل إلى حدود أرمينية، وافتتح ابنه مسعود زَنجان وأبهر، وخطب له علاء الدولة بأصبهان، وعاد محمود إلى خراسان واستخلف بالريّ ابنه مسعوداً، فقصد أصبهان، وملكها من علاء الدولة، وعاد عنها، واستخلف بها بعض أصحابه، فثار به أهلها فقتلوه، فعاد إليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل، وسار إلى الريّ فأقام بها.(٣٧٣/٩)

ذكر ما فعله السالار إبراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الريّ

هذا السالار هو إبراهيم بن المرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان بن محمّد بن مسافر الديلميّ، وكان له من بلاد سَرجَهان، وزَنْجان،

وأبهر، وشهرزور، وغيرها، وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه. فلما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الرّيّ سيّر المرزبان بن الحسن بن خراميل، وهو من أولاد ملوك الديلم، وكان قد التجأ إلى يمين الدولة، فسيّره إلى بلاد السالار إبراهيم ليملكها، فقصدها واستمال الديلم، فمال إليه بعضهم.

واتّفق عود يمين الدولة إلى خراسان، فسار السالار إبراهيم إلى قزوين، وبها عسكر يمين الدولة، فقاتلهم، فأكثر القتل فيهم، وهرب الباقون، وأعانه أهل البلد؛ وسار السالار أيضاً إلى مكان بقرب سَرجَهان تُطيف به الأنهار والجبال فتحصّن به، فسمع مسعود بن يمين الدولة وهو بالرّيّ، بما فعل، فسار مجدّاً إلى السالار، فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار.

ثم إن مسعوداً راسل طائفة من جند السالار، واستمالهم، وأعطاهم الأموال فمالوا إليه، ودلّوه على عورة السالار، وحملوا طائفة من عسكره في طريق غامضة، حتّى جعلوه من ورائهم، وكبسوا السالار أوّل رمضان، وقاتله مسعود من بين يديه، وأولئك من خلفه، فاضطرب السالار ومن معه، وانهزموا وطلب كلّ إنسان منهم مهرباً، واختفى السالار في مكان، فدلّت عليه امرأة سوادية، فأخذه مسعود وحمله إلى سَرجَهان، وبها ولده، فطلب منه أن يسلّمها، فلم يفعل، فعاد عنها وتسلّم باقي قلاعه وبلاده، وأخذ أمواله،(٣٧٤/٩) وقرّر على ابنه المقيم بسَرجَهان مالاً، وعلى كلّ من جاوره من مقدّمي الأكراد، وعاد إلى الرّيّ.

ذكر ملك أبي كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة إلى الأهواز ونهبها وعود واسط إليه

في هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار إلى مدينة واسط فملكها؛ وكان ابتداء ذلك أنّ نور الدولة دُبَيْس بن علي بن مَزْيد، صاحب الحلّة، والنيل، ولم تكن الحلّة بنيت ذلك الوقت، خطب لأبي كاليجار في أعماله.

وسببه أنّ أبا حسّان المقلّد بن أبي الأغرّ الحسن بن مَزْيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة، فاجتمع هو ومنيع أمير بني خفاجة، وأرسلا إلى بغداد يبذلان مالاً يتجهّز به العسكر لقتال نور الدولة، فاشتدّ الأمر على نور الدولة، فخطب لأبي كاليجار، وراسله يُطمعه في البلاد.

ثم اتّفق أنه ملك البصرة، على ما ذكرناه، فقوي طمعه، فسار من الأهواز إلى واسط، وبها الملك العزيز بن جلال الدولة، ومعه جمع من الأتراك، ففارقها العزيز وقصد النعمانيّة، ففجّر عليه نور الدولة البثوق من بلده، فهلك كثير من أثقالهم، وغرق جماعة منهم، وخطب في البطيحة لأبي كاليجار، وورد إليه نور الدولة.

وأرسل أبو كاليجار إلى قرواش، صاحب الموصل، وعنده الأثير عنبر،(٣٧٥/٩)يطلب منه أن ينحدر إلى العراق ليبقى جلال الدولة بين الفريقيْن، فانحدر إلى الكُحَيْل، فمات به الأثير عنبر، ولم ينحدر معه قرواش، وجمع جلال الدولة عساكره، واستنجد أبا الشوك وغيره، وانحدر إلى واسط، ولم يكن بين العسكريْن قتال، وتتابعت الأمطار حتّى هلكوا.

واشتدّ الأمر على جلال الدولة لفقره، وقلّة الأموال وغيرها عنده، فاستشار أصحابه فيما فعل، فأشاروا أن يقصدوا الأهواز وينهبها، ويأخذ ما بها من أموال أبي كاليجار وعسكره، فسمع أبو كاليجار ذلك، فاستشار أيضاً أصحابه، فقال بعضهم: ما عدل جلال الدولة عن القتال إلاّ لضعف فيه، والرأي أن تسير إلى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منّا؛ فاتّفقوا على ذلك، فأتاهم جاسوس من أبي الشوك يُخبر بمجيء عساكر محمود بن سبكتكين إلى طخر، وأنّهم يريدون العراق، ويشير بالصلح، واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد، فأنفذ أبو كاليجار الكتاب إلى جلال الدولة، وقد سار إلى الأهواز، وأقام ينتظر الجواب، ظنّاً منه أن جلال الدولة يعود بالكتاب، فلم يلتفت جلال الدولة، ومضى إلى الأهواز فنهبها، وأخذ من دار الإمارة مائتيْ ألف دينار، وأخذوا ما لا يُحصى، ودخل الأكراد والأعراب وغيرهم إلى البلد، فأهلكوا الناس بالنهب والسبيّ، وأُخذت والدة أبي كاليجار وابنته وأمّ ولده وزوجته، فماتت أمّه، وحُمل من عداها إلى بغداد.

ولمّا سمع أبو كاليجار الخبر سار ليلقى جلال الدولة، فتخلّف عنه دُبَيْس بن مَزْيد، خوفاً على أهله وحلله من خفاجة، والتقى أبو كاليجار وجلال(٣٧٦/٩)الدولة آخر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين[وأربعمائة]، فاقتتلوا ثلاثة أيّام، وانهزم أبو كاليجار، وقتل من أصحابه ألفا رجل، ووصل إلى الأهواز بأسْوإ حال، فأتاه العادل بن مافنة بمال، فحسنت حاله.

وأما جلال الدولة فإنّه عاد واستولى على واسط، وجعل ابنه العزيز بها، وأصعد إلى بغداد، ومدحه المرتضى ومهيار وغيرهما، وهنؤوه بالظفر.

ذكر حال دُبَيْس بن مَزْيد بعد الهزيمة

لمّا عاد دُبَيْس بن مَزْيد الأسدي، وفارق أبا كاليجار، وصل إلى بلده، وكان قد خالف عليه قوم من بني عمّه، ونزلوا الجامعيْن، وأتاهم وقاتلهم، فظفر بهم، وأسر منهم جماعة منهم شبيب، وسرايا، ووهب، بنو حمّاد بن مزيد، وأبو عبد الله الحسن بن أبي الغنائم بن مزيد، وحملهم إلى الجوسَق.

ثم إن المقلّد بن أبي الأغرّ بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال الدولة، وقصدوا دُبَيْساً، وقاتلوه، فانهزم منهم،

وأسر من بني عمّه خمسة عشر رجلاً، فنزل المعتقلون بالجوسق، وهم شبيب وأصحابه، إلى حلله فحرسوها، وسار دُبَيْس منهزماً إلى السنديّة، إلى نجدة الدولة أبي منصور كامل بن قراد، فاستصحبه إلى أبي سنان غريب بن مقن، حتّى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره، وتكفّل به، وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابوريّة إذا أُعيد إلى ولايته، فأُجيب إلى ذلك، وخُلع عليه.(٣٧٧/٩)

فعرّف المقلّد الحال ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطيراباذ، والنيل، وسُورا، وأقبح نهب، واستاقوا مواشيها، وأحرقوا منازلها، وعبر المقلّد دجلة إلى أبي الشوك، وأقام عنده إلى أن أحكم أمره.

ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بإفريقية

في هذه السنة تجمّعت زناتة وعاودت الخلاف مع المعزّ بإفريقية، فبلغ ذلك المعزّ، فجمع عساكره وسار إليهم بنفسه، فالتقوا بموضع يعرف بحمديس الصابون، ووقعت الحرب بين الطائفتين، واشتدّ القتال، فانهزمت زناتة وقُتل منهم عدد كثير، وأُسر مثلهم، وعاد المعز ظافراً غانماً.

ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغزّ

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالأتراك الغزّية، وفرّقهم في بلاده لأنهم كانوا قد افسدوا فيها، وهؤلاء كانوا أصحاب أرسلان بن سلجوق التركي، وكانوا بمفازة بخارى، فلمّا عبر يمين الدولة النهر إلى بخارى هرب عليّ تكين صاحبها منه، على ما نذكره.

وحضر أرسلان بن سلجوق عند يمين الدولة، فقبض عليه، وسجنه ببلاد الهند، وأسرى إلى خركاهاته، فقتل كثيراً من أصحابه، وسلم منهم خلق كثير، فهربوا منهم ولحقوا بخراسان فأفسدوا فيها، ونهبوا هذه السنة، فأرسل إليهم (٣٧٨/٩) جيشاً فسبوهم وأجلوهم عن خراسان، فسار منهم أهل ألفي خركاة، فلحقوا بأصبهان، فكتب يمين الدولة إلى علاء الدولة بإنفاذهم، أو إنفاذ رؤوسهم، فأمر نائبه أن يعمل طعاماً ويدعوهم إليه ويقتلهم، فأرسل إليهم وأعلمهم أنه يريد إثبات أسمائهم ليستخدمهم، وكمن الديلم في البساتين، فحضر جمع كثير منهم، فلقيهم مملوك تركيّ لعلاء الدولة، فأعلمهم الحال، فعادوا فأراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود، فلم يقبلوا منه، فحمل ديلميّ من قوّاد الديلم على إنسان منهم، فرماه التركي بسهم فقتله.

ووقع الصوت بذلك، فخرجت الديلم وانضاف إليهم أهل البلد، فجرى بينهم حرب، فهزموهم، فقلع الترك خراكاتهم وساروا، ولم يجتازوا على قرية إلاّ نهبوها إلى أن وصلوا إلى وهسوذان بأذربيجان، فراعاهم وتفقّدهم.

وبقي بخراسان أكثر ممن قصد أصبهان، فأتوا جبل بلجان وهو الذي عنده خوارزم القديمة، فنزل كثير منهم من الجبل إلى البلاد، فنهبوها وأخربوا وقتلوا، فجرّد محمود بن سبكتكين إليهم أرسلان الجاذب، أمير طوس، فسار إليهم ولم يزل يتبعهم نحو سنتين في جموع كثيرة من العساكر، فاضطر محمود إلى قصد خراسان بسببهم، فسار يطلبهم من نيسابور إلى دهستان، فساروا إلى جرجان، ثم عاد عنهم، وجعل ابنه مسعوداً بالرّيّ، على ما ذكرناه، فاستخدم بعضهم ومقدّمهم يغمر.

فلما مات محمود بن سبكتكين سار مسعود ابنه إلى خراسان وهم معه، فلمّا ملك غزنة سألوه فيمن بقي منهم بجبل بلجان، فأذن لهم في العود على(٣٧٩/٩)شرط الطاعة والاستقامة.

ثم إن مسعوداً قصد بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين، فعاودوا الفساد، فسيّر تاش فراش في عسكر كثير إلى الرّيّ لأخذها من علاء الدولة، فلمّا بلغ نيسابور، ورأى سوء فعلهم، دعا مقدّميهم، وقتل منهم نيّفاً وخمسين رجلاً، فيهم يغمر، فلم ينتهوا، وساروا إلى الرّيّ، وبلغ مسعوداً ما هم عليه من الشر والفساد، فأخذ حللهم وسيّرها إلى الهند، وقطع أيدي كثير منهم وأرجلهم وصلبهم.

هذه أخبار عشيرة أرسلان بن سلجوق وأما أخبار طغرلبك، وداود، وأخيهما بيغو، فإنهم كانوا بما وراء النهر، وكان من أمرهم ما نذكره بعد إن شاء اللّه تعالى لأنهم صاروا ملوكاً تجيء أخبارهم على السنين.

ولما أوقع تاش فراش حاجب السلطان مسعود بالغزّ ساروا إلى الريّ يزعمون أنهم يريدون أذربيجان، واللحاق بمن مضى منهم أوّلاً إلى هناك، ويسمّون العراقيّة، وكان اسم أمراء هذه الطائفة كوكتاش، وبوقا، وقزل، ويغمر، وناصغلي، فوصلوا إلى الدامغان، فخرج إليهم عسكرها وأهل البلد ليمنعوهم عنه، فلم يقدروا، فصعدوا الجبل وتحصّنوا به، ودخل الغز البلد ونهبوه، وانتقلوا إلى سمنان ففعلوا فيها مثل ذلك، ودخلوا خوار الرّيّ ففعلوا مثله، ونهبوا إسحاق آباذ وما يجاورها من القرى، وساروا إلى مشكويه من أعمال الرّيّ فنهبوها.

وتجهّز أبو سهل الحمدونيّ، وتاش فراش، وكاتبا الملك مسعوداً، وصاحب جرجان وطبرستان بالحال، وطلبا النجدة، وأخذ تاش ثلاثة آلاف فارس، وما عنده من الفيلة والسلاح، وسار إلى الغزّ ليواقعهم، وبلغهم خبره،(٣٨٠/٩)فتركوا نساءهم، وأموالهم وما غنموا من خراسان، وهذه البلاد المذكورة، وساروا جريدة والتقوا فركب تاش الفيل، ووقعت الحرب بين الفريقين، فكانت أولاً لتاش، ثم إن الغزّ أسروا مقدّم الأتراك الذين مع تاش، وأرادوا قتله، فقال لهم: استبقوني حتى آمر الأكراد الذين مع تاش بترك

قتالهم؛ فتركوه، وعاهدوه على إطلاقه، فأرسل إلى الأكراد يقول لهم: إن قاتلتم قتلتُ؛ ففتروا في القتال.

وحملت الغزّ، وكانوا خمسة آلاف، على تاش فراش، وعسكره، فانهزم الأكراد، وثبت تاش وأصحابه، فقتل الغزّ الفيل الذي تحته فسقط، فقتلوه وقطّعوه أخذاً بثأر من قتل منهم، وقُتل معه عدد كثير من الخراسانيّة، وأكابر القوّاد، وغنموا بقيّة الفيلة، وأثقال العسكر وساروا إلى الرّيّ فاقتتلوا هم وأبو سهل الحمدونيّ ومن معه من الجند وأهل البلد، فصعد هو ومن معه قلعة طبرك، ودخل الغز البلد، ونهبوا عدّة محال اجتاحوا به الأموال، ثم اقتتلوا هم وأبو سهل، فأسر منهم ابن أخت ليغمر أمير الغزّ، وقائداً كبيراً من قوّادهم، فبذلوا فيهما إعادة ما أخذوا من عسكر تاش، وإطلاق الأسرى، وحمل ثلاثين ألف دينار، فقال: لا أفعل إلاّ بأمر السلطان.

وخرج الغز عن البلد ووصل عسكر من جرجان، فلمّا قربوا من الرّيّ سار إليهم الغز فكبسوهم، وأسروا مقدّمهم وأسروا معه نحو ألفيّ رجل وانهزم الباقون وعادوا، وكان هذا سنة سبع وعشرين وأربعمائة.(٣٨١/٩)

ذكر وصول علاء الدولة إلى الرّيّ واتّفاقه مع الغُزّ وعودهم إلى الخلاف عليه

لما فارق الغزّ الرّيّ إلى أذربيجان علم علاء الدولة ذلك، فسار إليها، ودخلها، وهو يُظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين، فأرسل إلى أبي سهل الحمدونيّ يطلب منه أن يقرّر الذي عليه بمال يؤديه، فامتنع من إجابته مخافة علاء الدولة، فأرسل إلى الغزّ يستدعيهم ليعطيهم الأقطاع، ويتقوّى بهم على الحمدونيّ، فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة، مقدّمهم قزل، وسار الباقون إلى أذربيجان.

فلمّا وصل الغزّ إلى علاء الدولة أحسن إليهم، وتمسّك بهم واقاموا عنده، ثم ظهر على بعض القوّاد الخراسانية الذين عنده أنّه دعا الغزّ إلى موافقته على الخروج عليه والعصيان، فأرسل إليه علاء الدولة وأحضره وقبض عليه، وسجنه في قلعة طَبَرَك، فاستوحش الغزّ لذلك ونفروا، فاجتهد علاء الدولة في تسكينهم، فلم يفعلوا، وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق، وعاد علاء الدولة فراسل أبا سهل الحمدونيّ، وهو طبرستان، وقرر معه أمر الرّيّ ليكون في طاعة مسعود، فأجابه إلى ذلك، وسار إلى نيسابور وبقي علاء الدولة بالرّيّ.

ذكر ما كان من الغزّ الذين بأذربيجان ومفارقتها

قد ذكرنا أنّ طائفة من الغزّ وصلوا إلى أذربيجان، فأكرمهم وهسوذان، وصاهرهم، رجاء نصرهم وكفّ شرّهم.(٣٨٢/٩)

وكان أسماء مقدّميهم: بوقا، وكوكتاش، ومنصور، ودانا، وكان ما أمّله بعيداً، فإنّهم لم يتركوا الشرّ والفساد، والقتل، والنهب، وساروا إلى مَراغة، فدخلوها سنة تسع وعشرين[وأربعمائة] وأحرقوا جامعها، وقتلوا من عوامّها مقتلة كثيرة، ومن الأكراد الهذبانية كذلك، وعظم الأمر، واشتدّ البلاء.

فلمّا رأى الأكراد ما حلّ بهم وبأهل البلاد شرعوا في الصلح والاتّفاق على دفع شرّهم، فاصطلح أبو الهيجاء بن ربيب الدولة ووهسوذان صاحب أذربيجان واتّفقت كلمتهما، واجتمع معهما أهل تلك البلاد، فانتصفوا من الغزّ. فلمّا رأوا اجتماع أهل البلاد على حربهم انصرفوا عن أذربيجان، وتعذّر عليهم المقام بها، ثم إنّهم افترقوا، فسار طائفة إلى الذين على الرّيّ، ومقدّمهم بوقا، وسار طائفة منهم، ومقدّمهم منصور وكوكتاش، إلى همذان فحصروها، وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكوَيْه، فاتّفق هو وأهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن أنفسهم وبلدهم، فقُتل بين الفريقين جماعة كثيرة، وطال مقامهم على همذان، فلمّا رأى أبو كاليجار بن علاء الدولة ذلك، وضعفه عن مقاومتهم، راسل كوكتاش وصالحه وصاهره.

وأمّا الذين قصدوا الرّيّ فإنّهم حصروها، وبها علاء الدولة بن كاكويه، واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة، وكامرو الدليميّ، صاحب ساوة، فكثر جمعهم، واشتدّت شوكتهم. فلما رأى علاء الدولة أنّهم كلّما جاء أمرهم ازدادوا قوّة، وضعف هو، خاف على نفسه، وفارق البلد في رجب ليلاً، ومضى هارباً إلى أصبهان، وأجفل أهل البلد وتمزّقوا، وعدلوا عن القتال إلى الاحتيال للهرب، وغاداهم الغزّ من الغد القتال، فلم يثبتوا لهم،(٣٨٣/٩)ودخلوا البلد، ونهبوا نهباً فاحشاً، وسبوا النساء، وبقوا كذلك خمسة أيّام، حتّى لجأ الحُرم إلى الجامع، وتفرّق الناس في كلّ مذهب ومهرب، وكان السعيد من نجا بنفسه. وكانت هذه الوقعة بعد التي تقدّمتها مستأصلة، حتّى قيل إنّ بعض الجُمع لم يكن إلاّ خمسون نفساً.

ولما فارق علاء الدولة الرّيّ تبعه جمع من الغز فلم يدركوه، فعدلوا إلى كَرَج فنهبوها، وفعلوا فيها الأفاعيل القبيحة، ومضى طائفة منهم، ومقدّمهم ناصغلي، إلى قزوين، فقاتلهم أهلها، ثمّ صالحوهم على سبعة آلاف دينار، وصاروا في طاعته.

وكان بأُرمية طائفة منهم، فساروا إلى بلد الأرمن، فأوقعوا بهم، وأثخنوا فيهم، وأكثروا القتل، وغنموا وسبوا، وعادوا إلى أرمية وأعمال أبي الهيجاء الهذبانيّ، فقاتلهم أكرادها لما من سوء مجاورتهم، فقُتل خلق كثير، ونهب الغُزّ سواد البلاد هناك، وقتلوا من الأكراد كثيراً.

ذكر ملك الغزّ همذان

قد ذكرنا حصار الغُزّ همذان وصلحهم مع صاحبها أبي كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه، فلما كان الآن، وملك الغُزّ الرّي، عاودوا حصار همذان، وساروا إليها من الرّي، ما عدا قزل وجماعته، واجتمعوا مع من بها من الغُزّ . فلما سمع أبو كاليجار بهم علم أنه لا قدرة له عليهم، فسار عنها ومعه وجوه (٣٨٤/٩) التجار وأعيان البلد، وتحصّن بكِنْكور.

ودخل الغُزّ همذان سنة ثلاثين وأربعمائة، واجتمع عليها من مقدّميهم: كوكتاش، وبوقا، وقَزل، ومعهم فنّاخسرو بن مجد الدولة بن بويه في عدة كثيرة من الديلم، فلما دخلوها نهبوها نهبا منكراً لم يفعلوا بغيرها من البلاد، غيظا منهم، وحنقا عليهم، حيث قاتلوهم أولاً، وأخذوا الحرم، وضربت سراياهم إلى أسداباذ وقُرى الدِّينور، واستباحوا تلك النواحي وكان الديلم أشدهم . فخرج إليهم أبو الفتح بن أبي الشوك، صاحب الدينور، فواقعهم، واستظهر عليهم، وأسر منهم جماعة، فراسله أمراؤهم في إطلاقهم، فامتنع إلا على صلح وعهود، فأجابوه وصالحوه فأطلقهم .

ثم إن الغزّ بهمذان راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة وصالحوه، وطلبوا إليه أن ينزل إليهم، فلما صار معهم وثبوا عليه فانهزم، ونهبوا ماله وما كان معه من دواب وغيرها . فسمع أبوه فخرج من أصبهان إلى أعماله بالجبل ليشاهدها، فوقع بطائفة كثيرة من الغزّ، فظفر بهم، وقتل منهم فأكثر، وأسر مثلهم، ودخل أصبهان منصوراً .

ذكر قتل الغزّ بمدينة تِبريز وفراقهم أذربيجان إلى الهكارية

في سنة اثنتين وثلاثين [وأربعمائة] قتل وهسوذان بن مهلان جمعاً كثيراً من الغزّ بمدينة تبريز .(٣٨٥/٩) وكان سبب ذلك أنه دعا جمعاً كثيراً منهم إلى طعام صنعه لهم، فلما طعموا وشربوا قبض على ثلاثين رجلاً منهم من مقدميهم، فضعف الباقون، فأكثر فيهم القتل، فاجتمع الغز المقيمون بأُرمية وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل، فقاتلهم أكرادها، وقاتلوهم قتالاً عظيماً، فانهزم الأكراد وملك الغز حللهم وأموالهم، ونساءهم وأولادهم، وتعلق الأكراد بالجبال والمضايق، وسار الغز في أثرهم فواقعوهم، فظفر بهم الأكراد، فقتلوا منهم ألفا وخمسمائة رجل، وأسروا جمعا فيه سبعة من أمرائهم، ومائة نفس من وجوههم، وغنموا سلاحهم ودوابّهم وما معهم من غنيمة استردّوها، وسلك الغز طريق الجبال فتمزّقوا وتفرقوا .

وسمع ابن ربيب الدولة الخبر، فسيّر في آثارهم من يفني باقيهم، ثم توفي قزل أمير الغز المقيم بالري، وخرج إبراهيم يَنّال أخو السلطان طغرلبك إلى الري، فلما سمع به الغز المقيمون بها أجفلوا من بين يديه، وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه، وقصدوا ديار بكر والموصل في سنة ثلاث وثلاثين [وأربعمائة] .

ذكر دخول الغز ديار بكر

في سنة ثلاث وثلاثين [وأربعمائة] فارق الغز أذربيجان .

وسبب ذلك أن إبراهيم ينّال، وهو أخو طغرلبك، سار إلى الري، فلما (٣٨٦/٩) سمع الغز الذين بها خبره أجفلوا من بين يديه، وفارقوا بلاد الجبل خوفاً . وقصدوا أذربيجان، ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا بأهلها، ولأن إبراهيم ينال وراءهم، وكانوا يخافونه لأنهم كانوا له ولأخويه طغرلبك وداود رعية، فأخذوا بعض الأكراد، وعرفهم الطريق، فأخذ بهم في جبال وعرة على الزّوزان، وخرجوا إلى جزيرة ابن عمر، فسار بوقا وناصغلي وغيرهما إلى ديار بكر، ونهبوا قَردى، وبازْبَدَى، والحَسَنيّة، وفيشابور وبقي منصور بن غرغلي بالجزيرة من الجانب الشرقيّ .

فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المقيم بالجزيرة في المصالحة والمقام بأعمال الجزيرة إلى أن ينكشف الشتاء، ويسير مع باقي الغز إلى الشام، فتصالحا وتحالفا، وأضمر سليمان الغدر به، فعمل له طعاما احتفل فيه ودعاه، فلما دخل الجزيرة قبض عليه وحبسه، وانصرف أصحابه متفرقين في كل جهة .

فلما علم بذلك قرواش سيّر جيشا كثيفا إليهم، واجتمع معهم الأكراد البشنويّة، أصحاب فنك، وعسكر نصر الدولة، فتبعوا الغز، فلحقوهم وقاتلوهم، فبذل الغز جميع ما غنموه على أن يؤمّنوهم، فلم يفعلوا، فقاتلوا قتال من [لا]يخاف الموت، فجرحوا من العرب كثيراً، وافترقوا .

وكان بعض الغز قد قصد نصيبين وسنجار للغارة، فعادوا إلى الجزيرة وحصروها، وتوجّهت العرب إلى العراق ليشتوا به، فأخربت الغز ديار بكر، ونهبوا وقتلوا، فأخذ نصر الدولة منصوراً أمير الغز من ابنه سليمان، وراسل الغز، وبذل لهم مالاً، وإطلاق منصور ليفارقوا عمله، فأجابوه، فأطلق منصوراً، وأرسل بعض المال، فغدروا، وزادوا في الشرّ، وسار بعضهم إلى (٣٨٧/٩) نصيبين وسنجار والخابور، فنهبوا وعادوا، وسار بعضهم إلى جُهَيْنة وأعمال الفرج فنهبوها، فدخل قرواش الموصل خوفاً منهم .

ذكر ملك الغز مدينة الموصل

لما خرجوا من أذربيجان إلى جزيرة ابن عمر، وهي من أعمال نصر الدولة بن مروان، سار بعضهم إلى ديار بكر مع أمرائهم المذكورين، وسار الباقون إلى البقعاء، ونزلوا بَرْقعيد، فأرسل إليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم، ويغير عليهم . فلما رأوا ذلك تقدّموا إلى الموصل، فأرسل إليهم يستعطفهم ويلين لهم،

وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار، فلم يقبلوا، فأعاد مراسلتهم ثانية، فطلبوا خمسة آلاف دينار، فالتزمها، وأحضر أهل البلد وأعلمهم الحال .

فبينما هم بجمع المال وصل الغز إلى الموصل ونزلوا بالحصباء، فخرج إليهم قرواش وأجناده والعامّة، فقاتلوهم عامة نهارهم، وأدركهم الليل فافترقوا، فلما كان الغد عادوا إلى القتال، فانهزمت العرب وأهل البلد، وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره، وخرج من جميع ماله إلا الشيء اليسير، ودخل الغز البلد فنهبوا كثيراً منه، ونهبوا جميع ما لقرواش من مال وجوهر وحلي وثياب وأثاث، ونجا قرواش في السفينة ومعه نفر، (٣٨٨/٩) فوصل إلى السن وأقام بها، وأرسل إلى الملك جلال الدولة يعرّفه الحال، ويطلب النجدة، وأرسل إلى دُبيس بن مزيد وغيره من أمراء العرب والأكراد يستمدهم ويشكو ما نزل به .

وعمل الغز بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك وهتك الحريم ونهب المال، وسلم عدّة محالّ منها سكّة أبي نجيح، والجصاصة، وجارسوك، وشاطئ نهر، وباب القصابين على مال ضمنوه، فكفوا عنهم .

ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم

قد ذكرنا ملك الغز الموصل، فلما استقروا فيها قسطوا على أهلها عشرين ألف دينار وأخذوها، ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيراً من أموالهم بحجّة أموال العرب، ثم قسطوا أربعة آلاف دينار أخرى، فحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلي، وطالبوا إنساناً بحضرته، وأساؤوا الأدب والقول .

وجرى بين بعض الغز وبعض المواصلة مشاجرة، فجرحه الغزيّ وقطع شعره، وكان للموصلي والدة سليطة، فلطخت وجهها بالدم، وأخذت الشعر بيدها وصاحت: المستغاث باللّه وبالمسلمين، قد قُتل لي ابن وهذا دمه، وابنة وهذا شعرها! وطافت في الأسواق، فثار الناس وجاؤوا إلى ابن فرغان، فقتلوا من عنده من الغزّ، وقتلوا من ظفروا به منهم، ثم حصروهم في دار، فقاتلوا من بسطحها، فنقب الناس عليهم الدار، وقتلوهم جميعهم، غير سبعة أنفس منهم(٣٨٩/٩)أبو عليّ ومنصور، فخرج منصور إلى الحصْباء، ولحق به من سلم منهم.

وكان كوكتاش قد فارق الموصل في جمع كثير، فأرسلوا إليه يعلمونه الحال، فعاد إليهم، ودخل البلد عنوةً في الخامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين[وأربعمائة] ووضعوا السيف في أهله، وأسروا كثيراً، ونهبوا الأموال، وأقاموا على ذلك اثني عشر يوماً يقتلون وينهبون، وسلمت سكّة أبي نجيح، فإنّ أهلها أحسنوا إلى الأمير منصور، فرعى لهم ذلك، والتجأ من سلم إليها، وبقي القتلى في الطريق، فأنتنوا لعدم من يواريهم، ثم طُرحوا بعد ذلك كلّ جماعة في حفيرة، وكانوا يخطبون للخليفة، ثم لطغرلبك.

ولما طال مقامهم في هذه البلاد، وجرى منهم ما ذكرناه، كتب الملك جلال الدولة بن بويه إلى طغرلبك يعرّفه ما يجري منهم، وكتب إليه نصر الدولة بن مروان يشكو منهم، فكتب إلى نصر الدولة يقول له: بلغني أنّ عبيدنا قصدوا بلادك، وأنّك صانعتهم بمال بذلته لهم، وأنت صاحب ثغر ينبغي أن تعطى ما تستعين به على قتال الكفّار؛ ويعده أنه يرسل إليهم يرحّلهم من بلده.

وكانوا يقصدون بلاد الأرمن وينهبون ويسبون، حتّى إن الجارية الحسناء بلغت قيمتها خمسة دنانير، وأمّا الغلمان فلا يُرادون. فأما كتاب طغرلبك إلى جلال الدولة، فيعتذر بأن هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيداً، وخدماً، ورعايا، وتبعاً، يمتثلون الأمر ويخدمون الباب، ولمّا نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين، وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم، انحازوا إلى الرّيّ فعاثوا فيها وأفسدوا، فزحفنا بجنودنا من خراسان إليهم مقدّرين أنّهم يلجؤون إلى الأمان، ويلوذون بالعفو والغفران، فملكتهم الهيبة، وزحزحتهم الحشمة، ولا بدّ من أن نردّهم إلى راياتنا خاضعين، ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمرّدين، قربوا أم بعدوا، أغاروا أم أنجدوا.(٣٩٠/٩)

ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغزّ

قد ذكرنا انحدار قرواش إلى السّن، ومراسلته سائر أصحاب الأطراف في طلب النجدة منهم، فأما الملك جلال الدولة فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الأتراك، وأما دبيس بن مزيد فسار إليه، واجتمعت عليه عقيل كافة، وأتته أمداد أبي الشوك وابن ورّام وغيرهما، فلم يدركوا الوقعة، فإن قرواشاً لما اجتمعت عقيل ودبيس عنده سار إلى الموصل .

وبلغ الخبر إلى الغزّ، فتأخروا إلى تلعفر، وبوماريه، وتلك النواحي، وراسلوا الغزّ الذين كانوا بديار بكر ومقدمهم ناصغلي وبوقا، وطلبوا منهم المساعدة على العرب، فساروا إليهم .

وسمع قرواش بوصولهم، فلم يعلم أصحابه لئلا يفشلوا ويجبنوا، وسار حتى نزل على العجاج، وسارت الغزّ فنزلوا برأس الأيّل من الفرج، وبينهما نحو فرسخين، وقد طمع الغز في العرب، فتقدّموا حتى شارفوا حلل العرب ووقعت الحرب في العشرين من شهر رمضان من أول النهار، فاستظهرت الغزّ، وانهزمت العرب حتى صار القتال عند حللهم، ونساؤهم يشاهدن القتال، فلم يزل الظفر للغزّ إلى الظهر، ثم أنزل اللّه نصره على العرب، وانهزمت الغزّ وأخذهم السيف وتفرّقوا، وكثر القتل فيهم، فقُتل ثلاثة من مقدّميهم، وملك العرب حلل الغزّ وخركاهاتهم، وغنموا أموالهم، فعمّتهم الغنيمة، وأدركهم الليل فحجز بينهم .(٣٩١/٩)

وسير قرواش رؤوس كثير من القتلى في سفينة إلى بغداد، فلما قربتها أخذها الأتراك ودفنوها، ولم يتركوها تصل أنفة وحميّة للجنس، وكفى اللّه أهل الموصل شرهم، وتبعهم قرواش إلى نصيبين، وعاد عنهم، فقصدوا ديار بكر فنهبوها، ثم مالوا على الأرمن والروم فنهبوهم، ثم قصدوا بلاد أذربيجان، وكتب قرواش إلى الأطراف يبشر بالظفر بهم، وكتب إلى ابن ربيب الدولة، صاحب أُرمية، يذكر له أنه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل، فقال للرسول : هذا عجب! فإن القوم لما اجتازوا ببلادي أقمتُ على قنطرة لابد لهم من عبورها مَن عدّهم، فكانوا نيفاً وثلاثين ألفاً مع لفيفهم، فلما عادوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة آلاف رجل، فإمّا أن يكونوا قتلوا أو هلكوا . ومدح الشعراء قرواشاً بهذا الفتح، وممن مدحه ابن شبل بقصيدة منها :

بأبي الذي أرسَتْ نزارٌ بيتَها ... في شامخٍ من عزّه المتخيّر

وهي طويلة . هذه أخبار الغز العراقيين، وإنما أوردناها متتابعة لأن دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها في السنين، وإنما كانت سحابة صيف تقشّعت عن قريب .

وأما السلجوقية فنحن نذكر حوادثهم في السنين ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين [وأربعمائة] إن شاء اللّه تعالى .(٣٩٢/٩)

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سيّر الظاهر جيشاً من مصر، مقدمهم أنوشتكين البريديّ، فقتل صالح بن مرداس، وملك نصر بن صالح مدينة حلب، وقد تقدم ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة .

وفيها سقط في البلاد بَرَد عظيم، وكان أكثره بالعراق، وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء، فقلعت كثيراً من الأشجار بالعراق، فقلعت شجراً كباراً من الزيتون وحملتها إلى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور،وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى.

وفيها، في ذي القعدة، تولّى أبو عبد اللّه بن ماكولا قضاء القضاة .

وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى الربعيّ النحويّ عن نيّف وتسعين سنة، وأخذ النحو عن أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافيّ، وكان فَكِهاً، كثير الدعابة، فمن ذلك أنه كان يوما على شاطئ دجلة ببغداد، الملك جلال الدولة، والمرتضى والرضي كلاهما في سُميرية، ومعهما عثمان بن جنّي النحوي، فناداه الربعي : أيها الملك ما أنت صادق في تشيّعك لعلي بن أبي طالب، يكون عثمان إلى جانبك، وعلي، يعني نفسه، هاهنا ! فأمر بالسميرية فقرّبت إلى الشاطئ وحمله معه . (٣٩٣/٩)

وقيل أن القول كان للشريف الرضي وأخيه المرتضى، ومعهما عثمان بن جني، فقال: ما أعجب أحوال الشريفين ! يكون عثمان معهما، وعلي يمشي على الشط .

وفيها أيضاً توفي أبو المسك عنبر، الملقب بالأثير، وكان قد أصعد إلى الموصل مغاضباً لجلال الدولة، فلقيه قرواش وأهله، وقبّلوا الأرض بين يديه، فأقام عندهم، وكان خصيّاً لبهاء الدولة بن بويه، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً، لم يخل أمير ولا وزير في دولة بني بويه من تقبيل يده والأرض بين يديه، وكان قد استقر بينه وبين قرواش وأبي كاليجار قاعدة أن يصعد أبو كاليجار من واسط، وينحدر الأثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة، وكان الأثير قد انحدر من الموصل، فلما وصل مشهد الكُحَيْل توفّي فيه .

وفيها انقض كوكب عظيم، في رجب، أضاءت منه الأرض، وسمع له صوت عظيم كالرعد، وتقطّع أربع قطع، وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه، وانقض بعدهما كوكب أكبر وأكثر ضوءاً .

وفيها كانت ببغداد فتنة قوي فيها أمر العيارين واللصوص، فكانوا يأخذون العملات ظاهراً .

وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا، وسببها أنه كان يخطب فيها إنسان يقول في خطبته : بعد الصلاة على النبيّ وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكلّم الجمجمة، ومحييها البشري الإلهي، مكلم الفتية أصحاب الكهف، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع، فأقام الخليفة خطيباً، فرجمه (٣٩٤/٩) العامّة، فانقطعت الصلاة فيه، فاجتمع جماعة من أعيان الكرخ مع المرتضى، واعتذروا إلى الخليفة بأن سفهاء لا يعرفون فعلوا ذلك، وسألوا إعادة الخطبة، فأُجيبوا إلى ما طلبوا، وأعيدت الصلاة والخطبة فيه .

وفيها توفي ابن أبي الهُبَيش الزاهد المقيم بالكوفة، وهو من أرباب الطبقات الغالية في الزهد، وقبره يزار إلى الآن وقد زرتُه .

وفيها توفي منوجهر بن قابوس بن وشمكير، وملك ابنه أنوشروان.(٣٩٥/٩)

سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان

في هذه السنة سيّر مسعود بن يمين الدولة محمود جيشاً إلى همذان،فملكوها، وأخرجوا نوّاب علاء الدولة بن كاكويه عنها، وسار هو إلى أصبهان، فلما قاربها فارقها علاء الدولة، فغنم مسعود ما كان له بها من دوابّ وسلاح وذخائر، فإن علاء الدولة أُعجل عن أخذه، فلم يأخذ إلاّ بعضه، وسار إلى خوزستان، فبلغ إلى تُستر ليطلب من الملك أبي كاليجار نجدة، ومن الملك جلال الدولة،

ويعود إلى بلاده يستنقذها، فبقي عند أبي كاليجار مدّة، وهو عقيب انهزامه من جلال الدولة ضعيف، ومع هذا فهو يعده النصرة، وتسيير العساكر، إذا اصطلح هو وجلال الدولة .

فبينما هو عنده إذ أتاه خبر وفاة يمين الدولة محمود، ومسير مسعود إلى خراسان، فسار علاء الدولة إلى بلاده، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر غزوة للمسلمين إلى الهند

في هذه السنة غزا أحمد بن ينالتكين، النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند، مدينة للهنود هي من أعظم مدنهم، يقال لها نرسَى، ومع أحمد نحو (٣٩٦/٩) مائة ألف فارس وراجل، وشن الغارة على البلاد، ونهب، وسبى، وخرّب الأعمال، وأكثر القتل والأسر، فلما وصل إلى المدينة دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بُكرة إلى آخر النهار، ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريّين، حسْبُ، وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك، لأن طوله منزل من منازل الهنود، وعرضه مثله، فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله، فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره .

وبلغ من كثرة ما نهب المسلمون أنهم اقتسموا الذهب والفضّة كيلاً، ولم يصل إلى هذه المدينة عسكر المسلمين قبله ولا بعده، فلما فارقه أراد العود إليه، فلم يقدر على ذلك، منعه أهله عنه.

ذكر ملك بدران بن المقلّد نصيبين

قد ذكرنا محاصرة بدران نصيبين وأنه رحل عنها خوفا من قرواش، فلما رحل شرع في إصلاح الحال معه فاصطلحا . ثم جرى بين قرواش ونصر الدولة بن مروان نفرة كان سببها أن نصر الدولة كان قد تزوّج ابنة قرواش فآثر عليها غيرها، فأرسلت إلى أبيها تشكو منه، فأرسل يطلبها إليه، فسيّرها فأقامت بالموصل . ثم أن ولد مستحفظ جزيرة ابن عمر وهي لابن مروان هرب إلى قرواش وأطمعه في الجزيرة فأرسل إلى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته وهو عشرون ألف دينار، ويطلب الجزيرة لنفقتها، ويطلب نصيبين لأخيه بدران ويحتجّ بما أُخرج بسببها (٣٩٧/٩) عام أول، وترددت الرسل بينهما في ذلك فلم يستقر حال، فسيّر بدران وأتاه قرواش فحصرها معه فلم يُملَك واحد من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والأكراد . فلما رأى بدران تفرُّق الناس عن أخيه سار إلى نصر الدولة بن مروان بميافارقين يطلب منه نصيبين، فسلّمها إليه وأرسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر ألف دينار واصطلحا .

ذكر ملك أبي الشوك دَقُوقا

وفيها حصر أبو الشوك دقوقا، وبها مالك بن بدران بن المقلد العقيلي، فطال حصاره، وكان قد أرسل إليه يقول له : إن هذه المدينة كانت لأبي، ولا بد لي منها، والصواب أن تنصرف عنها . فامتنع من تسليمها، فحصره بها، ثم استظهر، وملك البلد، فطلب منه مالك الأمان على نفسه وماله وأصحابه، فأمّنه على نفسه حسبُ، فلما خرج إليه مالك قال له أبو الشوك: قد كنتُ سألتك أن تسلم البلد طوعاً، وتحقن دماء المسلمين، فلم تفعل . فقال : لو فعلتُ لعيّرتني العرب، وأما الآن فلا عار علي . فقال أبو الشوك: إن من إتمام الصنيعة تسليم مالك وأصحابك إليك ؛ فأعطاه ما كان له أجمع، فأخذه وعاد سالماً .(٣٩٨/٩)

ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، توفي يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ومولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة، وقيل إنه توفي أحد عشر صفر، وكان مرضه سوء مزاج وإسهالاً، وبقي كذلك نحو سنتين، وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه بل كان يستند إلى مخدته، فأشار عليه الأطباء بالراحة، وكان يجلس للناس بكرة وعشية، فقال : أتريدون أن أعتزل الإمارة ؟ فلم يزل كذلك حتى توفي قاعداً .

فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد، وهو ببلخ، وكان أصغر من مسعود، إلا أنه كان معرضاً عن مسعود، لأن أمره لم يكن عنده نافذاً، وسعى بينهما أصحاب الأغراض، فزادوا أباه نفوراً منه، فلما وصّى بالملك لولده محمد توفي، فخُطب لمحمد من أقاصي الهند إلى نيسابور، وكان لقبه جلال الدولة، وأرسل إليه أعيان دولة أبيه يخبرونه بموت أبيه ووصيته له بالملك، ويستدعونه، ويحثونه على السرعة، ويخوفونه من أخيه مسعود، فحين بلغه الخبر سار إلى غزنة، فوصلها بعد موت أبيه بأربعين يوماً، فاجتمعت العساكر على طاعته، وفرّق فيهم الأموال والخلع النفيسة، فأسرف في ذلك .

ذكر ملك مسعود وخلع محمد

لما توفي يمين الدولة كان ابنه مسعود بأصبهان، فلما بلغه الخبر سار إلى خراسان، واستخلف بأصبهان بعض أصحابه في طائفة من العسكر، فحين (٣٩٩/٩) فارقها ثار أهلها بالوالي عليهم بعده فقتلوه، وقتلوا من معه من الجند .

وأتى مسعوداً الخبر، فعاد إليها وحصرها وفتحها عنوة، وقتل فيها فأكثر، ونهب الأموال، واستخلف فيها رجلاً كافياً، وكتب إلى أخيه محمد يعلمه بذلك، وأنه لا يريد من البلاد التي وصى له أبوه

بها شيئاً، وأنه يكتفي بما فتحه من بلاد طبرستان، وبلد الجبل، وأصبهان، وغيرها، ويطلب منه الموافقة، وأن يقدّمه في الخطبة على نفسه، فأجابه محمد جواب مغالط.

وكان مسعود قد وصل إلى الرّيّ، فأحسن إلى أهلها، وسار منها إلى نيسابور ففعل مثل ذلك، وأمّا محمّد فإنّه أخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له، والشدّ منه، وسار في عساكره إلى أخيه مسعود محارباً له، وكان بعض عساكره يميل إلى أخيه مسعود لكبره وشجاعته، ولأنه قد اعتاد التقدم على الجيوش، وفتح البلاد، وبعضها يخافه لقوة نفسه.

وكان محمد قد جعل مقدّم جيشه عمّه يوسف بن سبكتكين، فلمّا همّ بالركوب، في داره بغزنة، ليسير سقطتْ قلنسوته من رأسه، فتطيّر الناس من ذلك، وأرسل إليه التونتاش، صاحب خوارزم، وكان من أعيان أصحاب أبيه محمود، يشير عليه بموافقة أخيه وترك مخالفته، فلم يصغ إلى قوله، وسار فوصل إلى تكناباذ أوّل شهر رمضان، وأقام إلى العيد، فعيّد هناك، فلمّا كان ليلة الثلاثاء، ثالث شوّال، ثار به جنده، فأخذوه وقيّدوه وحبسوه، وكان مشغولاً بالشرب واللعب عن تدبير المملكة، والنظر في أحوال الجند والرعايا. (٤٠٠/٩)

وكان الذي سعى في خذلانه عليّ خويشاوند، صاحب أبيه، وأعانه على ذلك عمّه يوسف بن سبكتكين . فلمّا قبضوا عليه نادوا بشعار أخيه مسعود، ورفعوا محمّداً إلى قلعة تكناباذ، وكتبوا إلى مسعود بالحال. فلمّا وصل إلى هراة لقيته العساكر مع الحاجب عليّ خويشاوند، فلمّا لقيه الحاجب عليٌّ قبض عليه وقتله، وقبض بعد ذلك أيضاً على عمّه يوسف، وهذه عاقبة الغدر، وهما سعيا له في ردّ الملك إليه، وقبض أيضاً على جماعة من أعيان القوّاد في أوقات متفرّقة، وكان اجتماع الملك له واتّفاق الكلمة عليه في ذي القعدة، وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمنديّ الذي كان كان وزير أبيه من محبسه، واستوزره، وردّ الأمر إليه، وكان أبوه قد قبض عليه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لأمور أنكرها، وقيل شَرِه في ماله، وأخذ منه لمّا قبض عليه مالاً وأعراضاً بقيمة خمسة آلاف ألف دينار.

وكان وصول مسعود إلى غزنة ثامن جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، فلمّا وصل إليها وثبّت ملكه بها أتته رسل الملوك من سائر الأقطار إلى بابه، واجتمع له ملك خراسان، وغزنة، وبلاد السند والهند، وسجستان، وكرمان، ومكران، والرّيّ، وأصبهان، وبلد الجبل، وغير ذلك، وعظم سلطانه وخيف جانبه.(٤٠١/٩)

ذكر بعض سيرة يمين الدولة

كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلاً، ديّناً، خيّراً، عنده علم ومعرفة، وصنّف له كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يكرمهم، ويقبل عليهم، ويعظمهم، ويحسن إليهم، وكان عادلاً، كثير الإحسان إلى رعيّته والرفق بهم، كثير الغزوات، ملازماً للجهاد، وفتوحه مشهورة مذكورة، وقد ذكرنا منها ما وصل إلينا على بعد الدهر، وفيه ما يُستدلّ به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد.

ولم يكن فيه ما يعاب إلاّ أنّه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق، فمن ذلك أنّه بلغه أن إنساناً من نيسابور كثير المال، عظيم الغنى، فأحضره إلى غزنة وقال له: بلغنا أنك قرمطيّ؟ فقال: لست بقرمطيّ، ولي مال يأخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاسم؛ فأخذ منه مالاً، وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده.

وجدّد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر عليّ بن موسى الرضى، والرشيد، وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يأذون من يزوره، فمنعهم عن ذلك.

وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، في المنام وهو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته.

وكان ربعة مليح اللون، حسن الوجه، صغير العينين، أحمر الشعر، وكان ابنه محمد يشبهه، وكان ابنه مسعود ممتلئ البدن، طويلاً.(٤٠٢/٩)

ذكر عود علاء الدولة إلى أصبهان وغيرها وما كان منه

لمّا مات محمود بن سبكتكين طمع فنّاخسرو بن مجد الدولة بن بويه في الرّيّ، وكان قد هرب منها لمّا ملكها عسكر يمين الدولة محمود، فقصد قصران، وهي حصينة، فامتنع بها. فلمّا توفّي يمين الدولة وعاد ابنه مسعود إلى خراسان جمع فناخسرو هذا جمعاً من الديلم والأتراك وغيرهم، وقصدوا الرّيّ، فخرج إليه نائب مسعود ومن معه من العسكر، فقاتلوه، فانهزم منهم وعاد إلى بلده، وقُتل جماعة من عسكره.

ثم إن علاء الدولة بن كاكويه، لمّا بلغه وفاة يمين الدولة، كان بخوزستان عند الملك أبي كاليجار، كما ذكرنا، وقد أيس من نصره، وتفرّق بعض من عنده من عسكره وأصحابه، والباقون على عزم مفارقته، وهو خائف من مسعود أن يسير إليه من أصبهان فلا يقوى هو وأبو كاليجار به، فأتاه من الفرج بموت يمين الدولة ما لم يكن في حسابه، فلمّا سمع الخبر سار إلى أصبهان فملكها، وملك همذان، وغيرهما من البلاد، وسار إلى الرّيّ، وامتدّ إلى أعمال

أنوشروان بن منوجهر بن قابوس، فأخذ منه خوار الرّيّ ودنباوند.

فكتب أنوشروان إلى مسعود يهنّئه بالملك، وسأله تقرير الذي عليه بمال يحمله، فأجاب إلى ذلك، وسيّر إليه عسكر من خراسان، فساروا إلى دنباوند فاستعادوها، وساروا نحو الرّيّ فأتاهم المدد والعساكر، وممن أتاهم عليّ بن عمران، فكثر جمعهم، فحصروا الرّيّ، وبها علاء الدولة، فاشتدّ القتال في بعض الأيّام، فدخل العسكر الرّيّ قهراً، والفيلة معهم، فقُتل جماعة من(٤٠٣/٩)أهل الرّيّ والديلم، ونهبت المدينة، وانهزم علاء الدولة، وتبعه بعض العسكر وجرحه في رأسه وكتفه، فألقى لهم دنانير كانت معه، فاشتغلوا بها عنه فنجا، وسار إلى قلعة فردجان، على خمسة عشر فرسخاً من همذان، فأقام بها إلى أن برأ من جراحته، وكان من أمره ما نذكره، إن شاء اللّه تعالى، وخطب بالرّيّ وأعمال أنوشروان لمسعود، فعظم شأنه.

ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وأبي كاليجار

في هذه السنة، في شوّال، سيّر جلال الدولة عسكراً إلى المذار، وبها عسكر أبي كاليجار، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عسكر أبي كاليجار، واستولى أصحاب جلال الدولة على المذار، وعملوا بأهلها كلّ محظور.

فلمّا سمع أبو كاليجار الخبر سيّر إليهم عسكراً كثيفاً، فاقتتلوا بظاهر البلد، فانهزم عسكر جلال الدولة، وقُتل أكثرهم، وثار أهل البلد بغلمانهم فقتلوهم، ونهبوا أموالهم لقبيح سيرتهم معهم، وعاد من سلم من المعركة إلى واسط .

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن

في هذه السنة، في جمادى الأولى، اختلف قرواش وغريب بن مقن.

وكان سبب ذلك أنّ غريباً جمع جمعاً كثيراً من العرب والأكراد،(٤٠٤/٩)واستمدّ جلال الدولة، فأمدّه بجملة صالحة من العسكر، فسار إلى تكريت فحصرها، وهي لأبي المسيّب رافع بن الحسين، وكان قد توجّه إلى الموصل، وسأل قرواشاً النجدة، فجمعا وحشدا وسارا منحدرين فيمن معهما، فبلغا الدكّة، وغريب يحاصر تكريت، وقد ضيّق على من بها، وأهلها يطلبون منه الأمان، فلم يأمّنهم، فحفظوا نفوسهم وقاتلوا أشدّ قتال.

فلما بلغه وصول قرواش ورافع سار إليهم، فالتقوا بالدكّة واقتتلوا، فغدر بغريب بعض من معه، ونهبوا سواده وسواد الأجناد الجلاليّة، فانهزم، وتبعهم قرواش ورافع، ثم كفّوا عنه وعن أصحابه، ولم يتعرضوا إلى حلّته وما له فيها، وحفظوا ذلك أجمع، ثم إنّهم تراسلوا واصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه من الوفاق.

ذكر خروج ملك الروم إلى الشام وانهزامه

في هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاث مائة ألف مقاتل إلى الشام، فلم يزل[يسير]بعساكره حتّى بلغوا قريب حلب، وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، فنزلوا على يوم منها، فلحقهم عطش شديد، وكان الزمان صيفاً، وكان أصحابه مختلفين عليه، فمنهم من يحسده، ومنهم من يكرهه.

ومن مَنْ كان معه ابن الدوقس، وهو من أكابرهم وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده، فقال الملك: الرأي أن نقيم حتى تجيء الأمطار وتكثر المياه.(٤٠٥/٩)فقبّح ابن الدوقس هذا الرأي وأشار بالإسراع قصداً لشرّ يتطرّق إليه، ولتدبير كان قد دبّره عليه. فسار، ففارقه ابن الدوقس، وابن لؤلؤ في عشرة آلاف فارس، وسلكوا طريقاً آخر، فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمهم أن ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلاً، هو أحدهم، على الفتك به، واستشعر من ذلك وخاف، ورحل من يومه راجعاً.

ولحقه ابن الدوقس، وسأله عن السبب الذي أوجب عوده، فقال له: قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منّا؛ وقبضوا في الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما، فاضطرب الناس واختلفوا، ورحل الملك، وتبعهم العرب وأهل السواد حتى الأرمن يقتلون وينهبون، وأخذوا من الملك أربعمائة بغل محمّلة مالاً وثياباً، وهلك كثير من الروم عطشاً، ونجا الملك وحده، ولم يسلم معه من أمواله وخزائنه شيء البتّة، وكفى اللّه المؤمنين القتال وكان اللّه قوياً عزيزاً.

وقيل في عوده غير ذلك، وهو أن جمعاً من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره، وظنّ الروم أنها كبسة، فلم يدروا ما يفعلون، حتى إن ملكهم لبس خفّاً أسود، وعادة ملوكهم لبس الخفّ الأحمر، فتركه ولبس الأسود ليعمى خبره على من يريده، وانهزموا، وغنم المسلمون جميع ما كان معهم.(٤٠٦/٩)

ذكر مسير أبي عليّ بن ماكولا إلى البصرة وقتله

لمّا استولى الملك جلال الدولة على واسط، وجعل ولده فيها، سيّر وزيره أبا عليّ بن ماكولا إلى البطائح والبصرة ليملكها، فملك البطائح، وسار إلى البصرة في الماء، وأكثر من السفن والرجال.

وكان بالبصرة أبو منصور بختيار بن عليّ نائباً لأبي كاليجار، فجهّز جيشاً في أربعمائة سفينة، وجعل عليهم أبا عبد اللّه الشرابيّ الذي كان صاحب البطيحة، وسيّره، فالتقى هو والوزير أبو عليّ، فعند اللقاء والقتال هبّت ريح شمال كانت على البصريين ومعونة للوزير، فانهزم البصريّون وعادوا إلى البصرة، فعزم بختيار على

الهرب إلى عبّادان، فمنعه من سلم عنده من عسكره، فأقام متجلّداً.

وأشار جماعة على الوزير أبي عليّ أن يعجّل الانحدار، ويغتنم الفرصة قبل أن يعود بختيار يجمع. فلمّا قاربهم، وهو في ألف وثلاثمائة عدد من السفن، سيّر بختيار ما عنده من السفن، وهي نحو ثلاثين قطعة، وفيها المقاتلة، وكان قد سيّر عسكراً آخر في البرّ، وكان له في فم نهر أبي الخصيب نحو خمسمائة قطعة فيها ماله، ولجميع عسكره من المال والأثاث والأهل، فلما تقدّمت سفنه صاح من فيها، وأجابه من في السفن التي فيها أهلوهم وأموالهم، وردّ عليهم العسكر الذين في البرّ، فقال الوزير لمن أشار عليه بمعالجة بختيار: ألستم زعمتم أنّه في خفّ من العسكر، وأنّ معاجلته أولى، وأرى الدنيا مملوءة(٤٠٧/٩)عساكر ؟ فهوّنوا عليه الأمر، فغضب، وأمر بإعادة السفن إلى الشاطئ، إلى الغد، ويعودُ إلى القتال.

فلما أعاد سفنه ظنّ أصحابه أنّه قد انهزم، فصاحوا: الهزيمة! فكانت هي. وقيل: بل لمّا أعاد سفنه لحقهم من في سفن بختيار، وصاحوا: الهزيمة! الهزيمة! وأجابهم من في البر من عسكر بختيار، ومن في سفنهم التي فيها أموالهم، فانهزم أبو عليّ حقّاً، وتبعه أصحاب بختيار وأهل السواد، ونزل بختيار في الماء، واستصرخ الناس، وسار في آثارهم يقتل ويأسر، وهم يغرقون، فلم يسلم من السفن كلّها أكثر من خمسين قطعة.

وسار الوزير أبو عليّ منهزماً، فأُخذ أسيراً، وأُحضر عند بختيار، فأكرمه وعظّمه، وجلس بين يديه، وقال له: ما الذي تشتهي أن أفعل معك؟ قال: ترسلني إلى الملك أبي كاليجار. فأرسله إليه فأطلقه، فاتّفق أن غلاماً له اجتمعا على فساد، فعلم بهما، وعرفا أنه قد علم حالهما، فقتلاه بعد أسره بنحوٍ من شهر.

وكان قد أحدث في ولايته رسوماً جائرة، وسنّ سنناً سيّئة، منها جباية سوق الدقيق، ومقالي الباذنجان، وسميريّات المشارع، ودلالة ما يُباع من الأمتعة، وأُجَر الحمالين الذين يرفعون التمور إلى السفن، وبما يعطيه الذبّاحون لليهود، فجرى في ذلك مناوشة بين العامّة والجند.(٤٠٨/٩)

ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم

لمّا انحدر الوزير أبو عليّ بن ماكولا إلى البصرة، على ما ذكرناه، لم يستصحب معه الأجناد البصريين الذين مع جلال الدولة، تأنيساً للديلم الذين بالبصرة، فلما أُصيب، على ما ذكرناه، تجهّز هؤلاء البصريّون وانحدروا إلى البصرة، فوصلوا إليها، وقاتلوا من بها من عسكر أبي كاليجار، فانهزم عسكر أبي كاليجار، ودخل عسكر جلال الدولة البصرة في شعبان.

واجتمع عسكر أبي كاليجار بالأبلّة مع بختيار، فأقاموا بها يستعدّون للعود، وكتبوا إلى أبي كاليجار يستمدّونه، فسيّر إليهم عسكراً كثيراً مع وزيره ذي السعادات أبي الفرج بن فسانجس، فقدموا إلى الأبلّة، واجتمعوا مع بختيار، ووقع الشروع في قتال من البصرة من أصحاب جلال الدولة، فسيّر بختيار جمعاً كثيراً في عدّة من السفن، فقاتلوهم، فنصر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم، فوبّخهم بختيار، وسار من وقته في العدد الكثير، والسفن الكثيرة، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، فانهزم بختيار، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة، وأُخذ هو فقُتل من غير قصدٍ لقتله، وأخذوا كثيراً من سفنه، وعاد كلّ فريقٍ إلى موضعه.

وعزم الأتراك من أصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب، وإتمام الهزيمة، وطالبوا العامل الذي على البصرة بالمال، فاختلفوا، وتنازعوا في الإقطاعات، فأصعد ابن المعبرانيّ، صاحب البطيحة، فسار إليه جماعة من الأتراك الواسطيين ليردّوه، فلم يرجع، فتبعوه، وخاف من بقي بعضهم من(٤٠٩/٩)بعض أن لا يناصحوهم، ويسلموهم عند الحرب، فتفرّقوا، واستأمن بعضهم إلى ذي السعادات، وقد كان خائفاً منهم، فجاءه ما لا يقدّره من الظفر، ونادى من بقي بالبصرة بشعار أبي كاليجار، فدخلها عسكره، وأرادوا نهبها، فمنعهم ذو السعادات.

ذكر غزو فضلون الكرديّ الخزر وما كان منه

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من أذربيجان قد استولى عليها، وملكها، فاتّفق أنّه غزا الخزر، هذه السنة، فقتل منهم، وسبي، وغنم شيئاً كثيراً، فلمّا عاد إلى بلده أبطأ في سيره وأمل الاستظهار في أمره، ظنّاً منه أنه قد دوّخهم وشغلهم بما عمله بهم، فاتبعوه مجدّين، وكبسوه، وقتلوا من أصحابه والمطوّعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل، واستردّوا الغنائم التي أُخذت منهم، وغنموا أموال العساكر الإسلاميّة وعادوا.

ذكر البيعة لوليّ العهد

في هذه السنة مرض القادر باللّه، وأُرجف بموته، فجلس جلوساً عامّاً وأذن للخاصة والعامّة فوصلوا إليه، فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال: خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له بإطالة البقاء، وشاكرون لما بلغهم(٤١٠/٩)من نظره لهم وللمسلمين، باختيار الأمير أبي جعفر لولاية العهد.

فقال الخليفة للناس: قد أذنّا في العهد له؛ وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك، فثناه عنه أبو الحسن بن حاجب النعمان. فلما عهد إليه ألقيت الستارة، وقعد أبو جعفر على السرير الذي كان قائماً عليه، وخدمه الحاضرون وهنّؤوه، وتقدّم أبو الحسن بن حاجب النّعمان فقبّل يده وهنّاه، فقال: ﴿وردّ اللّه الذين كفروا بغيظهم لم

ينالوا خيراً، وكفى اللّه المؤمنين القتال﴾[الأحزاب:٢٥]؛ يعرّضوا له بإفساده رأي الخليفة فيه، فأكبّ على تقبيل قدمه، وتعفير خدّه بين يديه والاعتذار. فقبل عذره، ودُعي له على المنابر يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الأولى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة استوزر جلال الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم بعد ابن ماكولا، ولقّبه عميد الدولة .

وفيها توفّي أبو الحسن بن حاجب النعمان، ومولده سنة أربعين وثلاثمائة، وكان خصّيصاً بالقادر باللّه حاكماً في دولته كلّها، وكتب له وللطائع أربعين سنة.

وفيها ظهر متلصّصة ببغداد من الأكراد، فكانوا يسرقون دوابّ الأتراك، فنقل الأتراك خيلهم إلى دورهم، ونقل جلال الدولة دوابّه إلى بيتٍ في دار المملكة.(٤١١/٩)

وفيها توفّي أبو الحسن بن عبد الوارث الفسويّ، النّحويّ، بفسا، وهو نسيب أبي عليّ الفارسيّ.

وفيها توفّي أبو محمّد الحسن بن يحيى العلويّ، النهرسابسيّ، الملقّب بالكافي، وكان موته بالكوفة.

وفيها، في رجب، جاء في غزنة سيل عظيم أهلك الزّرع والضّرع، وغرّق كثيراً من الناس لا يحصون، وخرّب الجسر الذي بناه عمرو بن الليث، وكان هذا الحادث عظيماً.

وفيها، في رمضان، تصدّق مسعود بن محمود بن سبكتكين، في غزنة، بألف ألف درهم، وأدرّ على الفقراء من العلماء والرّعايا إدرارات كثيرة.(٤١٢/٩)

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التّيز ومكران

في هذه السنة سيّر السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكراً إلى التّيز، فملكها وما جاورها.

وسبب ذلك أنّ صاحبها معدان توفّي، وخلّف ولدين أبا العساكر وعيسى، فاستبدّ عيسى بالولاية والمال، فسار أبو العساكر إلى خراسان، وطلب من مسعود النجدة، فسيّر معه عسكراً، وأمرهم بأخذ البلاد من عيسى، والاتّفاق مع أخيه على طاعته، فوصلوا إليها، ودعوا عيسى إلى الطاعة والموافقة، فأبى وجمع جمعاً كثيراً بلغوا ثمانية عشر ألفاً، وتقدّم إليهم، فالتقوا، فاستأمن كثير من أصحاب عيسى إلى أخيه أبي العساكر، فانهزم عيسى ثم عاد وحمل في نفرٍ من أصحابه، فتوسّط المعركة فقُتل، واستولى أبو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام، فأجحف بأهلها.(٤١٣/٩)

ذكر ملك الروم مدينة الرُّها

في هذه السنة ملك الروم مدينة الرُّها، وكان سبب ذلك أنّ الرها كانت بيد نصر الدولة بن مروان، كما ذكرناه، فلمّا قُتل عُطَير الذي كان صاحبها، شفع صالح بن مرداس، صاحب حلب، إلى نصر الدولة ليعيد الرّها إلى ابن عُطَير، وإلى ابن شبل، بينهما نصفين، فقبل شفاعته، وسلّمها إليهما.

وكان له في الرّها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر، فتسلّم ابن عُطَير الكبير، وابن شبل الصغير، وبقيت المدينة معهما إلى هذه السنة، فراسل ابن عُطَير أرمانوس ملك الروم، وباعه حصّته من الرّها بعشرين ألف دينار، وعدّة قرايا من جملتها قرية تُعرف إلى الآن بسنّ ابن عُطَير، وتسلّموا البرج الذي له، ودخلوا البلد فملكوه، وهرب منه أصحاب ابن شبل، وقتل الروم المسلمين، وخرّبوا المساجد.

وسمع نصر الدولة الخبر، فسيّر جيشاً إلى الرّها، فحصروها وفتحوها عنوةً، واعتصم من بها من الروم بالبرجَيْن، واحتمى النصارى بالبيعة التي لهم، وهي من أكبر البِيَع وأحسنها عمارةً، فحصرهم المسلمون بها، وأخرجوهم، وقتلوا أكثرهم، ونهبوا البلد، وبقي الروم في البرجَيْن، وسيّر إليهم عسكراً نحو عشرة آلاف مقاتل، فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم، ودخلوا البلد وما جاورهم من بلاد المسلمين، وصالحهم ابن وثّاب النُميْريّ على حرّان وسَروج وحمل إليهم خراجاً.(٤١٤/٩)

ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها

وفيها سارت عساكر خراسان إلى كرمان فملكوها، وكانت للملك أبي كاليجار، فاحتمى عسكره بمدينة بَرْدَسير، وحصرهم الخراسانيّون فيها، وجرى بينهم عدّة وقائع، وأرسلوا إلى الملك أبي كاليجار يطلبون المدد، فسيّر إليهم العادل بهرام بن مافنّة في عسكر كثيف، ثمّ إن الذين ببَرْدسير خرجوا إلى الخراسانية فواقعوهم، واشتدّ القتال، وصبروا لهم، فأجلت الوقعة عن هزيمة الخراسانيّة، وتبعهم الديلم حتّى أبعدوا، ثم عادوا إلى بَرْدسير.

ووصل العادل عُقَيْب ذلك إلى جيرفت، وسيّر عسكره إلى الخراسانيّة، وهم بأطراف البلاد، فواقعوهم، فانهزم الخراسانيّة، ودخلوا المفازة عائدين إلى خراسان، وأقام العادل بكَرمان إلى أن أصلح أمورها وعاد إلى فارس.

ذكر وفاة القادر باللّه وشيء من سيرته وخلافة القائم بأمر اللّه

في هذه السنة، في ذي الحجّة، توفّي الإمام القادر باللّه، أمير المؤمنين، وعمره ستّ وثمانون سنة وعشرة أشهر، وخلافته إحدى